تاريخ ابن خلدون

المجلد الثانى

المقدمة الأولى

من صفحة 3 - 147

في أمم العالم واختلاف أجيالهم والكلام علي الجملة في أنسابهم

اعلم أنّ الله سبحانه وتعالى اعتمر هذا العالم بخلقه، وكّرم بني آدم باستخلافهم في أرضه، وبثهم في نواحيها لتمام حكمته، وخالف بين أممهم وأجيالهم إظهارا لآياته، فيتعارفون بالأنساب، ويختلفون باللغات والألوان، ويتمايزون بالسير والمذاهب والأخلاق، ويفترقون بالنِحَلِ والأديان والأقاليم والجهات. فمنهم العرب والفرس والروم وبنو إسرائيل والبربر، ومنهم الصقالبة والحبش والزنج، ومنهم أهل الهند وأهل بابل وأهل الصين وأهل اليمن وأهل مصر وأهل المغرب. ومنهم المسلمون والنصارى

واليهود والصابئة والمجوس، ومنهم أهل الوبَرِ وهم أصحاب الخيام والحلل وأهل المَدَرِ وهم أصحاب المجاشر والقرى والأطم، ومنهم البدو الظواهر والحضر الأهلون. ومنهم العرب أهل البيان والفصاحة والعجم أهل الرطانة بالعبرانية والفارسية والإغريقية والطينية والبربرية. خالف أجناسهم وأحوالهم وألسنتهم وألوانهم ليتم أمر الله في اعتمار خصوصياتهم ونحلهم فتظهر آثار القدرة وعجائب الصنعة وآيات الوحدانية أنّ في ذلك لآيات للعالمين.

واعلم أنّ الامتياز بالنسب أضعف المميزات لهذه الأجيال والأمم لخفائه واندراسه بدروس الزمان وذَهابه. ولهذا كان الاختلاف كثيراً ما يقع في نَسَبِ الجيل الواحِد أوّ الأمَّة الواحدة، إذا اتصلت مع الأيام وتشعَّبت بطونُها على الأحقاب كما وقع في نسب كثير من أهل العالم مثل اليونانيين والفرس والبربر وقحطان من العرب. فإذا اختلفت الأنساب واختلفت فيها المذاهب وتباينت الدعاوى استظهر كل ناسب على صحَّة ما ادَّعاه بشواهد الأحوال والمتعارف من المقارنات في الزمان والمكان وما يرجع إلى ذلك من خصائص القبائل وسمِات الشعوب والفِرَق التي تكون فيهم منتقلة، متعاقبة في بنيهم.

وسُئلَ مالك رحمه الله تعالى عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم، فكره ذلك وقال من أين يعلم ذلك؟ فقيل له فإلى إسماعيل فأنكر ذلك، وكره أيضاً أنّ يُرْفَعَ في أنساب الأنبياء، مثل أنّ يقال: إبراهيم بن فلان بن فلان، وقال من يخبره به. وكان بعضهم إذا تلا قوله تعالى: {**والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله** }[سورة:..] قال :كَذَبَ النسابون. واحتجوا أيضاً بحديث ابن عباس أَنَّه صلى الله عليه وسلم لما بلغ نسبه الكريم إلى عدنان قال من ههنا كذب النسابون. واحتجوا أيضاً بما ثبت في أَنه علم لا ينفع، وجهالة لا تضرّ، إلى غير ذلك من الاستدلالات.

وذهب كثير من أئمة المحدَثين والفقهاء مِثْلُ ابن إسحق والطبري والبخاري إلى جواز الرفع في الأنساب، ولم يكرهوه ،محتجين بعمل السلف، فقد كان أبو بكر رضي الله عنه أنسبَ قرش لقريش ومضر، بل ولسائر

العرب، وكذا ابن عباس، وجُبَير بن مطعم وعَقيل بن أبي طالب، وكان من بعدهم ابن شهاب والزهري وابن سيرين، وكثير من

التابعين. قالوا وتدعو الحاجة إليه في كثير من المسائل الشرعية، مثل تعصيب الوراثة وولاية النكاح، والعاقلة في الديات، والعلم بنسب النبيّ صلى الله عليه وسلم، وأنه القُرَشيّ الهاشمي الذي كان بمكة، وهاجر إلى المدينة، فإنّ هذا من فروض الإيمان ولا يعذر الجاهل به. وكذا الخلافة عند من يشترط النَسَبَ فيها. فهذا كله يدعو إلى معرفة الأنساب ويؤكد فضل هذا العلم وشرفه، فلا ينبغي أنّ يكون ممنوعا.

وأما حديث ابن عباس أنه – صلى الله عليه وسلم– لما بلغ نسبه إلى عدنان قال من ههنا كذب النسَّابون، يعني من عدنان. فقد أنكر السُهيليّ روايته من طريق ابن عبّاس مرفوعاً، وقال الأَصح أنه موقوف على ابن مسعود. وخرّج السُهَيليّ عن أُمِّ سلمة أنّ النبيّ – صلى الله عليه وسلم– قال :مُعَدُّ بن عَدنان بن أدَدٍ بن زَيدٍ البِّري بن أَعْراق الثرى. قال وفسرت أم سلمة زيداً بأنه الهُمَيسَع والبرِّي بأنه نَبْتٌ أَوْ نابتٌ واعراق الثري بأَنه إسماعيل، وإسماعيل هو ابن إبراهيم، وإبراهيم لم تأْكله النار كما لا تأْكل الثرى. وردّ السُهَيلِي تفسير أمّ سَلَمَةَ وهو الصحيح، وقال إِنما معناه معنى قول i–صلى الله عليه وسلم– كلكم بنو آدم وآدم من تراب .لا يريد أنّ الهُمَيسَع ومن دونه ابن لإسماعيل لِصُلبِهِ، وعضد ذلك باتفاق الأخبار على بعد المدّة بين عدنان وإسماعيل، التي تستحيل في العادة أنّ يكون فيها بينهما أَربعة آباء، أو سبعة أو عشرة أو عشرون، لأن المدَّة أطولُ من هذا كله كما نذكره في نَسَبِ عدنان فلم يبق في الحديث مُتَمَسَّكٌ لأحدٍ من الفريقين. وأما ما رووه من أنّ النَسب عِلْمٌ لا ينفع، وجَهالة لا تَضُرُّ فقد ضَعَّفَ الأئمةُ رَفعَهُ إلى النبِيّ – صلى الله عليه وسلم– مثل الجِرجاني وأبي محمد بن حَزْم وأبي عُمَرَ بنِ عَبْدِ البر.

وأَلحقَ في الباب أنّ كل واحد من المذهبين ليس على اطلاقه، فإنّ الأنسابَ القَريبةَ التي يمكن التوصُّلُ إلى معرفتها لا يَضُرُّ الاشتغال بها لدعوى الحاجة إليها في الأُمور الشرعية من التعصيب والولاية والعاقلة وفرض الإيمان بمعرفة النبي صلى الله عليه وسلم–، ونسب الخلافة والتفرقة بين العرب والعجم في الحرية والاسترقاق، عند من يشترط ذلك كما مرَّ كله، وفي الأمور العادية أيضاً تثبت به اللُّحْمة الطبيعية التي تكون بها

المدافعة والمطالبة. ومنفعةُ ذلك في إقامة المُلْكِ والدين ظاهرةً. وقد كان
–صلى

الله عليه وسلم– وأصحابه ينسبون إلى مضر ويتساءلون عن ذلك. وروي عنه –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم. وهذا كله ظاهر في النسب القريب، وأمَّا الأنساب البعيدة العَسَرةُ المَدْرِكِ التي لا يوقف عليها إلا بالشواهد والمقارنات، لبعد الزمان وطول الأحقاب، أو لا يوقف عليها رأسا لدروس الأجيال، فهذا قد ينبغي أنّ يكون له وجه في الكراهة، كما ذهب إليه من ذهب من أهل العلم، مثل مالك وغيره، لأنه شغل الإنسان بما لا يعنيه. وهذا وجهٌ قوله–صلى الله عليه وسلم–فيما بعد عدنان من ههنا كذَبَ النسابون. لأنها أحْقاب متطاولة ومَعالم دارِسَة لا تُثْلِجُ الصُدُورَ باليقين في شيء منها، مع أنّ علمها لا ينفع وجهلها لا يضركما نقل والله الهادي إلى الصواب.

ولنأخذ الآن في الكلام في أنساب العالم على الجملة، ونترك تفصيل كل واحد منها إلى مكانه فنقول: أنّ النسابين كلَّهم اتفقوا على أنّ الأب الأوَّل للخليقة هو آدم عليه السلام، كما وقع في التنزيل إلا ما يذكره ضُعفاء الإِخْبَاريين من أنّ الجِنَّ والطَمَّ أُمَّتان كانتا فيما زعموا من قبل آدم، وهو ضعيف متروك وليس لدينا من أخبار آدم وذريته إلَّا ما وقع في المصحف الكريم، وهو معروفٌ بين الأئمَّة. واتفقوا على أنّ الأرض عَمُرَتْ بنسله أحقاباً وأجيالاً بعد أجيالٍ إلى عصر نوح عليه السلام، وأنه كان فيهم أنبياءٌ مثل شيثَ وإدريَس، وملوك في تلك الأجيال معدودون، وطوائف مشهورون بالنِحَلِ مثل الكلدانيين، ومعناه الموحَدون، ومِثْلُ السريانيين وهم المشركون. وزعموا أنّ أُمَمَ الصابئِة منهم، وأنهم من وُلْدِ صابئ بن لَمك بن أَخْنُوخ. وكان نِحْلَتُهُم في الكواكب والقيام لها كلها، واستنزال روحانيتّها، وأَنَّ من حزبهم الكلدانيين أي المُوَحَدِينَ. وقد ألف أبو إسحق الصابي الكاتب مقالة في أنسابهم ونحلتهم. وذكر أخبارَهم أيضاً دَاهِرُ مؤرَّخُ السريانيين، والبابا الصابي الحرَّاني، وذكروا استيلاءَهم على العالم، وجُمَلاً من نواميسهم. وقد اندرسوا وانقطع أثرهم. وقد يقال أنّ السريانيين من أهل تلك الأجيال، وكذلك النُمْرُوذُ والازدِهاق وهو المسمى بالضَحَّاك من ملوك الفُرس، وليس ذلك بصحيح عند المحقَقين.

واتفقوا على أنّ الطَوَفَاَنَ الذي كان في زمن نوح وبدعوته ذهب بعُمْرَانِ الأرض أجمع، بما كان من خراب المعمور ومَهْلَكِ الذين ركبوا معه في السفينة ولم يعقبو افصار

أهل الأرض كلُّهم من نسله، وعاد أَباً ثانياً للخليقة وهو نوحُ بْنِ لامِكْ، ويُقَالُ لَمَكَ بن مَتوشَلَخ بفتح اللام وسكونها ابن خنوخ، ويقال أخنوخ ويقال أَشْنَخ ويقال أَخْنَخ، وهو إدريس النبيُّ فيما قاله ابن إسحق بن بيرد، ويقال بيرد بن مَهْلائيل، ويقال ماهلايلَ بن قاين، ويقال قينن بن أنوش، ويقال يا نش بن شيث بن آدم، ومعنى شيث عطَّية الله هكذا نَسَبَهُ ابنُ إسحق وغيُرُه من الأئمة، وكذا وقع في التوارة نسبه، وليس فيه اختلاف بين الأئمة. ونقل ابن إسحق أنّ خنوخ الواقعُ إسمَهُ في هذا النسب هو إدريس النبيُّ صلوات الله عليه، وهو خلاف ما عليه الأكثر من النسَّابين، فإن إدريس عندهم ليس بجدٍّ لنوح، ولا في عمود نسبه وقد زعم الحكماء الأقدمون أيضاً أنّ إدريس هو هرمس المشهور بالإمامة في الحكمة عندهم. وكذلك يقال: أنّ الصابئة من ولد صابىء بن لامك وهو أخو نوح عليه السلام. وقيل أنّ صابىء متوشلخ جدّه.

واعلم أنّ الخلاف الذي في ضبط هذه الأسماء إِنَّما عرض في مخارج الحروف، فإن هذه الأسماء إنما أخذها العرب من أهل التوراة ومخارج الحروف في لغتهم غير مخارجها في لغة العرب، فإذا وقع الحرف متواسطاً بين حرفين من لغة العرب، فتردّه العرب تارة إلى هذا وتارة إلى هذا. وكذلك إشباع الحركات قد تحذفه العرب إذا نقلت كلامَ العجم، فمن ههنا اختلف الضبط في هذه الأسماء.

واعلم أنّ الفرس والهند لا يعرفون الطوفان، وبعضُ الفرس يقولون كان ببابلَ فقط.

واعلم أنّ آدم هو كيومرث وهو نهاية نسبهم فيما يزعمون، وأنَّ أفريدون الملك في آبائهم هو نوح، وأنه بعث لازدهاق وهو الضحَّاك فلبسه الملك وقبله كما يذكر بعد في أخبارهم. وقد تترجَّحُ صحة هذه الأنساب من التوراة، وكذلك قصص الأنبياء الأقدمين إذ أخذت عن مسلمي يهودا، ومن نسخ صحيحة من التوراة، يغلب على الظن صحتها. وقد وقعت العناية في التوراة بنسب موسى عليه السلام وإسرائيل وشعوب الأسباط، ونسب ما بينهم وبين آدم صلوات الله عليه. والنسب والقصص أمرٌ لا يدخله النَسْخُ، فلم يبق إلا تحرّي النُسخ الصحيحة والنقل المعتبر. وأمَّا ما يقال من أنّ

علماءَهم بدَّلوا مواضع من التوراة، بحسب أغْراضهم في ديانتهم. فقد قال ابن عباس، على ما نقل عنه البخاري في صحيحه: أنّ ذلك بعيد، وقال معاذ الله أنّ تَعْمد أُمَّة من الأمَم إلى كتابها المُنْزَل على نبَيها فتبدله أو ما في معناه، قال وإنما بدَّلوه

وحرفوه بالتأويل. ويشهد لذلك قوله تعالى: {**وعندهم التوراة فيها حكم الله**}[سورة...] ولو بدّلوا من التوراة ألفاظها لم يكن عندهم التوراةُ التي فيها حكم الله.وما وقع في القرآن الكريم من نسبة التحريف والتبديل فيها إليهم، فإنما المعني به التأويل، اللهم إلا أنّ يطرقها التبديل في الكلمات على طريق الغفلة وعدم الضبط. وتحريف من لا يحسن الكتابة بنسخها فذلك يمكن في العادة، لا سيما وملكهم قد ذهب، وجماعتهم انتشرت في الآفاق، واستوى الضابط منهم وغيرُ الضابط، والعالمُ والجاهل، ولم يكن وازع يحفظ لهم ذلك لذهاب القدرة بذَهاب الملك، فتطرَّق من أجل ذلك إلى صحف التوراة في الغالب تبديل وتحريف، غير متعمد من علمائهم وأحبارهم. ويمكن مع ذلك الوقوف على الصحيح منها إذا تحرى القاصد لذلك بالبحث عنه.

ثم اتفق النسابون ونَقَلَتَ المفسرين على أنّ ولد نوح الذين تفرّعت الأُممُ منهم ثلاثة: سام وحام ويافث، وقد وقع ذكرهم في التوراة، وأنّ يافث أكبرهم، وحام الأصغر، وسام الأوسط. وخرَّج الطبري في الباب أحاديث مرفوعة بمثل ذلك، وأنَّ سامَ أبو العرب، ويافثُ أبو الروم، وحام أبو الحبش والزنج، وفي بعضها السودان. وفي بعضها: سام أبو العرب وفارس الروم، ويافث أبو الترك الصقالبة ويأجوج ومأجوج، وحام أبو القبط والسودان والبربر، ومثله عن ابن المسَيَّب وَوَهْبِ بْن مُنَبَّه. وهذه الأحاديث وإن صحَّت فإِنَّما الأنساب فيها مجملة، ولابدّ من نقل ما ذكره المحققون في تفريعِ أنساب أمم من هؤلاء الثلاثة واحداً واحداً. وكذلك نقل الطبريُّ أنه كان لنوح ولد إسمه كنعان، وهو الذي هلك في الطوفان. قال: وتسميه العرب يام، وآخر مات قبل الطوفان إِسمه عابر. وقال هشام: كان له ولدٌ إِسمه بوناطر، والعقب إِنَّما هو من الثلاثة، على ما أجمع عليه الناس وصحت به الأخبار، فأمّا سام فمن ولده العرب على اختلافهم، وإبراهيم وبنوه صلوات الله عليهمّ باتفاق النسابين. والخلاف بينهم إِنَّما هو في تفا ريع ذلك أوْ في نَسَب غير العرب إلى سام.

فالذي نقله ابن إسحق: أنّ سام بن نوح كان له من الولد خمسة، وهم أَرفخشَذ، ولاوَذ، وإِرم، وأَشوذ، وغليم. وكذا وقع ذكر هذه الخمسة في

التوراة وأَنَّ بني أشوذ هُمْ أهْلُ الموصل، وبني غليم أهل خوزستان، ومنها الأهواز. ولم يذكر في التوراة وُلد لاوذ. وقال ابن إسحق: وكان للاوذ أربعة من الولد: وهم طسم وعمليق وجرجان وفارس. قال: ومن العماليق أُمَّة جاسِم. فمنهم بنولَفَّ، وبنو هَزَّان، وبنو مَطَر

وبنو الأزْرَق. ومنهم بُدَيْل وراحِلِ وظَفَّار. ومنهم الكنعانُّيون وبرابَرةُ الشام، وفراعِنَة مِصْرَ. وعن غير ابن إسحق أنّ عبد بن ضخم وأميم من وُلد لاوَذ. قال ابن إسحق: وكان طسم والعماليق وأمَيْم وجاسم يتكلمون بالعربية، وفارس يجاورونهم إلى المشرق، ويتكلمون بالفارسية.

قال ووُلْدُ إرم :عُوصُ وكاثر وعُبَيْل، ومن وُلْد عِوُص عَادٌ، ومنزلهم بالرمال والأحقاف إلى حضرموت. ومن ولد كاثر ثمود وجديس، ومنزل ثمود بالحجر بين الشام والحجاز.

وقال هشام بن الكلبي: عبيل بن عوص أخو عاد. وقال ابن حَزْمَ عن قدماء النَسَّابين: أنّ لاوذ هوابن إِرَمَ بن سام أخو عوص وكاثَر. قال: فعلى هذا يكون جديس وثمود أخوين، وطسم وعِملاق أخوين أبناءَ عمَّ لحام، وكلهم بنو عم عاد. قال: ويذكرون أنّ عبد بن ضَخَم بن إِرَم، وأنَّ أُمَيْم بن لاوَذ بن إِرَم. قال الطبري: وفهَّم الله لسان العربية عاداً وثمودَ وعبيل وطَسْم وجديس وأميم وعمليق، وهم العرب العاربة. وربما يقال: أنّ من العرب العاربة يَقْطِنَ أيْضاً، ويسمون أيضاً العرب البائدة، ولم يبقَ على وجه الأرض منهم أحد. قال: وكان يقال عاد إرم، فلما هلكوا قيل ثمود إرم، ثم هلكوا فقيل لسائر ولد إرم أرمان، وهم النبط، وقال هشام بن محمد الكلبي: أنّ النبط بنو نبيط بن ماش بن إرم، والسريان بنو سريان بن نبط.

وذكر أيضاً أنّ فارس من ولد أشوذ بن سام، وقال فيه فارس بن طبراش بن أشو، وقيل أنهم من أميم بن لاوذ وقيل ابن غليم.

وفي التوراة: ذكر ملك الأهواز واسمه كردلا عمرو من بني غليم والأهواز متصلة ببلاد فارس. فلعل هذا القائل ظنَّ أنّ أهل أهواز هم فارس، والصحيح أنهم من وُلد يافث كما يُذكر. وقال أيضاً أنّ البربر من ولد عِمليق بن لاوَذ وأنهم بنو تميلة من مأرب بن قاران بن عمر بن عمليق، والصحيح أنهم من كنعان بن حام كما يذكر. وذكر في التوراة ولد إرَم أربعة: عوص وكاثر وماش ويقال مَشَحْ والرابع حول. ولم يقع عند بني إسرائيل في تفسير هذا شيءٌ إلَّا أنّ الجرامقة من ولد كاثر. وقد قيل أنّ الكرد والدَّيلم من العرب. وهو قول مرغوبٌ عنه.

وقال ابن سعيد كان لأشوذ أربعة من الولد: إيران ونَبيط وجرموق وباسل. فمن إيران الفرس والكرد والخزر، ومن نبيط النبط والسريان، ومن جرموق الجرامقة وأهل الموصل، ومن باسل الديلم وأهل الجبل. قال الطبري: ومن وُلْدِ أرفخشذ العبرانيون

خريطة

وبنو عابر بن شالخ بن أرفخشذ، وهكذا نسبه في التوراة. وفي غيره أنّ شالخ بن قينن بن أرفخشذ، وإنما لم يذكر قينن في التوراة لأنه كان ساحراً وادّعى الألوهية.

وعند بعضهم أنّ النمروذ من ولد أرفخشذ وهو ضعيف. وفي التوراة أنّ عابر ولد إثنين من الولد هما فالغ ويقطن، وعند المحققين من النسَّابة أنّ يقطن هو قحطان عربته العرب هكذا. ومن فالغ إبراهيم عليه السلام وشعوبه، ويأتي ذكرهم. ومن يقطن شعوبٌ كثيرةٌ. ففي التوراة ذكر ثلاثة من الولد له، وهم: المِرذاذ ومعربه ومضاض وهم جرهم وإرم وهم حضور، وسالف وهم أهل السلفات، وسبا وهم أهل اليمن من حِمْيَر، والتبابعة وكهلان وهدرماوت وهم حضرموت. هؤلاء خمسة، وثمانية أخرى ننقل أسماءَهم وهي عبرانية، ولم نقف على تفسير شيءٍ منها، ولا يُعلم من أي البطون هم، وهم: بباراح وأو زال ودفلا وعوثال وأفيمايَل وأيوفير وحويلا ويوفاف، وعند النسابين أنّ جرهم من ولد يقطن فلا أدري من أيهم. وقال هشام ابن الكلبي أنّ الهند والسند من نوفير بن يقطن والله أعلم.

وأما يافث فمن ولده الترك والصين الصقالبة ويأجوج ومأجوج باتفاق من النسابين. وفي آخرين خلاف كما يذكر. وكان له من الولد على ما وقع في التوراة سبعة: وهم كومَر وياوان وماذاي وماغوغ وقَطوبال وماشَخ وطيراش، وعدّهم ابن إسحق هكذا، وحذف ماذاي ولم يذكر كومر وتوغرما وأشبان وريغاث، هكذا في نص التوراة. ووقع في الإسرائيليات أنّ توغرما هم الخزر، وأن أشبان هم الصقالبة، وأن ريغاث هم الإفرنج ويقال لهم برنسوس، والخزرهم التركمان وشعوب الترك كلهم من بني كومر، ولم يذكروا من أي الثلاثة هم. والظاهر أنهم من توغرما. ونسبهم ابن سعيد إلى الترك ابن عامور بن سويل بن يافث. والظاهر أنه غلط، وأن عامور هو كومر، صحف عليه. وهم أجناس كثيرة منهم الطغرغر وهم التتر والخطا وكانوا بأرض طغماج، والخزلقية والغز الذين كان منهم السلجوقية والهياطلة الذين كان منهم الخلج، ويقال للهياطلة الصغد أيضاً. ومن أجناس الترك الغور والخزر والقفجاق، ويقال الخفشاخ ومنهم يمك والعلأن، ويقال الأز،و منهم الشركس وأزكش. ومن ماغوغ عند الإسرائيليين يأجوج

ومأجوج، وقال ابن إسحاق: إنهم من كومر ومن مازاي الديلم ويسمون في اللسان العبراني ماهان. ومنهم أيضاً همذان، وجعلهم بعض الإسرائيليين من بني همذان بن يافث وعد همذان ثامناً للسبعة المذكورين من ولده.

وأمَّا ياوان واسمه يونان فعند الإسرائيليين أنَّه كان له من الولد أربعةٌ وهم داود بن واليشا وكيتم وترشيش، وأن كيتم من هؤلاء الأربعة هو أبو الروم، والباقي يونان، وأن تر شيش أهل طر سوس.

وأما قطوبال فهم أهل الصين من المشرق، والليمان من المغرب. ويقال أنّ أهل إفريقية قبل البربر منهم وأن الإفرنج أيضاً منهم. ويقال أيضاً أنّ أهل الأندلس قديماً منهم .وأما ماشخ فكان ولده عند الإسرائيليين بخراسان، وقد انقرضوا لهذا العهد فيما يظهر، وعند بعض النسابين أنّ الأشبان منهم.

وأما طيراش فهم الفرس عند الإسرائيليين، وربما قال غيرهم إنهم من كومر وأن الخزر والترك من طيراش، وأن الصقالبة وبرجان والأشبان من ياوان وأن يأجوج ومأجوج من كومر، وهي كلها مزاعم بعيدة عن الصواب. وقال أهروشيوش مؤرَّخ الروم أنّ القوط واللطين من ماغوغ. وهذا آخر الكلام في أنساب يافث.

وأما حام فمن ولده :السودان والهند والسند والقبط وكنعان باتفاق. وفي آخرين خلاف نذكره، وكان له على ما وقع في التوراة أربعة من الولد وهم: مصر ويقول بعضهم مصرايم، وكنعان وكوش وقوط. فمن وُلد مصر عند الإسرائيليين فتروسيم وكسلوحيم. ووقع في التوراة فلشنين منهما معاً. ولم يتعيَّن من أحدهما، وبنو فلشنين الذين كان منهم جالوت. ومن ولد مصر عندهم كفتورع، ويقولون هم أهل دمياط. ووقع الأنقلوس ابن أخت قيطش الذي خرب القدس في الجلوة الكبرى على اليهود. قال أنّ كفتورع هو قبطقاي. ويظهر من هذه الصيغة أنهم القبط لما بين الإسمين من الشبه. ومن ولد مصر عناميم وكان لهم نواحي إسكندرية، وهم أيضاً بفتوحيم ولوديم ولها بيم. ولم يقع إلينا تفسير هذه الأسماء. وأما كنعان بن حام فذكر من ولده في التوراة أحد عشر منهم صيدون، ولهم ناحية صيدا، وإيموري وكرساش، وكانوا بالشام، وانتقلوا عندما غلبهم عليه يوشع إلى أفريقية فأقاموا بها. ومن كنعان أيضاً يبوسا وكانوا ببيت المقدس وهربوا أمام داود عليه السلام حين غلبهم عليه إلى أفريقية والمغرب، وأقاموا بها. والظاهر أنّ البربر من هؤلاء المنتقلين أوّلاً وآخراً. إلا أنّ المحققين من نسابتهم على

أنهم من ولد مازيغ بن كنعان، فلعل مازيغ ينتسب إلى هؤلاء. ومن كنعان أيضاً حيث الذين كان ملكهم عوج بن عناق. ومنهم عرفان وأروادي وخوي، ولهم نابلس وسبا، ولهم طرابلس وضمارى، ولهم حمص وحما، ولهم أنْطاكِية. وكانت تسمى حما باسمهم. وأما كوش بن حام

خريطة

فذكر له في التوراة خمسة من الولد وهم سفنا وسبا وجويلا ورعما وسفخا، ومن ولد رعماشاو وهم السند، ودادان وهم الهند. وفيها أنّ النمروذ من ولد كوش ولم يعينه. وفي تفاسيرها أنّ جويلا زويلة وهم أهل برقة. وأما أهل اليمن فمن ولد سبا .وأما قوط فعند أكثر الإسرائيليين أنّ القبط منهم. ونقل الطبري عن ابن إسحق أنّ الهند والسند والحبشة من بني السودان من ولد كوش. وأن النوبة وفزان وزغاوة والزنج منهم من كنعان. وقال ابن سعيد: أجناس السودان كلهم من ولد حام ونسب ثلاثة منهم إلى ثلاثة سماهم من ولده غير هؤلاء: الحبشة إلى حبش، والنوبة إلى نوابة أو نوى،والزنج إلى زنج، ولم يسم أحداً من آباء الأجناس الباقية، وهؤلاء الثلاثة الذين ذكروا لم يعرفوا من ولد حام فلعلَّهم من أعقابهم، أو لعلها أسماء أجناس. وقال هشام بن محمد الكلبي: أنّ النمروذ هو ابن كوش بن كنعان. وقال أهروشيوش مؤرخ الروم: أنّ سبا وأهل أفريقية يعني البربر من جويلا بن كوش ويسمى يضول. وهذا والله أعلم غلط لأنه مرّ أنّ يضول في التوراة من ولد يافث، ولذلك ذكر أنّ حبشة المغرب من دادان ابن رعما من ولد مصر بن حام بنو قبط بن لاب بن مصر. انتهى الكلام في بني حام. وهذا آخر الكلام في أنساب أمم العالم على الجملة، والخلاف الذي في تفاصيلها يذكر في أماكنه والله ولى العون والتوفيق.

صورة

المقدّمة الثانية

في كيفية وضع الأنساب في كتابنا لأهل الدول وغيرهم .

أعلم أنّ الأنساب تتشعب دائماً، وذلك أنّ الرجل قد يكون له من الولد ثلاثة أو أربعة أو أكثر، ويكون لكل واحد منهم كذلك، وكل واحد منهم فرعٌ ناشئ عن أصلٍ، أو فرع، أو عن فرع فرع، فصارت بمثابة الأغصان للشجرة تكون قائمة على ساق واحدة هي أصلها والفروع عن جانبها، ولكل واحدٍ من الفروع فروعٌ أخري إلى أنّ تنتهي إلى الغاية. فلذلك اخترنا بعد الكلام على الأنساب للأمّة وشعوبها أنّ نضع ذلك على شكل شجرة نجعل أصلها وعمود نسبها باسم الأعظم من أولئك الشعوب ومن له التقدم عليهم، فيجعل عمود نسبه أصلا لها وتفرع الشعوب الأخرى عن جانبه من كل جهة، كأنها فروع لتلك الشجرة، حتى تتصل تلك الأنساب عموداً وفروعاً بأصلها الجامع لها ظاهرة للعيان في صفحة واحدة، فترسم في الخيال دفعة، ويكون ذلك أعون على تصور الأنساب وتشعبها. فإن الصور الحسيّة أقرب إلى الإرتسام في الخيال من المعاني المتعلقة. ثم لما كانت هذه الأمم كلها لها دول وسلطان، اعتمدنا بالقصد الأوّل ذكر الملوك منهم في تلك الشجرات، متصلة أنسابهم إلى الجد الذي يجمعهم ،بعد أنّ نرسم على كل واحد منهم رتبته في تعاقبهم واحداً بعد واحدٍ، بحروف أب ج د هـ . فالألف للأول، والباء للثاني، والجيم للثالث، والدال للرابع، والهاء للخامس، وهلم جرّا. ونهاية الأجداد لأهل تلك الدولة في الآخر منهم ،ويكون للأول غصون وفروع في كل جهة عنه، فإذا نظرت في الشجرة علمت أنساب الملوك في كل دولةٍ وترتبهم بتلك الحروف واحداً بعد واحد، والله أعلم بالصواب.

أجيال العرب

القول في أجيال العرب و أوّليتها واختلاف طبقاتهم وتعاقبها وأنساب كل طبقة منها

اعلم أنّ العرب منهم الأمة الراحلة الناجعة، أهل الخيام لسكناهم، والخيل لركوبهم، والأنعام لكسبهم، يقومون عليها، ويقتاتون من ألبانها،

ويتخذون الدفء والأثاث من أوبارها وأشعارها، ويحملون أثقالهم على ظهورها. يتنازلون حِلَلاً متفرقة،

ويبتغون الرزق في غالب أحوالهم من القنص، ويختطف الناس من السبل، ويتقلبون دائماً في المجالات فراراً من حمارّة القيظ تارة، وصبارة البرد أخرى، وانتجاعاً لمراعي غنمهم، وارتياداً لمصالح إبلهم الكفيلة بمعاشهم، وحمل أثقالهم ودفئهم ومنافعهم، فاختصوا لذلك بسكنى الإقليم الثالث، ما بين البحر المحيط من المغرب إلى أقصى اليمن وحدود الهند من المشرق. فعمروا اليمن والحجاز ونجداً وتهامة وما وراء ذلك مما دخلوا إليه في المائة الخامسة، كما ذكروه من مصر وصحاري برقة وتلولها وقسنطينة وأفريقية وزاغا والمغرب الأقصى والسوس، لاختصاص هذه البلاد بالرمال والقفار المحيطة بالأرياف والتلول، والأرياف الآهلة بمن سواهم من الأمم في فصل الربيع وزخرف الأرض، لرعي الكلأ والعشب في منابتها، والتنقل في نواحيها إلى فصل الصيف لمدّة الأقوات في سنتهم من حبوبها. وربما يلحق أهل العمران أثناء ذلك معرات من أضرارهم، بإفساد السابلة ،ورعي الزرع مخضرًّا، وانتهابه قائماً وحصيداً إلا ما حاطته الدولة، وذادت عنه الحامية في الممالك التي للسلطان عليهم فيها. ثم ينحدرون في فصل الخريف إلى القفار لرعي شجرها ،ونتاج إبلهم في رمالها، وما أحاط به عملهم من مصالحها، وفراراً بأنفسهم وظعائنهم من أذى البرد إلى دفء مشاتيها. فلا يزالون في كل عام مترددين بين الريف والصحراء ما بين الإقليم الثالث والرابع، صاعدين ومنحدرين على ممر الأيام، شعارهم لبس المخيط في الغالب، ولبس العمائم تيجاناً على رؤسهم، يرسلون من أطرافها عذبات يتلثم قوم منهم بفضلها وهم عرب المشرق، وقومٌ يلفون منها الليث والأخدع قبل لبسها، ثم يتلثمون بما تحت أذقانهم من فضلها وهم عرب المغرب، حاكوا بها عمائم زناته من أمم البربرقبلهم. وكذلك لقنوا منهم في حمل السلاح اعتقال الرماح الخطية، وهجروا تنكب القسي. وكان المعروف لأولهم ومن بالمشرق لهذا العهد منهم استعمال الأمرين.

ثم أنّ العرب لم يزالوا موسومين بين الأمم بالبيان في الكلام والفصاحة في المنطق والذلاقة في اللسان، ولذلك سموا بهذا الاسم فإنه مشتق من الإبانة لقولهم: أعرب الرجل عما في ضميره إذا أبان عنه. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم :<<الثيب تعرب عن نفسها>>. والبيان سمتهم

بين الأمم منذ كانوا. وانظر قصة كسرى لما طلب من خليفته على العرب النعمان بن المنذر أنّ يوفد عليه من كبرائهم وخطبائهم من رضي لذلك، فاختار منهم وفدا أوفده عليه، وكان من خبره واستغراب ما جاؤا به من البيان ما هو معروف.

فهذه كلها شعائرهم وسماتهم وأغلبها عليهم اتخاذ الإبل والقيام على نتاجها وطلب الانتجاع بها الارتياد مراعيها، ومفاحص توليدها بما كان معاشهم منها. فالعرب أهل هذه الشعار من أجيال الآدميين. كما أنّ الشاوية أهل القيام على الشاة والبقر لما كان معاشهم فيها، فلهذا لا يختصون بنسب واحد بعينه إلا بالعرض. ولذلك كان النسب في بعضهم مجهولاً عند الأكثر، وفي بعضهم خفيا على الجمهور. وربما تكون هذه السمات والشعائر في أهل نسب آخر فيدعون باسم العرب إلا أنهم في الغالب يكونون أقرب إلى الأولين من غيرهم. وهذا الانتقال لا يكون إلّا في أزمنة متطاولة وأحقاب متداولة. ولذلك يعرض في الأنساب ما يعرض من الجهل والخفاء.

واعلم أنّ جيل العرب بعد الطوفان وعصر نوح عليه السلام كان في عادٍ الأولى وثمود والعمالقة وطسم وجديس وأميم وجرهم وحضرموت، ومن ينتمي إليهم من العرب العاربة من أبناء سام بن نوح. لما انقرضت تلك العصور، وذهب أولئك الأمم وأبادهم الله بما شاء من قدرته، وصار هذا الجيل في آخرين ممن قرب من نسبهم من حِمْيَر وكهلان وأعقابهم من التبابعة ومن إليهم من العرب المستعربة من أبناء عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام. ثم لما تطاولت تلك العصور وتعاقبت وكان بنو فالغ بن عابر أعالم من بين ولده واختص الله بالنبوة منهم إبراهيم بن تارخ وهو آزر بن ناحور بن ساروخ بن أرغو بن فالغ، وكان من شأنه مع نمروذ ما قصّه القرآن. ثم كان من هجرته إلى الحجاز ما هو مذكور، وتخلف ابنه إسماعيل مع أمه هاجر بالحجر قرباناً لله، ومرَّت بها رفقة من جرهم في تلك المفازة فخالطوها، ونشأ إسماعيل بينهم ،وربّي في أحيائهم، وتعلم لغتهم العربية بعد أنّ كان أبوه أعجميا. ثم كان بناء البيت كما قصه القرآن، ثم بعثه الله إلى جرهم والعمالقة الذين كانوا بالحجاز، فآمن كثير منهم واتبعوه. ثم عظم نسله وكثر، وصار بالجيل آخر من ربيعة ومضر ومن إليهم من إياد وعك وشعوب نزار وعدنان وسائر ولد إسماعيل، وهم العرب التابعة للعرب. ثم انقرض أولئك الشعوب في أحقاب طويلة وانقرض ما كان لهم من الدولة في الإسلام. وخالطوا العجم بما كان لهم من التغلب عليهم، ففسدت لغة أعقابهم في آماد متطاولة، وبقي خلفهم أحياء بادين في القفار والرمال

والخلاء من الأرض تارة والعمران تارة. وقبائل بالمشرق والمغرب والحجاز واليمن وبلاد الصعيد والنوبة والحبشة، وبلاد الشام والعراق

والبحرين وبلاد فارس والسند وكرمان وخراسان، أمم لا يأخذها الحصر والضبط، قد كاثروا أمم الأرض لهذا العهد شرقاً وغرباً، واعتزوا عليهم، فهم اليوم أكثر أهل العالم، وأملك لأمرهم من جميع الأمم. ولما كانت لغتهم مستعجمة على اللسان المضري الذي نزل به القرآن، وهو لسان سلفهم ،سميناهم لذلك العرب المستعجمة. فهذه أجيال العرب منذ مبدإ الخليقة ولهذا العهد في أربع طبقات متعاقبة، كان لكل طبقة منها عصور وأجيال ودول وأحياء وقعت العناية بها دون من سواهم من الأمم، لكثرة أجيالهم واتساع النطاق من ملكهم. فلنذكر لكل طبقة أحوال جيلها وبعض أيامهم ودولهم، ومن كان على عهدهم من ملوك الأمم ودولهم ليتبين لك بذلك مراتب الأجيال في الخليقة كيف تعاقبت، والله سبحانه وتعالى وليُّ العون.

برنامج بما تضمنه الكتاب من الدول في هذه الطبقات الأربع علي ترتيبها والدول المعاصرين من العجم في كل طبقة منها

فنبدأ أوّلاً بذكر الطبقة الأولي، وهم العرب العاربة، ونذكر أنسابهم ومواطنهم وما كان لهم من الملك والدولة. ثم الطبقة الثانية وهم العرب المستعربة من بني حِمْيَر بن سبا، ونذكر أنسابهم وما كان لهم من الملك باليمن في التبابعة وأعقابهم. ثم نرجع إلى ذكر معاصرهم من العجم وهم ملوك بابل من السريانيّين، ثم ملوك الموصل ونينوى من الجرامقة، ثم القبط وملوكهم بمصر، ثم بني إسرائيل ودولهم ببيت المقدس قبل تخريب بختنصر وبعده، وبالصابئة، ثم الفرس ودولهم الأولى والثانية، ثم يونان ودولهم الإسْكندر وقومه، ثم الروم ودولهم في القياصرة وغيرهم. ثم نرجع إلى ذكر الطبقة الثالثة وهم العرب التابعة للعرب من قضاعة وقحطان وعدنان وشعبيها العظيمين ربيعة ومضر. فنبدأ بقضاعة وأنسابهم، وما كان لهم من الملك البدوي في آل النعمان بالحيرة والعراق ومن زاحمهم فيها من ملوك كندة بني حجر آكل المرار. ثم ما كان لهم أيضاً من الملك البدوي بالشام في بني جفنة بالبلقاء والأوس والخزرج بالمدينة النبوية. ثم عدنان وأنسابهم وما كان لهم من الملك بمكة في قريش، ثم ما شرفهم الله به وجيل الآدميين أجمع من النبوة، وذكر الهجرة والسير النبوية، ثم نذكر ما

أكرمهم الله به من الخلافة والملك، فنترجم للخلفاء الأربعة وما كان على عصرهم من الردَّة والفتوحات والفتن. ثم نذكر خلفاء الإسلام من بني أمية

وما كان لعهدهم من أمر الخوارج. ثم نذكر خلفاء الشيعة وما كان لهم من الدول في الإسلام. والأولى الدولة العظيمة لبني العبَّاس التي انتشرت في أكثر ممالك الإسلام، ثم دولة العلوية المزاحمين لها بعد صدر منها وهي دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى، ثم دولة العبيدية من الإسماعيلية بالقيروان ومصر، ثم القرامطة بالبحرين، ثم دعاة طبرستان والديلم، ثم ما كان من هؤلاء العلوية بالحجاز. ثم نذكر بني أمية المنازعين لبني العباس بالأندلس، وما كان لهم من الدولة هنالك، والطوائف من بعدهم، ثم نرجع إلى ذكر المستبدين بالدعوة العباسية بالمغرب والنواحي، وهم بنو الأغلب بأفريقية وبنو حمدان بالشام وبنو المقلد بالموصل، وبنو صالح بن كلاب بحلب، وبنو مروان بديار بكر، وبنو أسد بالحلة، وبنو زياد باليمن، وبنو هود بالأندلس.

ثم نرجع إلى القائمين بالدعوة العبيدية بالنواحي وهم الصليحيون باليمن، وبنو أبي الحسن الكلبي بصقلية وصنهاجة بالمغرب. ثم نرجع إلى المستبدين بالدعوة العباسية من العجم في النواحي، وهم بنو طولون بمصر، ومن بعدهم بنو طغج، وبنو الصفار بفارس وسجستان، وبنو سامان فيما وراء النهر، وبنو سبكتكين في غزنة وخراسان، وغورية في غزنة والهند، وبنو حسنويه من الكرد في خراسان. ثم نرجع إلى ذكر المستبدين على الخلفاء ببغداد من العجم، وهم أهل الدولتين العظيمتين القائمتين بملك الإسلام من بعد العرب، وهم بنو بويه من الديلم والسلجوقية من الترك. ثم نرجع إلى ملوك السلجوقية المستبدين بالنواحي، وهم بنو طغتكين بالشام ،وبنو قطلمش ببلاد الروم، وبنو خوارزم شاه ببلاد العجم وما وراء النهر، وبنو سقمان بخلاط وأرمينية، وبنو أرتق بماردين، وبنو زنكي بالشام، وبنو أيوب بمصر والشام. ثم الترك الذين ورثوا ملكهم هنالك، وبنو رسول باليمن. ثم نرجع إلى ذكر التتر من الترك القائمين على دولة الإسلام والماحين للخلافة العبَّاسية، ثم ما كان من دخولهم في دين الإسلام وقيامهم بالملك بالنواحي، وهم بنو هولاكو بالعراق، وبنو ذو شيخان بالشمال، وبنو أرتنا ببلاد الروم، ومن بعد بني هولاكو بنو الشيخ حسن ببغداد، وتوريز،و بنو المظفر بأصبهان وشيراز وكرمان،وبعد بني أرتنا ملوك بني عثمان من التركمان ببلاد الروم وما وراءها.

ثم نرجع إلى الطبقة الرابعة من المغرب وهم المستعجمة ومن له ملك بدوي منهم بالمغرب والمشرق. ثم نخرج بعد ذكر ذلك إلى ذكر البربر ودولهم بالمغرب والمشرق. ثم نخرج بعد ذلك إلى ذكر البربر ودولهم بالمغرب لأنهم كانوا من شرط كتابنا. وهنالك نذكر برنامج دولهم والله سبحانه أعلم.

الطبقة الأولى من العرب

وهم العرب العاربة وذكر نسبهم والإلمام بملكهم ودولهم علي الجملة

هذه الأمة أقدم الأمم من بعد قوم نوح ،وأعظمم قدرة ،وأشدّهم قوة وآثاراً في الأرض، وأول أجيال العرب من الخليقة فيما سمعناه. لأن أخبار القرون الماضية من قبلهم يمتنع اطلاعنا عليها التطاول الأحقاب ودروسها، إلا ما يقصه علينا الكتاب ويؤثر عن الأنبياء بوحي الله إليهم، وما سوى ذلك من الأخبار الأزلية فمنقطع الإسناد. ولذلك كان المعتمد عند الإثبات في أخبارهم، ما تنطق به آية القرآن في قصص الأنبياء الأقدمين، أو ما ينقله زعماء المفسرين في تفسيرها من أخبارهم وذكر دولهم وحروبهم، ينقلون ذلك عن السلف من التابعين الذين أخذوا عن الصحابة، أو سمعوه ممن هاجر إلى الإسلام من أحبار اليهود وعلمائهم أهل التوراة أقدم الصحف المنزلة فيما علمنا، وما سوى ذلك من حطام المفسرين وأساطير القصص وكتب بدء الخليقة فلا نعوّل على شي منه. وإن وجد لمشاهير العلماء تأليف مثل كتاب الياقوتية للطبريّ ،والبدء للكسائي ، فإنما نحوا فيها منحى القصاص ، وجروا على أساليبهم، ولم يلتزموا فيها الصحة، ولا ضمنوا لنا الوثوق بها، فلا ينبغي التعويل عليها، وتترك وشأنها. وأخبار هذا الجيل من العرب وإن لم يقع لها ذكر في التوراة إلا أنّ بني إسرائيل من بين أهل الكتاب أقرب إليهم عصراً ، وأوعى لأخبارهم، فلذلك يعتمد نقل المهاجرة منهم لأخبار هذا الجيل، ثم أنّ هذه الأمم على ما نقل كان لهم ملوك ودول.

فملوك جزيرة العرب، وهي الأرض التي أحاط بها بحر الهند من جنوبها، وخليج الحبشة من غربها ،وخليج فارس من شرقها، وفيها اليمن

والحجاز والشحر وحضرموت، وامتد ملكهم فيها إلى الشام ومصر في شعوب منهم على ما يذكر. ويقال: إنهم انتقلوا إلى جزيرة العرب من بابل لما زاحمهم فيها بنو حام، فسكنوا جزيرة العرب بادية مخيمين، ثم كان لكل فرقة منهم ملوك وآطام وقصور حسبما نذكره، إلى أنّ

غلب عليهم بنو يعرب بن قحطان. وهؤلاء العرب العاربة شعوب كثيرة وهم عاد وثمود وطسم وجديس وأميم وعبيل وعبد ضخم وجرهم وحضرموت وحضورا والسلفات. وسمي أهل هذا الجيل العرب العاربة، إما بمعنى الرساخة في العروبية كما يقال: ليل أليل وصوم صائم. أو بمعنى الفاعلة للعروبية والمبتدعة لها بما كانت أول أجيالها. وقد تسمى البائدة أيضاً بمعنى الهالكة لأنه لم يبق على وجه الأرض أحد من نسلهم. فأما عاد وهم بنو عاد بن عوص بن إرم بن سام، فكانت مواطنهم الأولى بأحقاف الرمل بين اليمن وعمان إلى حضرموت والشحر. وكان أبوهم عاد فيما يقال أول من ملك من العرب ،وطال عمره وكثر ولده، وفي التواريخ أنه ولد له أربعة آلاف ولد ذكر لصلبه، وتزوج ألف امرأة، وعاش ألف سنة ومائتى سنة. وقال البيهقي: أنه عاش ثلثمائة سنة، وملك بعده بنوه الثلاثة شديدٌ وبعده شداد وبعده إرم. وذكر المسعودى: أنّ الذي ملك من بعد عاد وشداد منهم، هو الذي سار في الممالك، واستولى على كثير من بلاد الشام والهند والعراق. وقال الزمخشري: أنّ شدّاد هو الذي بنى مدينة إرم في صحارى عدن، وشيدها بصخور الذهب وأساطين الياقوت والزبرجد، يحاكي بها الجنة، لما سمع وصفها طغياناً منه وعتّواً .ويقال: أنّ باني إرم هذه هو إرم بن عاد. وذكر ابن سعيد عن البيهقيّ: أنّ باني ارم هو ارم بن شداد بن عاد الأكبر، والصحيح أنه ليس هناك مدينة إسمها إرم، وإنما هذا من خرافات القصاص. وإنما ينقله ضعفاء المفسرين. وإرم المذكورة في قوله تعالى:{ إرم ذات العماد}[سورة.....] القبيلة لا البلد.

وذكر المسعودى: أنّ ملك عوص كان ثلثمائة وأن الذي ملك من بعده ابنه عاد بن عوص، وان جيرون بن سعد بن عاد كان من ملوكهم ،وأنه الذي اختط مدينة دمشق ومصرها، وجمع عُمُدَ الرخام والمرمر إليها وسماها إرم. ومن أبواب مدينة دمشق إلى هذا العهد باب جيرون، وذكره الشعراء في معاهدها. قال الشاعر:

 # النخل فالقصر فالحماء بينهما أشهى إلى القلب من أبواب جيرون

وهذا البيت في الصوت الأوّل من كتاب الأغاني. وذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق: جيرون ويزيد أخوان هما ابنا سعد بن لقمان بن عاد، وبهما عرف باب جيرون ونهر يزيد. والصحيح أنّ باب جيرون إنما سمي باسم مولى من موالي سليمان عليه السلام في دولة بني إسرائيل، جيرون كان ظاهراً في دولتهم.

وذكر ابن سعيد في أخبار القبط: أنّ شدّاد بن بداد بن هداد بن شدّاد بن عاد

حارب بعضاً من القبط، وغلب على أسافل مصر، ونزل الإسكندرية وبنى فيها حينئذ مدينة مذكورة في التوراة يقال لها أون، ثم هلك في حروبهم ،وجمع القبط إخوتهم من البربر والسودان، وأخرجوا العرب من ملك مصر.

ثم لما اتصل ملك عاد وعظم طغيانهم وعتوّهم انتحلوا عبادة الأصنام والأوثان من الحجارة والخشب، ويقال: أنّ ذلك لانتحالهم دين الصابئة، فبعث الله إليهم أخاهم هوداً، وهو فيما ذكر المسعودى والطبريّ هود بن عبد الله بن رَبَاح بن الخَلود بن عاد، وفي كتاب البدء لابن حبيب: رباح بن حرب بن عاد، وبعضهم يقول هود بن عابر بن شالِخ بن أرْفخشذ. فوعظهم وكان ملوكهم لعهده :الخلجان ،ولقمان بن عاد بن عاديا بن صدا بن عادفا،آمن به لُقمان وقومه، وكفر الخلْجان، وامتنع هود بعشيرته من عاد. وحبس الله عنهم المطر ثلاث سنين، وبعثوا الوفود من قومهم إلى مكة يستسقون لهم، وكان في الوفد على ما قاله الطبري نعيم بن هزال بن هزيل بن عبيل بن صدا بن عاد. وقيل ابن عنز منهم، وحلقمة بن الخسري، ومرثد بن سعد بن عنز. وكان ممن آمن بهود واتبعه، وكان بمكة من عاد هؤلاء :معاوية بن بكر وقومه، وكانت هزيلة أخت معاوية عند نعيم بن هزال، وولدت له عبيداً وعمراً وعامراً، فلما وصل الوفد إلى مكة مرَّوا بمعاوية بن بكر وابنه بكر، ونزل الوفد عليه. ثم تبعهم لقمان بن عاد، وأقاموا عند معاوية وقومه شهراً لما بينهم من الخؤلة، ومكثوا يشربون وتغنيهم الجرادتان، قينتان لمعاوية بن بكر وابنه بكر. ثم غنتاهم شعراً تذكرهم بأمرهم، فانبعثوا ومضوا إلى الإستسقاء، وتخلف عنهم لقمان بن عاد ومرثد بن سعد، فدعوا في استسقائهم وتضرعوا، وأنشأ الله السحب، ونودي بهم أنّ اختاروا فاختاروا سوداءَ من السحب، وأنذروا بعذابها فمضت إلى قومهم وهلكوا كما قصَّه القرآن.

وفي خبر الطبري أنّ الوفد لما رجعوا إلى معاوية بن بكر، لقيهم خبر مهلك قومهم هنالك، وأن هوداً بساحل البحر، وأن الخلجان ملكهم قد هلك بالريح فيمن هلك، وأن الريح كانت تدخل تحت الرجل فتحمله، حتى تقطعوا

في الجبال، وتقلع الشجر وترفع البيوت ،حتى هلكوا أجمعون. انتهى كلام الطبري.

ثم ملك لقمان ورهطه من قوم عاد، واتصل لهم الملك فيما يقال ألف سنة أو يزيد، وانتقل ملكه إلى ولده لقمان، وذكر البخاري في تاريخه: أنّ الذي كان يأخذ كل سفينة غصباً هو هدد بن بدَد بن الخلجان بن عاد بن رقيم بن عابر بن عاد الأكبر، وأن المدينة

بساحل برقة ا هـ . ولم يزل ملكهم متصلاً إلى أنّ غلبهم عليه يعرب بن قحطان، واعتصموا بحبال حضرموت إلى أنّ انقرضوا. وقال صاحب زجار أنّ ملكهم عاد بن رقيم بن عابر بن عاد الأكبر هو الذي حارب يعرب بن قحطان، وكان كافراً يعبد القمر، وأنه كان على عهد نوح، وهذا بعيد، لأن بعثة هود كانت عند استفحال دولتهم، أو عند مبتدئها، وغلب يعرب كان عند انقراضها. وكذلك هدد الذي ذكر البخاري أنه ملك برقة إنما هو حافد الخلجان الذي اعتصم آخرهم بجبل حضرموت. وخبر البخاري مقدم.

وقال علي بن عبد العزيز الجر جاني: وكان من ملوك عاد يعمر بن شداد، وعبد أبهر بن معد يكرب بن شمد بن شداد بن عاد، وحناد بن مياد بن شمد بن شداد، وملوك آخرون أبادهم الله والبقاء لله وحده. فأما عبيل وهم إخوان عاد بن عوص فيما قاله الكلبي، وإخوان عوص بن إرم فيما قاله الطبريّ، وكانت ديارهم بالحجفة بين مكة والمدينة، وأهلكهم السيل. وكان الذي اختط يثرب منهم، هكذا قال المسعودى، وقال هو يثرب بن بائلة بن مهلهل بن عبيل. وقال السهيلي: أنّ الذي اختط يثرب من العماليق، وهو يثرب بن مهلايل بن عوص بن عمليق. وأما عبد ضخم بن إرم فقال الطبري: كانوا يسكنون الطائف وهلكوا فيمن هلك من ذلك الجيل. وقال غيره: إنهم أوّل من كتب بالخط العربى.

وأمَّا ثمود وهم بنو ثَمود بن كاثر بن إرم فكانت ديارهم بالحِجرْ ووادي القُرى، فيما بين الحجاز والشام، وكانوا ينحتون بيوتهم في الجبال، ويُقال: لأنّ أعمارهم كانت تطول، فيأتي البلاءُ والخرابُ على بيوتهم، فنحتوها لذلك في الصخر، وهي لهذا العهد، وقد مرَّ بها النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، ونهى عن دخولها كما في الصحيح، وفيه إشارة إلى أنَّها بيوتَ ثمود أهلُ ذلك الجيل. ويشهد ذلك ببطلان ما يذهب إليه القُصَّاصُ، ووقع مثله للمسعودي من أنّ أهل تلك الأجيال كانت أجسامهم مفرطةً في الطول والعِظَم، وهذه البيوت المشاهدة المنسوبة إليهم بكلام الصادق صلوات الله عليه، يشهد بأنَّهم في طولهم وعظم حُجُرَاتِهم مثلنا سواء، فلا أقدم من عاد وأهل أجيالهم فيما بلغنا.

ويقال: أنّ أَوَّل ملوكهم كان عابر بن إرم بن ثمود، ملك عليهم مائتي سنة. ثم كان من بعده جُنْدُعُ بن عمرو بن الدُبَيْل بن إرَم بن ثمود. ويقال: مَلَكَ نحواً من ثلثمائة سنة.

خريطة

وفي أيامه كانت بَعْثَةُ صالح عليه السلام، وهو صالح بن عَبِيل بن أسف بن شالِخ بن عبيل بن كاثَر بن ثمود، وكانوا أَهل كُفْرٍ وبَغْيٍ وعبادة أوثان، فدعاهم صالح إلى الدين والتوحيد. قال الطبريُّ: فلما جاءهم بذلك كفروا وطلبوا الآيات، فخرج بهم إلى هَضَبةٍ من الأرض ، فتمخَّضت عن الناقة، ونهاهم أنّ يتعرضوا لها بعقْرٍ أوْ هلكة، وأخبرهم مع ذلك أنهم عاقروها ولا بدَّ، ورأس عليهم قَدَار بن سالف، وكان صالح وصف لهم عاقِرَ الناقة بصفة قَدَار هذا، ولما طال النذير عليهم من صالح سئموه وهمَّوا بقتله، وكان يأوي إلى مسجدٍ خارج ملائهم، فكمن له رهْطٌ منهم تحت صخرة في طريقه ليقتلوه، فانطبقت عليهم وهلكوا وحِنقوا ومضوا إلى الناقة، ورماها قَدَارٌ بسهم في ضرعها وقتلها، ولجأ فصيلها إلى الجبل فلم يدركوه. وأقبل صالح وقد تخوف عليهم العذاب، فلمَّا رآه الفصيل أقبل إليه ورغا ثلاث رغاآت، فأنذرهم صالح ثلاثاً. وفي صبح الرابعة صُعقوا بصيحة من السماء تقطَّعت بها قلوبهم فأصبحوا جاثمين، وهلك جميعهم حيث كانوا من الأرض، إلَّا رجلاً كان في الحرم منعه الله من العذاب. قيل من هو يا رسول الله؟ قال: أبو رغال. ويقال: أنّ صالحاً أقام عشرين سنة ينذرهم، وتوفي ابن ثمان وخمسين سنة. وفي الصحيح أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ في غزوة تبوك بقُرى ثَمُود، فنهى عن استعمال مياههم وقال :لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا وأنتم باكون أنّ يصيبكم ما أصابهم،آهـ كلام الطبري.

وقال الجرجاني: كان من ملوكهم دوبان بن يَمْنَع ملك الإسكندرية، ومَوْهب بن
مُرَّة بن رحيب، وكان عظيم المُلك. وأخوه هُوبيل بن مرَّة كذلك. وفيما ذكره المفسرون أَنَّهم أوَّل من نحت الجبال والصخور، وأَنَّهم بنوا ألفاً وسبعمائة مدينة، وفي هذا ما فيه. ثم ذهبوا بما كسبوا،ودرجوا في الغابرين وهلكوا. ويقال: أنّ من بقاياهم أهلُ الرس الذين كان نبيهُّم حَنْظَلَةُ بن صَفْوان، وليس ذلك بصحيح. وأَهلُ الرَسّ هم حضور ويأْتي ذكرهم في بني فالغَ بن عَابر، وكذلك يزعم بعض النسَّابة أنّ ثقيفاً من بقايا ثَمود هؤُلاء وهو مردود. وكان الحجَّاج بن يوسف إذا سَمِع ذلك يقول: كذبوا. وقال والله جلَّ من قائل

يقول: وثمود فما أبقى، أي أهلكهم فما أبقى أحداً منهم. وأهلُ التوراة لا يعرفون شيأ من أخبار عاد ولا ثَمود، لأنهم لم يقع لهم ذِكْر في التوراة، ولا لهود ولا لصالح عليهما السلام، بل ولا لأحد من العرب العاربة لأن

سياق الأخبار في التوراة عن أولئك الأمم إنما هو لمن كان في عمود النسب ما بين موسى وآدم صلوات الله عليهم، وليس لأحد من آباء هؤلاء الأجيال ذكر في عمود ذلك النسب فلم يُذْكَرُوا فيها.

وأما جديس وطسم فعند ابن الكلبي أنّ جديساً لإرم بن سام، وديارهم اليمامة وهم أخوان لثمود بن كاثر، ولذلك ذكرهم بعدهم، وأن طسماً للاوذ بن سام وديارهم بالبحرين. وعند الطبريّ أنهما معاً للاوذ وديارهم باليمامة. ولهذين الإثنين خبرٌ مشهورَ ينبغي سياقُهُ عند ذكرهم، قال الطبريُّ عن هشام بن محمد الكلبي بسنده إلى ابن إسحق وغيره من علماء العرب: أنّ طسماً وجديسا كانوا من ساكني اليمامة ،وهي إذْ ذاك من أخصب البلاد وأعمرها وأكثرها خيراً وثمارا وحدائق وقصورا. وكان ملك طسم غشوماً لا ينهاه شيءٌ عن هواه، ويقال له: عملوق وكان مُضِرّاً لجديس مُسْتَذِلاً لَهُم ، حتى كانت البكر من جديس لا تهدى إلى زوجها حتى تدخل عليه فيفترعها. وكان السبب في ذلك أنّ امرأة منهم كان اسمها هُزَيْلةَ طلقها زوجها وأخذ ولده منها، فأمر عَمْلوق ببيعها، وأخذ زوجها الخُمس من ثمنها فقالت شعراً تتظلَّم منه، فأمر أنّ لا تزوَّج منهم امرأَة حتى يفترعها. فقاموا كذلك حتى تزوجت الشموس، وهي عفيرة ابنة غفار ابن جديس أخت الأسود ،فافتضها عملوق ، فقال الأسود بن غفار لرؤساء جديس: قد ترون ما نحن فيه من الذل والعار الذي ينبغي للكلاب أنّ تعافه، فأطيعوني أدعكم إلى عز الدهر، فقالوا: وما ذاك؟ قال: أصنع للملك وقومه دعوةً فإذا جاؤوا، يعني طَسْماً، نهضنا إليهم بأسيافنا فنقتلهم. فأجمعوا على ذلك ودفنوا سيوفهم في الرمل ودعوا عَمْلوقاً وقومَه. فلما حضروا قتلوهم ، فأَفنوهم ،وقتل الأسْود عملوقاً وأفلت رَباح بن مُرَّة بن طَسْم، فأتى حسان بن تُبّع مستغيثاً، فنهض حسّان في حِمْيَر لإغاثته، حتى كان من اليمامة على ثلاث مراحل. قال لهم رباح: أنّ لي أُختاً مُزوّجة في جديس إسمُها اليمامة، ليس على وجه الأرض أبصر منها، وأنها لتبصر الراكب على ثلاث مراحل، وأخاف أنّ تنظر القوم. فأمر كل رجل أنّ يقلع شجرة فيجعلها في يده، ويسير كأنه خلفها ففعلوا، وبصرت بهم اليمامة فقالت لجديس: لقد سارت إليكم حِمْيَر، وإني أرى رجلاً من

وراء شجرة بيده كتف يتعرقها، أو نعل يخصفها، فاستبعدوا ذلك ولم يحفلوا به. وصبحهم حَسَّانُ وجنوده من حِمْيَر فأبادهم وخَرَّب حصونهم وبلادهم

وهرب الأَسودُ بن غفَّار إلى جَبَليْ طيء ، فأقام بهما، ودعا تُبَّع باليمامة أخت رباح التي أبصرتهم فقلع عينها. ويقال: إنه وجد بها عروقا سوداً زعمت أنّ ذلك من اكتحالها بالإثْمِد، وكانت تلك البلد تسمى جُو فسُمِيَّت باليمامة اسم تلك المرأة.

قال أبو الفرج الأصبهاني: وكانت طيء تسكن الجُرُف من أرض اليمن، وهي اليوم

محلةٍ مراد وهمدان ، وسيدهم يومئذ سامة بن لؤي بن الغوث بن طيء، وكان الوادي مسبعةً، وهم قليل عددهم، وكان يجتاز بهم بعير في زمن الخريف ويذهب ثم يجيء من قابل ولا يعرفون ،مقرَّهُ وكانت الأزْد قد خرجت أيام سَيْل العرِم واستوحشت طيء فظعنوا على أثرهم، وقالوا لسامَةَ: هذا البعيرُ إنما يأتي من الريف والخِصْب، لأن في بعره النوى، فلما جاءهم زمن الخريف أتَّبعُوه يسيرون لسيره حتى هبط عن الجبلين، وهجموا على النخل في الشعاب وعلى المواشي، وإذا هم بالأسود بن غفار، في تلك الشعاب، فهالهم خلقه وتخوفوه، ونزلوا ناحية ونفضوا الطريق فلم يروا أحداً، فأمر سامة ابنه الغوث بقتل الأسود ، فجاء إليه فعجب من صغر خلقه، وقال: من أين أقبلتم؟ قال: من اليمن، وأخبره خبر البعير ثم رماه فقتله، وأقامت طيء بالجبلين بعده.

وذكر الطبري عن غير ابن إسحق أنّ تُبَّع الذي أوقع بجديس هو والد حَسَّان هذا، وهو ثبان أسعد أبو كرب بن ملكي كرب، ويأتي ذكره في ملوك اليمن أنّ شاء الله تعالى، انتهى كلام الطبري.

وقال غيره أنّ حسان بن تُبَّع لما سار بحمير إلى طسم بعث على مقدمته إليهم عبد كلال بن منوب بن حجر بن ذي رعين من أقيال حِمْيَر، فسلك بهم رباح بن مرة الرمل، وكانت الزرقاء أخت رباح ناكحاً في طسم، وتُسمَّى عنزة واليمامة، وكانت تبصر على البعد فأنذرتهم فلم يقبلوا. وصبح عبد بن كلال جديساً إلى آخر القِصَّة، وبقيت اليمامة بعد طسم يباباً لأ يا كل ثمرها إلا عوافي الطير والسباع، حتى نزلها بنو حنيفة، وكانوا بعثوا رائدهم عبيد بن ثعلبة الحنفي يرتاد لهم في البلاد، فلما أكل من ذلك الثمر، قال: أنّ هذا الطعام! وحجر بعصاه على موضع قصبة اليمامة، فسميت حجرا،

واستوطنها بنو حنيفة وبها صبحهم الإسلام كما يأتي في أخبارهم أنّ شاء الله تعالى.

وأما العمالقة فهم بنو عمليق بن لاوذ، وبهم يضرب المثل في الطول والجثمان. قال

الطبريُّ: عمليق أبو العمالقة كلهم أمم تفرَّقت في البلاد، فكان أهل المشرق وأهل عمان والبحرين وأهل الحجاز منهم، وكانت الفراعنة بمصر منهم، وكانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون منهم. وكان الذين بالبحرين وعمان والمدينة يسمون جاسم، وكان بالمدينة من جاسم هؤلاء بنو لفٍ وبنو سعدٍ بن هزال وبنو مطر وبنو الأزرق، وكان بنجد منهم بديل وراحل وغفار، وبالحجاز منهم إلى تيما بنو الأرقم ويسكنون مع ذلك نجداً. وكان ملكهم يُسمَّى الأرقم، قال: وكان بالطائف بنو عبد ضخم بن عاد الأول. انتهى .

وقال ابن سعيد فيما نقله عن كتب التواريخ التي اطلع عليها في خزانة الكتب،

بدار الخلافة من بغداد قال: كانت مواطن العمالقة تهامة من أرض الحجاز فنزلوها أيام خروجهم من العراق أمام النماردة من بني حام، ولم يزالوا كذلك إلى أنّ جاء إسماعيل صلوات الله عليه، وآمن به من آمن منهم. وتَطَرَّد لهم المُلك إلى أنّ كان منهم السميدع بن لاوذ بن عمليق، وفي أيامه خرجت العمالقة من الحرم، أخرجتهم جرهم من قبائل قحطان، فتفرقوا ونزل بمكان المدينة منهم بنو عبيل بن مهلايل بن عوص بن عمليق فعرفت به، ونزل أرض أيلة ابن هومر بن عمليق، واتصل ملكها في ولده. وكان السميد سمةً لمن ملك منهم إلى أنّ كان آخرهم السميدع بن هومر، الذي قتله يوشع لما زحف بنو إسرائيل إلى الشام بعد موسى صلوات الله عليه، فكان معظم حروبهم مع هؤلاء العمالقة هنالك، فغلبه يوشع وأسره وملك أريحا قاعدة الشام، وهي قرب بيت المقدس، ومكانها معروف لهذا العهد. ثم بعث من بني إسرائيل بعثا إلى الحجاز فملكوه وانتزعوه من أيدي العمالقة ملوكه ونزعوا يثرب وبلادها وخيبر. ومن بقاياهم يهود قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع وسائر يهود الحجاز على ما نذكره. ثم كان لهم ملك بعد ذلك في دولة الروم، وملكوا أذينة بن السميدع على مشارف الشام والجزيرة من ثغورهم، وأنزلوهم في التخوم ما بينهم وبين فارس. وهذا الملك أذينة بن السميدع هو الذي ذكره الشاعر في قوله:

#أزال أذينة عن ملكه وأخرج عن أهله ذا يزن

وكان من بعده حسان بن أذينة، ومن بعده طرف بن حسان بن يدياه نسبة إلى أمه، وبعده عمرو بن طرف، وكان بينه وبين جذيمة الأبرش حروب، وقتله جذيمة واستولى على ملكهم. وكان آخراً من العمالقة كما نذكر ذلك في موضعه.

ومن هؤلاء العمالقة فيما يزعمون عمالقة مصر. وأن بعض ملوك القبط استنصر بملك العمالقة بالشام لعهده، واسمه الوليد بن دومغ، ويقال ثوران بن أراشة بن فادان بن عمرو بن عملاق، فجاء معه ملك مصر واستعبد القبط. قال الجرجاني: ومن ثم ملك العماليق مصر ويقال: أنّ منهم فرعون إبراهيم وهو سنان بن الأشل بن عبيد بن عولج بن عمليق، وفرعون يوسف أيضاً منهم هو الريّان بن الوليد بن فوران، وفرعون موسى كذلك وهو الوليد بن مصعب بن أبي أهون بن الهلوان، ويقال إنه قابوس بن مُصْعَب بن مُعَاوية بن نمير بن السلواس بن فاران، وكان الذي ملك مصر بعد الريان بن الوليد طاشم بن معدان ا هـ .كلام الجرجاني. وقال غيره: الريان فرعون يوسف، وهو الذي تسميه القبط نقراوش، وأنّ وزيره كان أطفير وهو العزيز، وأنه آمن بيوسف، وأنَّ أَرضَ القَيُّوم، كانت مغايض للماء فدبَّرها يوسف بالوحي والحكمة حتى صارت أعزّ الديار المصرية، وملك بعده ابنه دارم بن الريان، وبعده ابنه معدانوس فاستعبد بني إسرائيل. قال الكلبي: ويذكر القبط أنَّه فرعون موسى، وذكر أهل الأثر أنَّه الوليد بن مُصْعَب وأنه كان نجاراً من غير بيت الملك، فاستولى إلى أنّ وَليَ حرسُ السلطان، ثم غلب عليه، ثم استبدّ بعده، وعليه انقرض أمر العمالقة. ولما غرق في اتباع موسى صلوات الله عليه، رجع الملك إلى القبط فولوا من بيت ملكهم دلوكة العجوز كما نذكره في أخبارهم أنّ شاء الله تعالى. وأما بنو إسرائيل فليس عندهم ذكر لعمالقة الحجاز، وعندهم أنّ عمالقة الشام من ولد عملاق بن اليفاذ--- بتفخيم الفاء--- ابن عيصو أو عيصاب أو العيص بن إسحق بن إبراهيم عليه السلام. وفراعنة مصر منهم على الرأيين.

وأما الكنعانيون الذين ذكر الطبري أنهم من العمالقة، فهم عند الإسرائيليين من كنعان بن حام، وكانوا قد انتشروا ببلاد الشام وملكوها، وكان معهم فيها بنو عيصو المذكورون، ويقال لهم بنو يدوم، ومن أيديهم جميعا ابتزها بنو إسرائيل عند المجيء أيام يوشع بن نون، ولذلك تزعم زناتة المغرب أنهم من هؤلاء العمالقة وليس بصحيح.

وأما أميم فهم إخوان عملاق بن لاوذ. قال السهيلي: يقال بفتح الهمزة وكسر الميم وبضم الهمزة وفتح الميم وهو أكثر. ووجدت بخط بعض

المشاهير أميم بتشديد الميم. ويذكر أنهم أول من بنى البنيان، واتخذ البيوت والآطام من الحجارة، وسقفوا بالخشب. وكانت ديارهم فيما يقال: أرض فارس، ولذلك زعم بعض نسابة الفرس أنهم من أميم، وأن كيومرث الذين ينسبون إليه هو ابن أميم بن

لاوذ وليس بصحيح. وكان من شعوبهم وبار بن أميم، نزلوا رمل عالج بين اليمامة والشحر وسالت عليهم الريح فهلكوا.

وأما العرب البايدة من بني أرفخشذ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ، فهم جرهم وحضورا وحضرموت والسلف. فأما حضورا فكانت ديارهم بالرس، وكانوا أهل كفر وعبادة أوثان، وبعث إليهم نبي منهم اسمه شعيب بن ذي مهرع فكذبوه وهلكوا كما هلك غيرهم من الأمم. وأما جرهم فكانت ديارهم باليمن، وكانوا يتكلمون بالعبرانية، وقال البيهقي: أنّ يعرب بن قحطان لما غلب عاداً على اليمن، وملكه من أيديهم ولى إخوته على الأقاليم، وولي جرهم على الحجاز، وولي بلاد عادٍ الأولى، وهي الشحر، عاد بن قحطان فعرفت به، وولي عمان يقطن بن قحطان. انتهى كلام البيهقي، وقيل إنما نزلت جرهم الحجاز، ثم بني قطور بن كركر بن عملاق لقحط أصاب اليمن، فلم يزالوا بمكة إلى أنّ كان شان إسماعيل عليه السلام ونبوته، فآمنوا به وقاموا بأمره، وورثوا ولاية البيت عنه، حتى غلبتهم عليه خزاعة وكنانة فخرجت جرهم من مكة، ورجعوا إلى ديارهم باليمن إلى أنّ هلكوا.

وأما حضرموت فمعدودون في العرب العاربة لقرب أزمانهم وليسوا من العرب البايدة لأنهم باقون في الأجيال المتأخرة، إلا أنّ يقال: أنّ جمهورهم قد ذهب من بعد عصورهم الأولى واندرجوا في كندة ،وصاروا من عدادهم، فهم بهذا الاعتبار قد هلكوا وبادوا والله أعلم. وقال علي بن عبد العزيز: أنه كانه فيهم ملوك التبابعة في علو الصيت ونهاية الذكر. قال وذكر جماعة من العلماء أنّ أول من انبسط ملكه منهم، وارتفع ذكره عمرو الأشنب بن ربيعة بن يرام بن حضرموت. ثم خلفه ابنه نمر الأزج، فملك مائة سنة وقاتل العمالقة، ثم ملك كريب ذو كراب، ثم نمر الأزج مائة وثلاثا وثلاثين سنة، وهلك إخوته في ملكه. ثم ملك مرثد ذو مروان بن كريب مائة وأربعين سنة، وكان يسكن مأرب ثم تحول إلى حضرموت،

ثم ملك علقمة ذو قيعان بن مرثد ذي مروان بحضرموت ثلاثين سنة، ثم ملك ذوعيل بن ذي قيعان عشر سنين، وسكن صنعاء وغزا الصين، فقتل ملكها وأخذ سيفه ذا النور، ثم ملك ذوعيل بن ذي عيل بحضرموت عشر

سنين، ولما شخص سنان ذو ألم لغزو الصين تحول ذوعيل إلى صنعاء واشتدت وطأته، وكان أول من غزا الروم من ملوك اليمن، وأول من أدخل الحرير والديباج إلى اليمن. ثم ملك بدعات بن ذي عيل بحضرموت أربع

خريطة

سنين. ثم ملك بدعيل بن بدعات وبنى حصونا وخلف آثارا، ثم ملك بديع ذو عيل، ثم ملك حماد بن بدعيل بحضرموت، فأنشأ حصنه المعقرب، وغزا فارس في عهد سابور ذي الأكتاف، وخرب وسبى، ودام ملكه ثمانين سنة. وكان أول من اتخذ الحجاب من ملوكهم. ثم ملك يشرح ذو الملك بن ودب بن ذي حماد بن عاد من بلاد حضرموت مائة سنة، وكان أول من رتب الرواتب، وأقام الحرس والروابط. ثم ملك منعم بن ذي الملك دثار بن خذيمة بن منعم، ثم يشرح بن جذيمة بن منعم، ثم نمر بن بشرح ،ثم ساجن المسمى ابن نمر وفي أيامه تغلبت الحبشة على اليمن.

هذه قبائل هذا الجيل من العرب العاربة وما كانوا عليه من الكثرة والملك، إلى أنّ انقرضوا وأزال الله من أمرهم بالقحطانية كما نحن ذاكروه. ولم نغفل منهم إلا من لم يصلنا ذكره من خيره، والله وارث الأرض ومن عليها. وأما جرهم فقال ابن سعيد: إنهم

أمتان أمة على عهد عاد وأمة من ولد جرهم بن قحطان، ولما ملك يعرب بن قحطان اليمن ملك أخوه جرهم الحجاز. ثم ملك من بعده ابنه عبد يا ليل، ثم بعده ابنه عبد المدان بن جرهم، ثم ابنه نفيلة بن عبد المدان، ثم ابنه عبد المسيح بن نفيلة، ثم ابنه مضاض بن عبد المسيح، ثم ابنه الحرس. ثم ملك من بعده جرهم بن عبد ياليل، ثم بعده ابنه عمرو بن الحرث، ثم أخوه بشير بن الحرث، ثم مضاض بن عمرو بن مضاض. قال وهذه الأمة الثانية هم الذين بعث إليهم إسماعيل عليه السلام وتزوج فيهم، انتهى.

خريطة

وأما بنو سبا بن يقطن فلم يبيدوا، وكان لهم بعد تلك الأجيال البائدة أجيال باليمن منهم حِمْيَر وكهلان وملوك التابعة وهم أهل الطبقة الثانية. وفي مسند الإمام أحمد: أنّ رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، قيل هو فروة بن مسيك المرادي عن سبا أرجل هو أو امرأة أم أرض؟ فقال بل رجل ولد عشرة فسكن اليمن منهم ستة، والشام أربعة. فأمّا اليمانيون فمذ حج وكندة والأزد والأشعر وأنمار وحمير. وأما الشاميون فلخم وجذام وعاملة وغسان. وثبت أنّ أباهم قحطان كان يتكلم بالعربية، ولقنها عن الأجيال قبله، فكانت لغة بنيه. ولذلك سموا العرب المستعربة، ولم يكن في آباء قحطان من لدن نوح عليه السلام إليه من يتكلم بالعربية، وكذلك كان أخوه فالغ ،وبنوه إنما يتكلمون بالعجمية، إلى أنّ جاء إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما، فتعلم العربية من جرهم فكانت لغة بنيه، وهم أهل الطبقة الثالثة المسمون بالعرب التابعة للعرب. فلنذكر هذا النسب لينتظم أجياله مع الأجيال السابقة واللاحقة، ونستوفي أنساب الأمم منها.

الخبر عن إبراهيم

أبي الأنبياء عليهم السلام ونسبه إلي فالغ بن عابر

وذكر أولاده صلوات ا لله عليهم وأحوالهم

ولنذكر الآن أهل هذا النسب ما بين إسماعيل ونوح عليهما السلام، ومن كان منهم، أو من إخوانهم أو أبنائهم من الأنبياء والشعوب والملوك، وما كان لإسماعيل صلوات الله عليه من الولد. ونختم هذه الطبقة الأولى بذكرهم ،وإن كانوا عجما في لغاتهم، إلا أنهم أصون الخليقة في أنسابهم، وكل البشر على بعض الآراء من أعقابهم، وهم مع ذلك معاصرون لهذه الطبقة، فيتسق الكلام فيهم على شرط كتابنا، ويتميز بذكر أخبارأحوال الطبقات التي بعدهم على الوفاء والكمال. فنبدأ أولا بذكر عمود هذا النسب على التوالي، ثم نرجع إلى أخبارهم. وإسماعيل صلوات الله عليه هو ابن إبراهيم بن آزر، وهو تارح وآزر اسم لصنمه لقب به ابن ناحور بن ساروخ بالخاء أو بالغين ابن عابر أو عنبر بن شالح أو شليخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح. وهذه الأسماء

الأعجمية كلها منقولة من التوراة ولغتها عبرانية، ومخارج حروفها في الغالب مغايرة لمخارج الحروف العربية. وقد يجيء الحرف منها بين

حرفين من العربية فترده العرب إلى أحد ذينك الحرفين، وفي مخرجه فيتغير عن أصله، ولذلك تكون فيها إمالة متسوطة أو محضة فيصير إلى حرف العلة التي بعده من ياء أو واو، فلذلك تنقل الكلمة منها على اختلاف. وإلا فشأن الأعلام أنّ لا تختلف. وقال الطبري: أنّ بين شالخ وأرفخشد أبا آخر اسمه قينن، وسقط ذكره من التوراة لأنه كان ساحرا وادعى الألوهية.وقال ابن حزم: في كتب النصارى أنّ بين فالغ وعابر أبا آخر اسمه ملكيصدق وهو أبو فالغ.

واعلم أنّ نوحا صلوات الله عليه بلغ عمره يوم الطوفان ستمائة سنة، عاش بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة، فكانت جملة ذلك تسعمائة وخمسين سنة. ألف سنة إلا خمسين. وهذا نص المصحف الكريم، وكذا وقع في التوراة بعينه. ومن الغريب الواقع في التوراة أنّ عمر إبراهيم كان يوم وفاة نوح ثلاثا وخمسون سنة، لأنه قال أنّ أرفخشد ولد لسام بعد سنتين من الطوفان، ولما بلغ خمسا وثلاثين سنة ولد له ابنه شالخ، وبعد ثلاثين سنة ولد ابنه عابر؛ وبلغ عابر أربعا وثلاثين سنة، فولد ابنه فالغ، وبلغ فالغ ثلاثين سنة، فولد له أرغو، وبلغ أرغو اثنتين وثلاثين سنة فولد شاروغ، وبلغ شاروغ ثلاثين سنة فولد ناحور، وبلغ ناحور تسعا وعشرين سنة فولد تارح، وبلغ تارح خمسا وسبعين سنة فولد إبراهيم. وجملة هذه السنين من الطوفان إلى ولادة إبراهيم مائتان وسبع وتسعون سنة. وعمر نوح بعد الطوفان ثلثمائة وخمسون سنة، فيكون إبراهيم بعد وفاة نوح ابن ثلاث وخمسين سنة، فيكون لقي نوحا صلوات الله عليهما، وخالطه وأخذ عنه، وهو على رأي بعضهم أب لجميع الشعوب من بعده، فلذلك كان الأب الثالث للخليقة من بعد آدم ونوح صلوات الله عليهم أجمعين أ هـ .

وفي كتاب البدء ونقله ابن سعيد: أنّ أول من ملك الأرض من ولد نوح كنعان بن كوش بن حام، فسار من أرض كنعان بالشام إلى أرض بابل، فبنى مدينة بابل إثني عشر فرسخا في مثلها، وورث ملكه ابنه النمرود بن كنعان، وعظم سلطانه في الأرض، وطال عمره وغلب على أكثر المعمور، وأخذ بدين الصابئة وخالفه الكلدانيون منهم في التوحيد وأسمائه، ومال معهم بنو سام، وكان سام قد نزل بشرقي الدجلة، وكان وصيُّ أبيه في الدين

والتوحيد، وورث ذلك ابنه أرفخشذ، ومعنى أرفخشذ مصباح مضيء ، فاشتغل بالعبادة ودعاه الكلدانيون إلى القيام بالتوحيد

فامتنع. ثم قام من بعده ابنه شالخ وعاش طويلا، وقام من بعده بأمره ابنه عابر كذلك، وخرج مع الكلدانيين على النمرود منكراً لعبادة الهياكل، فغلبه نمروذ وأخرجه من كوثا، فلحق هو ومن معه من الحلفاء بالجزيرة، وهي مدينة المجدل بين الفرات ودجلة. وعابر هذا هو أبو العبرانيين الذين تكلموا بالعبرانية، واستفحل ملكه بالمجدل. قال ابن سعيد وورث من بعده ابنه فالغ، وهو الذي قسم الأرض بين ولد نوح. وفي زمانه بنى النمروذ الصرح ببابل، وكان من أمره ما نصه القرآن، وقام بأمر فالغ من بعد ابنه ملكان فيما زعموا وغلبه الجرامقة والنبط على ملكه، وقام بالمجدل في ملكهم إلى أنّ هلك وخلف ابنه أتيا ويقال له الخضر وأما ارغو بن فالغ فعبر إلى كلواذا، ودخل في دين النبط، وهي بدعة الصابئة. وولد له منهم ابنه شاروخ. ثم بعده ناحور بن شاروخ، ثم بعده تارح بن ناحور الذي سمي آزر، واستخلص النمروذ آزر وقدمه على بيت الأصنام، والنمروذ من ملوك الجرامقة واسمه هاصد بن كوش. انتهى كلام ابن سعيد.

وولد لتارح وهو آزر على ما وقع في التوراة ثلاثة من الولد إبراهيم وناحور وهاران، ومات هاران في حياة أبيه تارح وترك ابنه لوطا فهو ابن أخي إبراهيم. قال الطبري: ولد إبراهيم الخليل قيل بناحية كوثا من السواد وهو قول ابن إسحق، وقيل بحران وقيل ببابل، وعامة السلف أنه ولد على عهد نمروذ بن كنعان بن كوش بن سام. وكان الكهان يتحدثون بولادة رجل يخالف الدين ويكسر الأصنام والأوثان، فأمر بذبح الولدان فولدته أمه وتركته بمغارة في فلاة من الأرض حتى كبر وشب، ورأى في الكواكب ما رآه وكملت نبوته، فأحضرته إلى أبيه ودعاه إلى التوحيد، فامتنع وكسر إبراهيم الأصنام واحضر عند نمروذ وقذفه في النار فصارت بردا وسلاما، وخرج منها ولم تعد عليه كما نص ذلك القرآن.ثم تدبر النمروذ في أمره وطلب من إبراهيم أنّ يقرب قربانا يفتدي مما دعاه إليه، فقال له إبراهيم: لن يقبل منك إلا الإيمان، فقال لا استطيع. وترك إبراهيم وشانه. ثم أمر الله إبراهيم بالخروج من أرض الكلدانيين ببابل، فخرج به أبوه تارح ومعهما على ما في التوراة ابنه ناحور بن تارح وزوجته ملكا بنت أخيه هاران، وحافده لوط بن

هاران، قال في التوراة وكنته سارة يعني زوج إبراهيم، فقيل إنها أخت ملكا بنت هاران بن تارح، وقيل بنت ملك حران، طعنت على قومها في الدين فتزوجها إبراهيم على أنّ لا يضرها، ويرد هذا ما في التوراة أنها خرجت معهم من أرض الكلدانيين إلى حران فتزوجها. وقيل: إنها بنت هاران بن ناحور. وهاران عم إبراهيم قاله السهيلي، فأقاموا بحران ومات بها أبوه تارح وعمره مائتا سنة وخمس سنين. ثم أمر بالخروج إلى أرض الكنعانيين ووعده الله بأن تكون أثرا لبنيه، وأنهم يكثرون مثل حصى الأرض.فنزل بمكان بيت المقدس وهو ابن خمس وسبعين سنة، ثم أصاب بلد الكنعانيين مجاعة، فخرج إبراهيم في أهل بيته وقدم مصر، ووصف لفرعون ملك القبط جمال امرأته سارة فأحضرها عنده، ولما هم بها يبست يده على صدره، فطلب منها الإقالة فدعت له الله فانطلقت يده. ويقال عاود ذلك ثلاثا يصاب في كلها وتدعو له فردها إلى إبراهيم واستخدمها هاجر.قال الطبري والملك الذي أراد سارة هو سنان بن علوان، وهو أخو الضحاك. والظاهر أنه من ملوك القبط.

ثم ساروا إلى أرض كنعان بالشام. ويقال: أنّ هاجر أهدها ملك الأردن لسارة وكان إسمه فيما قال الضبي صلاوق، وأنه انتزع سارة من إبراهيم، ولما هم بها صُرع مكانه، وسألها في الدعاء فدعت له، فأفاق فردها إلى إبراهيم وأخدمها هاجر أمة كانت لبعض ملوك القبط. ولما عاد إبراهيم إلى أرض كنعان نزل جيرون وهو مدفنه المسمى بالخليل؛ وكانت معظمة تعظمها الصابئة وتسكب عليها الزيت للقربان، وتزعم أنها هيكل المشتري والزهرة، فسماها العبرانيون إيليا ومعناه بيت الله.

ثم أنّ لوطا فارق إبراهيم عليه السلام لكثرة مواشيهما وتابعهما وضيق المرعى. فنزل المؤتفكة بناحية فلسطين وهي بلاد العدور المعروف بعدور صقر؛ وكانت هناك على ما

نقله المحققون خمس قرى سدوم. ووجدهم على ارتكاب الفواحش فدعاهم إلى الدين، ونهاهم عن المخالفة، فكذبوه وعتوا وأقام فيهم داعيا إلى الله إلى أنّ هلكوا كما قصه القرآن.وخرج لوط مع عساكر كنعان وفلسطين للقاء ملوك الشرق حين زحفوا إلى أرض الشام، وكانوا أربعة ملوك ملك الأهواز من بني غليم بن سام واسمه كرزلا عامر، وملك بابل واسمه في التوراة شنعا واسمه أمراقيل، ويقال هو نمروذ، وملك الأستار وما أدري معنى هذه اللفظة واسمه أريوح ، وملك كوتم ومعناه ملك أمم أو جماعة واسمه تزعال. وكان ملوك كنعان الذين خرجوا إليهم خمسة على عدد القرى الخمسة. وذلك أنّ ملك الأهواز كان استعبدهم اثنتي عشرة سنة ثم عصوا، فزحف إليهم واستجاش بالملوك المذكورين معه، فأصابوا من أهل جبال يسعين إلى فاران التي في البرية، وكان بها يومئذ الجويون من شعوب كنعان أيضا.وخرج ملك سدوم وأصحابه لمدافعتهم، فانهزم هو والملوك الذين معه من أهل سدوم، وسباهم ملك الأهواز ومن معه من الملوك، وأسروا لوطا وسبوا أهله، وغنموا ماشيته. وبلغ الخبر إبراهيم عليه السلام فاّتبعهم في ولده ومواليه نحواً من ثلثمائة وثمانية عشر، ولحقهم بظاهر دمشق فدهمهم فانفضوا وخلص لوطا في تلك الوقعة، وجاء بأهله ومواشيه، وتلقاهم ملك سدوم، واستعظم فعلتهم.

ثم أوحى الله إلى إبراهيم أنّ هذه الأرض: أرض الكنعانيين التي أنت بها، ملكتها لك ولذريتك وأكثرهم مثل حصى الأرض وأن ذريتك يسكنون في أرض ليست لهم أربعمائة سنة، ويرجع الحقب الرابع إلى هنا. ثم أنّ سارة وهبت مملوكتها هاجر القبطية لإبراهيم عليه السلام لعشر سنين من مجيئهم من مصر. وقالت لعل الله يرزقك منها ولداً، وكان إبراهيم قد سأل الله أنّ يهب له ولدا، فوعده به. وكانت سارة قد كبرت وعقمت عن الولد، فولدت هاجر لإبراهيم إسماعيل عليهما السلام لست وثمانين من عمره. وأوحى الله إليه أني قد باركت عليه وكثرته، ويولد له اثنا عشر ولدا ويكون رئيساً لشعب عظيم. وأدركت سارة الغيرة من هاجر وطلبت منه إخراجها، وأمره الله أنّ يطيع سارة في أمرها، فهاجر بها إلى مكة ووضعها وابنها بمكان زمزم عند دوحة هنالك وانطلق. فقالت له هاجر: آلله أمرك؟ قال: نعم،

فقالت: إذا لا يضيعنا. وانطلق إبراهيم، وعطش إسماعيل بعد ذلك عطشا شديداً وأقامت هاجر تتردّد بين الصفا والمروة إلى أنّ صعدت عليها

سبع مرات لعلها تجد شيئاً ؛ ثم أتته وهو يفحص برجليه فنبعت زمزم.
وعن السدي: أنه تركه في مكان الحجر، واتخذ فيه عريشاً وأن جبريل هو الذي همز له الماء بعقبه، وأخبر هاجر أنها عين يشرب بها ضيفان الله، وأن أبا هذا الغلام سيجيء ويبنيان بيتا لله هذا مكانه. ثم مرت رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم أقبلوا من كداء، ونزلوا أسفل مكة، فرأوا الطير حائمة فقالوا لا نعلم بهذا الوادي ماء، ثم أشرفوا فرأوا المرأة ونزلوا معها هنالك.
وعن ابن عباس: كانت احياؤها قريبا من ذلك المكان، فلما رأوا الطير تحوم عليه، أقبلوا إليه فوجدوهما فنزلوا معهما، حتى كان بها أهل أبيات منهم، وشب إسماعيل بينهم وتعلم اللغة العربية منهم، وأعجبهم وزوجوه امرأة منهم. وماتت أمه هاجر فدفنها في الحجر. ولما رجع إبراهيم وأقام في أهله بالشام، وبالغ أهل المؤتفكة في العصيان والفاحشة، ودعاهم لوط فكذبوه، وأقام على ذلك. قال الطبري: فأرسل الله رسولا من الملائكة لإهلاكهم، ومروا بإبراهيم فأضافهم وخدمهم، وكان من ضحك سارة وبشارة الملائكة لها باسحق وابنه يعقوب ما قضه القرآن. وكانت البشارة بإسحق وإبراهيم ابن مائة سنة، وسارة بنت تسعين. وفي التوراة أنه أمر أنّ يحرر ولده إسماعيل لثلاث عشرة سنة من عمره. ولكل من في بيته من الأحرار، فكان ذلك لتسع وتسعين من عمر إبراهيم. وقال له ذلك عهد بيني وبينك وذريتك .ثم أهلك الله المؤتفكة ونجى لوطاً إلى أرض الشام، فكان بها مع عمه إبراهيم صلوات الله عليهما. وولدت سارة إسحق وأمر الله إبراهيم بعد ولادة إسماعيل وإسحق ببناء بيت يعبد فيه ويذكر، ولم يعرف مكانه، فجعل له علامة تسير معه حتى وقفت به على الوضع، يقال إنها ريح لينة لها رأسان تسير معه حتى تكون بالموضع، ويقال بل بعث معه جبريل لذلك حتى أراه الموضع. وكان إبراهيم يعتاد إسماعيل لزيارته، ويقال أنه كان يستأذن سارة في ذلك وأنها شرطت عليه أنّ لا يقيم عندهم، وأنّ إبراهيم وجد امرأة لإسماعيل في غيبة منه. وكانت من العماليق، وهى عمارة بنت سعيد بن أسامة بن أكيل. فرآها فظة غليظة، فأوصاها لإسماعيل بأن يحوّل عتبة بابه، فلما قصت عليه الخبر والوصيّة، قال: ذاك أبي يأمرني أنّ اطلقك، فطلقها وتزوّج بعدها السيدة بنت مضّاض بن عمرو الجُرهمي، وخالفه إبراهيم إلى

بيته، فتسهلت له بالإذن وأحسنت التحية، وقرّبت الوضوء والطعام. فأوصاها لإسماعيل نجاني قد رضيت

عتبة بابك. ولما قصت عليه الوصية، قال: ذلك أبي يأمرني بإمساكك، فأمسكها. ثم جاء إبراهيم مرة ثالثة وقد أمره الله ببناء البيت، وأمر إسماعيل باعانته، فرفعوها من القواعد، وتمّ بناؤها وأذن في الناس بالحج.

ثم زوج لوط ابنته من مدين بن إبراهيم عليهما السلام، وجعل الله في نسلها البركة. فكان منهم أهل مدين الأمة المعروفة.

ثم ابتلى الله إبراهيم بذبح ابنه في رؤيا رآها وهي وَحْي، وكانت الفدية ونجّى الله ذلك الولد، كما قُصَّ في القرآن. واختلف في ذلك الذبيح من ولديه فقيل إسماعيل وقيل إسحق. وذهب إلى كلا القولين جماعة من الصحابة والتابعين. فالقول بإسماعيل لابن عباس وابن عمر والشعبي ومجاهد والحسن ومحمد بن كعب القرظي . وقد يحتجون له بقوله صلى الله عليه وسلم : "أنا ابن الذبيحين"، ولا تقوى الحجة به لأنّ عمّ الرجل قد يُجعل أباه بضرب من التجوز، لا سيما في مثل هذا الفخر. ويحتجون أيضاً بقوله تعالى: { **فبشرناها بإسحق، ومن وراء إسحق يعقوب**} [**سورة.....**] ، ولو كان ذبيحا في زمن الصبا لم تصح البشارة بابن يكون له، لأنّ الذبح في الصبا ينافي وجود الولد، ولا تقوم من ذلك حجة، لأن البشارة انما وقعت على وفق العلم بأنه لا يذبح ؛ وإنما كان ابتلاءلا براهيم. والقول بإسحق للعباس وعمرو وعلي وابن مسعود وكعب الأحبار وزيد بن أسلم ومسروق وعكرمة وسعيد بن جبير وعطا والزهري ومكحول والسدي وقتادة.

وقال الطبري: والراجح أنه إسحق، لأن نص القرآن يقتضي أنّ الذبيح هو المبشر به، ولم يبشر إبراهيم بولد إلا من زوجته سارة، مع أنّ البشارة وقعت إجابة لدعائه عند مهاجره من أرض بابل. وقوله: إني ذاهب إلى ربي سيهدين. ثم قال عقبة: رب هب لي من الصالحين. ثم قال عقبة: فبشرناه بغلام حليم. وذلك كله كان قبل هاجر، لأن هاجر إنما ملكتها سارة بمصر، وملكتها لإبراهيم بعد ذلك بعشر سنين. فالمبشر به قبل ذلك كله إنما هو ابن سارة، فهو الذبيح بهذه الدلالة القاطعة. وبشارة الملائكة لسارة بعد ذلك، حين كانوا ضيوفا عند إبراهيم في مسيرهم لإهلاك سدوم ،إنما كان تجديداً للبشارة المتقدمة ا هـ .

ثم توفيت لمائة وسبع وعشرين من عمرها، وذلك في قرية جيرون من بلاد بني حبيب الكنعانيين. فطلب إبراهيم منهم مقبرة لها، فوهبه عفرون بن صخر مغارة كانت في مزرعته، فامتنع من قبولها إلا بالثمن، فأجاب إلى ذلك، وأعطاه إبراهيم أربعمائة مثقال فضة، ودفن فيها سارة. وتزوج إبراهيم من بعدها قطورا بنت يقطان من الكنعانيين. وقال السهيلي قنطورا بزيادة نون بين القاف والطاء، وهذا الاسم أعجمي وطاوة قريبة من التاء. فولدت له كما هو مذكور في التوراة ستة من الولد وهم: زمران، يقشان، مدان، مدين، أشبق، شوخ.ثم وقع في التوراة ذكر أولادهم. فولد يقشان سبا ودذان، وولد ددّان أشور ثم ولطوسيح ولاميم. وولد مدين عيفا وعيفين وحنوخ وأفيداع وألزاعا. هذا آخر ولده من قنطورا في التوراة. وقال السهيلي: كان لإبراهيم عليه السلام أولاد آخرون: خمسة من امرأة اسمها حجين أو حجون بنت أهيب وهم كيسان وفروخ وأميم ولوطان ونافس. ولما ذكر الطبري بني قنطورا الستة، وسمّى منهم يقشان، قال بعده: وسائرهم من الأ خرى وهي رعوة. ثم قال: ومن يقشان جيل البربر ا هـ .فوُلدُ إبراهيم على هذا ثلاثة عشر: فإسماعيل من هاجر، وإسحق من سارة، وستة من قنطورا كما ذكر في التوراة، والخمسة بنو حجين عند السهيلي أو رعوة عند الطبري.

وكان إبراهيم عليه السلام قد عهد لإبنه إسحق أنّ لا يتزوّج في الكنعانيين، وأكد العهد والوصية بذلك لمولاه القائم على أموره، ثم بعثه إلى حران مهاجرهم الأول، فخطب من ابن أخيه بتويل بن ناحور بن آزر بنته رفقا فزوجها أبوها واحتملها ومن معها من الجواري، وجاء بها إلى إسحق في حياة أبيه، وعمره يومئذ أربعون سنة. فتزوجها وولدت له يعقوب وعيصو توأمين، وسنذكر خبرهما. ثم قبض الله نبئه إبراهيم صلوات الله عليه بمكان هجرته من أرض كنعان، وهو ابن مائة وخمس وسبعين سنة، ودفن مع سارة في مغارة عفرون الحبيبي وعرف بالخليل لهذا العهد. ثم جعل الله في ذريته النبوة والكتاب آخر الدهر.

فإسماعيل سكن مع جرهم بمكة وتزوج فيهم، وتعلم لغتهم وتكلم بها، وصار أبا لمن بعده من أجيال العرب، وبعثه الله إلى جرهم والعمالقة الذين كانوا بمكة وإلى أهل اليمن فآمن بعض وكفر بعض. ثم قبضه الله إليه وخلّف ولده بين جرهم، وكانوا على ما ذكر في التوراة اثنتي عشر أكبرهم بنايوت، وهو الذي تقوله العرب نابت ونبت، ثم قيذار وأدبيل وبسام ومشمع وذوما ومسا وحرّاه وقيما وبطور ونافس وقدما. قال ابن إسحق: وعاش فيما ذكر مائة وثلاثين سنة، ودفن في الحجر مع أمه هاجر، ويقال آجر. وفي التوراة أنه قبض ابن مائة وسبع وثلاثين سنة، وأن شيعته سكنوا من حويلا إلى شور قبالة مصر من مدخل أثور، وسكنوا على حذر شيع اخوته. وحويلا عند أهل التوراة هي جنوب برقة، والواو منها قريبة من الياء. وشور هي أرض الحجاز وأثور بلاد الموصل والجزيرة. ثم ولي البيت من بعد إسماعيل ابنه نابت، وأقام ولده بمكة مع أخوالهم جرهم حتى تشعبوا وكثر نسلهم، وتعددت بطونهم من عدنان في عداد معدّ، ثم بطون معدّ في ربيعة ومضر وإياد وأنمار بني نزار بن معد. فضاقت بهم مكة على ما نذكره عند ذكر قريش وأخبار ملكهم بمكة. فكانت بطون عدنان هذه كلها من ولد إسماعيل لإبنه نابت وقيل لقيذار. ولم يذكر النسابون نسلا من ولده الآخرين. وتشعبت من إسماعيل أيضاً عند جماعة من أهل العلم بالنسب بطون قحطان كلها فيكون على هذا أبا لجميع العرب بعده.

وأمّا إسحق فأقام بمكانه من فلسطين، وعمر وعمي بعد الكثير من عمره، وبارك على ولده يعقوب، فغضب بذلك أخوه عيصو وهمَّ بقتله، فأشارت عليه رفقا بنت بَتْويل بالسير إلى حرَّان عند خاله لابان بن بتوبل، فأقام عنده وزوّجه بنتيه. فزوجه أولا الكبرى واسمها ليَّا، وأخدمها جاريتها زُلْفة، ثم من بعدها أختها الصغرى واسمها راحيل، وأخدمها جاريتها بلها. وأوّل من ولد منهنّ ليَّا ولدت له رُوبيل ثم شمعون ثم لاوي، ثم يهوذا. وكانت راحيل لا تحبل فوهبت جاريتها بَلْها ليعقوب لتلد منه، فولدت له دان ثم نفتالي، ولما فعلت ذلك راحيل وهبت أختها ليا ليعقوب عليه السلام جاريتها زلفة، فولدت له كاد وآشر، ثم ولدت ليَّا من بعد ذلك يساخر ثم زبولون،

فكمل له بذلك عشرة من الولد. ثم دعت راحيل الله عزّ وجل أنّ يهب لها ولدا من يعقوب فولدت يوسف، وقد كملت له بحرَّان عشرون سنة، ثم أمر بالرحيل إلى أرض كنعان التي وعدوا بملكها. فارتحل وخرج لابان في اتباعه وعزم له في المقام

عنده فأبى، فودَّعه وانصرف إلى حران. وسار يعقوب لوجهه، حتى إذا قرب من بلد عيصو وهو جبل يسعين بأرض الكرك والشوبك لهذا العهد، اعترضه عيصو لتلقّيه وكرامته، فأهدى إليه يعقوب من ماشيته هديّة احتفل فيها، وتودّد إليه بالخضوع والتضرُّع، فذهب ما كان عند عيصو. وأوحى الله إليه بأن يكون إسمه إسرائيل، ومر على أرشاليم وهي بيت المقدس، فاشترى هنالك مزرعة ضرب فيها فسطاطه وأمر ببناء مرجح، سماه إيل في مكان الصخرة. ثم حملت راحيل هنالك فولدت له بنيامين وماتت من نفاسه، ودفنها في بيت لحم. ثم جاء إلى أبيه إسحق بقرية جيرون من أرض كنعان، فأقام عنده.

ومات إسحق عليه السلام لمائة وثمانين سنة من عمره، ودفن مع أبيه في المغارة، وأقام يعقوب بمكانه، وولده عنده. وشب يوسف عليه السلام على غير حالهم من كرامة الله به، وقصَّ عليهم رؤياه التي بَشَّر فيها بأمره، فغصوا به وخرجوا معه إلى الصيد، فالقوه في الجبَّ. واستخرجه السيَّارة الذين مرُّوا به بعد ذلك، وباعوه للعرب بعشرين مثقالاً ويقال: أنّ الذي تولّى بيعه هو مالك بن دَعَر بن واين بن عيفا بن مدين. واشتراه من العرب عزيز مصر، وهو وزيرها أو صاحب شرطتها. قال ابن إسحق واسمه أطفير بن رجيب، وقيل قوطفير. وكان ملكها يومئذ من العماليق الريَّان بن الوليد بن دُومغ. وربي يوسف عليه السلام في بيت العزيز، فكان من شأنه مع أمراته زليخا، ومكثه في السجن، وتعبيره الرؤيا للمحبوسين من أصحاب الملك، ما هو مذكور في الكتاب الكريم. ثم استعمله ملك مصر عندما خشي السُّنة والغلاء على خزائن الزرع في سائر مملكته، يقدر جمعها وتصريف الأرزاق منها، وأطلق يده بذلك في جميع أعماله، وألبسه خاتمه وحمله على مركبه. ويوسف لذلك العهد ابن ثلاثين سنة، فقيل عزل أطفير العزيز وولاه. وقيل بل مات أطفير فتزوّج زليخا وتولّى عمله ، وكان ذلك سبباً لانتظام شمله بأبيه وإخوته لما أصابتهم السنة بأرض كنعان، وجاء بعضهم للميرة، وكال لهم يوسف عليه السلام، وردّ عليهم بضاعتهم وطالبهم بحضور أخيهم، فكان ذلك كله سببا لاجتماعه بأبيه يعقوب بعد أنّ كبر وعمي.

قال ابن إسحق: كان ذلك لعشرين سنة من مغيبه، ولما وصل يعقوب إلى بلبيس قريباً من مصر خرج يوسف ليلقاه. ويقال خرج فرعون معه، وأطلق لهم أرض

بلبيس يسكنون بها وينتفعون. وكان وصول يعقوب صلوات الله عليه في سبعين راكباً من بنيه، ومعه أيوب النبي من بنيّ عيصو وهو أيوب بن برحما بن زبرح بن رعويل بن عيصو، واستقّروا جميعا بمصر، ثم قُبض يعقوب صلوات الله عليه لسبع عشرة من مقدمه ولمائة وأربعين من عمره، وحمله يوسف صلوات الله عليه إلى أرض فلسطين، وخرج معه أكابر مصر وشيوخها بإذن من فرعون. واعترضهم بعض الكنعانّيين في طريقهم فأوقعوا بهم، وانتهوا إلى مدفن إبراهيم وإسحق عليهما السلام، فدفنوه في المغارة عندهما، وانتقلوا إلى مصر. وأقام يوسف صلوات الله عليه بعد موت أبيه، ومعه إخوته إلى أنّ أدركته الوفاة، فقُبِضَ لمائة وعشرين سنة من عمره، وادرج في تابوت وختم عليه، ودفن في بعض مجاري النيل. وكان يوسف أوصى أنّ يحمل عند خروج بني إسرائيل إلى أرض اليفاع فيدفن هنالك، ولم تزل وصيته محفوظة عندهم، إلى أنّ حمله موسى صلوات الله عليه عند خروجه ببني إسرائيل من مصر.

ولما قُبَضَ يوسف صلوات الله عليه وبقي من بقي من الأسْباط، إخوته وبنيه تحت سلطان الفراعنة بمصر، تشعَّب نسلهم وتعدَّدوا إلى أنّ كاثروا أهل الدولة وارتابوا بهم فاستعبدوهم. قال المسعودي: دخل يعقوب إلى مصر مع ولده الأسباط وأولادهم حين أتوا إلى يوسف في سبعين راكبا، وكان مُقَامُهُم بمصر إلى أنّ خرجوا مع موسى صلوات الله عليه نحواً من مائتين وعشر سنين، فتداولهم ملوك القِبْط والعمالقة يمصر، ثم أحصاهم موسى في التَيْه، وعدّ من يطيق حمل السلاح من ابن عشرين فما فوقها فكانوا ستمائة ألف ويزيدون. وقد ذكرنا ما في هذا العدد من الوَهْم والغلوَّ في مقدّمة الكتاب، فلا نطوَّلَ به. ووقوعه، في نص التوراة لا يقضي بتحقيق هذا العدد، لأن المقام للمبالغة فلا تكون إعداده نصوصاً. وكان ليوسف صلوات عليه من الولد كثير إلا أنّ المعروف منهم اثنان: أفراثيم ومنشى، وهما معدودان في الأسباط، لأن يعقوب صلوات الله عليه أدركهما وبارك عليهما، وجعلهما من جملة ولده. وقد يزعم بعض من لا تحقيق عنده أنّ يوسف صلوات الله عليه إستقل آخرا بملك مصر، وينسب لبعض ضعفة المفسرَين، ومعتمدهم في ذلك قول

يوسف عليه السلام في دعائه: رب قد آتيتني من الملك، ولا دليل لهم في ذلك، لأن كل من ملك شيئاً ولوفي خاصة نفسه فاستيلاؤه يسمى مُلْكاً حتى البيت والفَرَس والخادم، فكيف من مَلَكَ التصرُّف، ولو كان في شعب واحد منها فهو ملك. وقد كان العرب يسمون أهل القرى والمدائن ملوكا، مثل هجر ومعان ودومة الجندل، فما ظنك بوزير مصر لذلك العهد، وفي تلك الدولة. وقد كان في الخلافة العباسيّة تسمى ولاة الأطراف وعمالها ملوكا، فلا استدلال لهم في هذه الصيغة، وأخرى أيضاً فيما يستدلون به من قوله تعالى: {**وكذلك مكنا ليوسف في الأرض** }[سورة...] ، أنّ لا يكون لهم فيه مستند، لأنَّ التمكين يكون بغير الملك. ونص القرآن إنَّما هو بولايته على أمور الزرع في جمعه وتفريقه، كما قال تعالى: { **اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم** }[سورة....]. ومساق القصة كلها أنه مرؤس في تلك الدولة بقرائن الحال كلها، لا ما يتوهم من تلك اللفظة الواقعة في دعائه، فلا نعدل من النص المحفوف بالقرائن إلى هذا المتوهم الضعيف. وأيضا فالقصّة في التوراة قد وقعت صريحة في أنه لم يكن ملكا، ولا صار إليه مُلْك. وأيضا فالأمر الطبيعي من الشوكة والقطامة له يدفع أنّ يكون حصل له ملك، لأنه إنما كان في تلك الدولة قبل أنّ يا تي إليه إخوته منفرداً لا يملك إلا نفسه، ولا يا تي الملك في هذا الحال، وقد تقدَّم ذلك في مقدمة الكتاب والله أعلم.

عيصو: وأما عيصو بن إسحق فسكن جبال بني يسعين من بني جوى إحدى شعوب كنعان، وهي جبال الشراة بين تبوك وفلسطين، وتعرف اليوم ببلاد كرك والشوبك. وكان من شعوبهم هنالك على ما في التوراة بنو لوطان وبنو شوبال وبنو صمقون وبنو عنا وبنو ديشوق وبنو يصد وبنو ديسان سبعة شعوب. ومن بني ديشون الأشبان، فسكن عيصو بينهم بتلك البلاد، وتزوّج منهم من بنات عنا بن يسعين من جوى ، وهي أهليقاما، وتزوّج أيضاً من بنات حي من الكنعانيين عاذا بنت أيلول وباسمت بنت إسماعيل عليه السلام. وكان له من الولد خمسة مذكورون في التوراة أكبرهم أليفاز، بالفاء المفخّمة وإشباع حركتها وزاي معجمة من بعدها من عاذا بنت أيلول. ثم رعويل من باسمت بنت إسماعيل، ثم يعوش ويعلام وقورح من أهليقاما

بنت عنا. وولد أليفاز ستة من الولد: ثيمال وأومار وصفو وكعتام وقتال وعمالق السادس، لسرّيّة اسمها تمتاع وهي شقيقة لوطان بن يسعين. وولد رعويل بن عيصو أربعة من الولد: ناحة وزيدم وشتما ومرّا. هكذا وقع ذكر وُلْد العيص وولدهم في التوراة.وفيها أنّ

العيص إسمه أدوم، فلذلك قيل لهم بنو أدوم، ولبعض الإسرائيليين أنّ أدوم اسم لذلك الجبل، ومعناه بالعبرانية الجبل الأحمر الذّي لا نبات به. وقد يقع لبعض المؤرّخين أنّ القياصرة ملوك الروم من ولد عيصو، وقال الطبريُّ: أنّ الروم وفارس من ولد رعويل بن باسمت وليس ذلك كله بصحيح. ورأيته في كتاب يوسف بن كرمون: مؤرخ العمارة الثانية ببيت المقدس قبيل الجلوة الكبرى وكان من كهنوتينا اليهود، وهو قريب من الغلط.

قال ابن حزم في كتاب الجمهرة: وكان لإسحق عليه السلام ابن آخر غير يعقوب اسمه عيصاب أو عيصو، كان بنوه يسكنون جبال الشراة بين الشام والحجاز، وقد بادوا جملة، إلا أنّ قوما يذكرون أنّ الروم من وُلْده وهذا خطأ. وإنّما وقع لهم هذا الغلط لأن موضعهم كان يقال له أدوم فظنوا أنّ الروم من ذلك الموضع وليس كذلك، لأن الروم إنما نسبوا إلى رمس باني رومة، فإن ظنّ ظان أنّ قول النبيّ صلى الله عليه وسلم للحُرّ بن قيس: هل لك في بلاد بني الأصفر العام، وذلك في غزوة تبوك، يدل على أنّ الروم من بني الأصفر وهو عيصاب المذكور وليس كما ظُنّ وقول النبيّ صلى الله عليه وسلم حق ؛ وإنما عنى عليه السلام بني عيصاب على الحقيقة لا الروم، لأن مغزاه عليه الصلاة والسلام في تلك الغزوة كان إلى ناحية الشراة مسكن القوم المذكورين ا هـ . كلام ابن حزم.

وزعم أهروشيوش مؤرّخ الروم أنّ أم الفينان وهاؤا وعالوم وقدوح الأربعة من بنات كاتيم بن ياوان ابن يافث، والأوّل أصح لأنه نص التوراة. ثم كثر نسل بني عيصو بأرض يسعين وغلبوا الجويّين على تلك البلاد، وغلبوا بني مدين أيضاً على بلادهم إلى أيلة. وتداول فيهم ملوك وعظماء، كان منهم فالغ بن ساعور، وبعده يودب بن زيدح. ثم كان منهم هداد بن مدّاد الذي أخرج بني مدين عن مواطنهم. ثم كان فيهم بعده ملوك إلى أنّ زحف يوشع إلى الشام، وفتح أريحاء وما بعدها، وانتزع الملك من جميع الأمم الذين كانوا هنالك، ثم استلحمهم بختنصر عندما ملك أرض القدس، ولحق بعضهم بأرض يونان وبعضهم بأفريقية. وأما عمالق بن أليفاز فمن عقبه عند الإسرائيليين عمالقة الشام. وفي قول فراعنة مصر من القِبْط. ونُسّاب العرب يأبون

من ذلك، ونسبوهم إلى عملاق بن لاوذ كما مرّ. ثم بنو يروم وكنعان، ولم يبق منهم عين تطرف والله الباقي بعد فناء خلقه.

مدين: وأمّا مدين بن إبراهيم فتزوّج بابنة لوط، وجعل الله في نسلها البركة، وكان له من الولد خمسة: عيفا وعيفين وحنوخ وأنيداغ وألزاعا. وقد تقدم ذكرهم في ولد إبراهيم من قنطورا، فكان منهم مدين أمّة كبيرة ذات بطون وشعوب، وكانوا من أكبر قبائل الشام وأكثرهم عددا. وكانت مواطنهم تجاور أرض معان من أطراف الشام مما يلي الحجاز قريبا من بحيرة قوم لوط. وكان لهم تغلبٌ بتلك الأرض فعتوا وبغوا وعبدوا الآلهة، وكانوا يقطعون السُبُل ويبخسون في المكيال. وبعث الله فيهم شعيبا نبيا منهم وهو ابن نويل بن رعويل بن عيا بن مدين. قال المسعوديّ: مدين هؤلاء من ولد المحضر بن جندل بن يعصب بن مدين، وأن شُعيبا أخوهم في النسب، وكانوا ملوكا عدة يسمون بكلمات أبجد إلى آخرها وفيه نظر. وقال ابن حبيب في كتاب البدء: هو شُعَيْب بن نويب بن أحزم بن مَدْيَن وقال السهيلي: شعيب بن عيفا ويقال ابن صيفون. وشعيب هذا هو شعيب موسى الذي هاجر إليه من مصر أيام القبط، واستأجره على إنكاح ابنته إياه على أنّ يخدمه ثماني سنين، وأخذ عنه آداب الكتاب والنبوّة حسبما يا تي عند ذكر موسى صلوات الله عليهما، وأخبار بني إسرائيل. وقال الصيمري: الذي استأجر موسى وزوّجه: هو بَثْر بن رعويل. ووقع في التوراة أنّ اسمه يَبْثُر وأن رعويل أباه أو عمّه هو الذي تولى عقد النكاح. وكان لمدين هؤلاء مع بني إسرائيل حروب بالشام، ثم تغلب عليهم بنو إسرائيل وانقرضوا جميعا.

لوط: وأما لوط بن هاران أخي إبراهيم عليهما السلام فقد تقدّم من خبره مع قومه ما ذكرناه هنالك. ولما نجا بعد هلاكهم لحق بأرض فلسطين، فكان بها مع إبراهيم إلى أنّ قبضه الله، وكان له من الولد على ما ذكر في التوراة عمُّون، بتشديد الميم وإشباع حركتها بالضمّ ونون بعدها، وموآيي بإشباع ضمة الميم وإشباع فتحة الهمزة بعدها وياء تحتية وبعدها ياء ساكنة هوائية، وجعل الله في نسلهما البركة حتى كانوا من أكثر قبائل الشام، وكانت مساكنهم بأرض البلقاء ومدائنها في بلد موآيي ومعان وما والاهما. وكانت لهم مع بني إسرائيل حروب نذكرها في أخبارهم، وكان منهم بلعام

بن باعورا بن رسيوم بن برسيم بن موآيي، وقصته مع ملك كنعان حين طلبه في الدعاء على بني إسرائيل أيام موسى صلوات الله عليه، وأنّ دعاءه صرف إلى

الكنعانيين مذكورة في التوراة ونوردها في موضعها.

وأمّا ناحور أخو إبراهيم عليه السلام فقد تقدّم ذكره أنه هاجر مع إبراهيم عليه السلام من بابل إلى حرّان، ثم إلى الأرض المقدّسة، فكان معه هنالك، وكانت زوجته مَلْكا بنت أخيه هاران، ومَلْكا هذه هي أخت سارة زوج إبراهيم عليه السلام، وأم إسحق. وكان لناحور من مَلْكا على ما وقع في نص التوراة ثمانية من الوُلْد: عوص وبوص، وقمويل وهو أبو الأرمن، وكاس ومنه الكلدانيّون الذين كان منهم بختنصّر وملوك بابل، وحذو وبلداس وبلداف ويثويل. وكان له من سرية إسمها أدوما أربعة من الوُلْد وهم: طالج وكاحم وتاخش وماعخا. هؤلاء ولد ناحور أخي إبراهيم كلهم مذكورون في التوراة وهم إثنا عشر ولدا، وهؤلاء كلهم بادوا وانقرضوا، ولم يبق منهم إلاّ الأرمن من قمويل بن ناحور أخي إبراهيم عليه السلام ابن آزر، وهم لهذا العهد على دين النصرانية ومواطنهم في أرمينية شرقي القسطنطينية. والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين. وهذا آخر الكلام في الطبقة الأولى من العرب ومن عاصرهم من الأمم، ولنرجع إلى أهل الطبقة الثانية وهم العرب المستعربة، والله سبحانه وتعالى الكفيل بالإعانة.

شجرة نسب إبراهيم

صورة

الطبقة الثانية من العرب

وهم العرب المستعربة وذكر أنسابهم

وأيامهم وملوكهم والإلمام ببعض الدول التي كانت على عهدهم

وإنّما سمّي أهل هذه الطبقة بهذا الاسم، لأنّ السمات والشعائر العربية لما انتقلت إليهم ممن قبلهم إعتبرت فيها الصيرورة بمعنى أنهم صاروا إلى حال لم يكن عليها أهل نسبهم، وهي اللغة العربية التي تكلموا بها. فهو من استفعل بمعنى الصيرورة من قولهم: استنوق الجمل واستحجر الطين. وأهل الطبقة الأولى لما كانوا أقدم الأمم– فيما يعلم– جيلا كانت اللغة العربية لهم بالأصالة ،وقيل العاربة.

واعلم أنّ أهل هذا الجيل من العرب يعرفون باليمنيَّة والسبائيّة، وقد تقدم أنّ نسَّابة بني إسرائيل يزعمون أنّ أباهم سَبَا من وُلْدِ كوش بن كنعان، ونسَّابة العرب يأبون ذلك ويدفعونه، والصحيح الذي عليه كافتهم أنهم من قحطان، وأنّ سبا هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان. وقال ابن إسحق: يعرب بن يشْجُب فقدم وأخر. وقال ابن ماكولا على ما نقل عنه السهيليّ: اسم قحطان مَهْزَم. وبين النسَّابة خلاف في نسب قحطان: فقيل هو ابن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام أخو فالغ ويقطُن، ولم يقع له ذكر في التوراة، وإنّما ذكر فالغ ويقطن. وقيل هو معرَّب يَقْطُن لأنّه إسمٌ أعجمي، والعرب تتصرّف في الأسماء الأعجمية بتبديل حروفها وتغييرها، وتقديم بعضها على بعض. وقيل: أنّ قحطان بن يمن بن قيدار، وقيل: أنّ قحطان من ولد إسماعيل. وأصح ما قيل في هذا أنّه قحطان بن يمن بن قيدر ويقال الهُمَيْسع بن يَمَن بن قيدار، وأنّ يمن هذا سميت به اليمن. وقال ابن هشام: أنّ يعرب بن قحطان كان يسمى يمنا وبه سميت اليمن. فعلى القول بأن قحطان من ولد إسماعيل تكون العرب كلهم من ولده، لأن عدنان وقحطان يستوعبان شعوب العرب كلها.

وقد احتج لذلك من ذهب إليه بأنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال لرماة الأنصار:" ارموا يا بني إسماعيل، فإن أباكم كان راميا". والأنصار من

ولد سبا وهو ابن قحطان، وقيل: إنّما قال ذلك لقوم من أسلم من أقصى إخوة خزاعة بن حارثة بناء على أنّ نسبهم في سَبَا. وقال السهيلي: ولا حجة في شيء منهما، لأنه إذا كانت العرب كلها من ولد

إسماعيل فهذا من السهيليّ جنوح إلى القول بمفهوم اللقب وهو ضعيف. ثم قال: والصحيح أنّ هذا القول إنما كان منه صلى الله عليه وسلم لأسلم كما قدّمناه، وإنما أراد أنّ خزاعة من معد بن إلياس بن مضر، وليسوا من سبا ولا من قحطان، كما هو الصحيح في نسبهم على ما يأتى. واحتجوا أيضاً لذلك بأنّ قحطان لم يقع له ذكر في التوراة كما تقدم، فدل على إنه ليس من ولد عابر فترجح القول بأنّه من إسماعيل، وهذا مردود بما تقدم أنّ قحطان معرب يقطن وهو الصحيح. وليس بين الناس خلاف في أنّ قحطان أبو اليمن كلهم.ويقال: إنه أوّل من تكلم بالعربية، ومعناه من أهل هذا الجيل.الذين هم العرب المستعربة من اليمنية، وإلّا فقد كان للعرب جيل آخر وهم العرب العاربة، ومنهم تعلم قحطان تلك اللغة العربية ضرورة، ولا يمكن أنّ يتكلم بها من ذات نفسه. وكان بنو قحطان هؤلاء معاصرين لإخوانهم من العرب العاربة، ومظاهرين لهم على أمورهم، ولم يزالوا مجتمعين في مجالات البادية، مبعدين عن رتبة الملك وترفه الذي كان أولئك، فأصبحوا بمنجاة من الهرم الذي يسوق إليه الترف والنضارة، فتشعبت في أرض الفضاء فصائلهم، وتعدّد في جوّ القفر أفخاذهم وعشائرهم، ونما عددهم وكثرت إخوانهم من العمالقة في آخر ذلك الجيل، وزاحموهم بمناكبهم واستجدوا خلق الدولة بما استأنفوه من عزهم.

وكانت الدولة لبني قحطان متصلة فيهم، وكان يعرب بن قحطان من أعاظم ملوك العرب. يقال: انه أول من حيّاه قومه بتحية الملك. قال ابن سعيد: وهو الذي ملك بلاد اليمن وغلب عليها قوم عاد، وغلب العمالقة على الحجاز وولى إخوته على جميع أعمالهم فولّى جرهما على الحجاز، وعاد بن قحطان على الشحر، وحضرموت بن قحطان على جبال الشحر وعمان بن قحطان على بلاد عمان. هكذا ذكر البيهقي.وقال ابن حزم: وعدّ لقحطان عشرة من الولد، وأنه لم يعقب منهم أحد. ثم ذكر ابنين منهم دخلوا في حِمْيَر، ثم ذكر الحرث بن قحطان وقال: فولد فيما يقال له لاسور، وهم رهط حنظلة بن صفوان نبي الرس، والرس ما بين نجران إلى اليمن، ومن حضرموت إلى اليمامة. ثم ذكر يعرب بن قحطان وقال فيهم الحميريّة والعدّاد انتهى. قال ابن سعيد وملك بعد يعرب إبنه يشجب، وقيل إسمه يمن، واستبدّ أعمامه

بما في أيديهم من الممالك. وملك بعده إبنه عبد شمس، وقيل عابر ويسمى سبا، لأنه قيل إنه أوّل من سنّ السبي، وبنى مدينة سبا وسد مأرب. وقال صاحب التيجان إنه غزا

الأقطار، وبنى مدينة عين شمس بإقليم مصر، وولّى عليها إبنه بابليون، وكان لسبا من الولد كثير، وأشهرهم حِمْيَر وكهلان اللذان منهما الأمتان العظيمتان من اليمنية أهل الكثرة والملك والعزّ وملك حِمْيَر منهم أعظمه. وكان منهم التبابعة كما يذكر في أخبارهم. وعدّ ابن حزم في ولده زيدان وابنه نجران بن زيدان، وبه سميت البلد.

ولما هلك سبا قام بالملك بعده ابنه حِمْيَر ويعرف بالعرنجج، وقيل هو أول من تتوج بالذهب. ويقال انه ملك خمسين سنة. وكان له من الولد ستة فيما قال السهيلي: واثل ومالك وزيد وعامر وعوف وسعد. وقال أبو محمد بن حزم: الهميسع ومالك وزيد وواثل ومشروح ومعديكرب وأوس ومرّة. وعاش فيما قال السهيلى ثلثمائة سنة، وملك بعده ابنه واثل وتغلب أخوه مالك بن حِمْيَر على عمان، فكانت بينهما حروب. وقال ابن سعيد: أنّ الذي ملك بعد حِمْيَر أخوه كهلان، ومن بعد واثل بن حِمْيَر، ثم من بعد واثل السكسك بن واثل. وكان مالك بن حِمْيَر قد هلك وغلب على عمان بعده ابنه قضاعة، فحاربه السكسك وأخرجه عنها، وملك بعده ابنه يعفر بن السكسك، وخرجت عليه الخوارج، وحاربه مالك بن الحاف بن قضاعة، وطالت الفتنة بينهما وهلك يعفر وخلف ابنه النعمان حملا ويعرف بالمعافر، واستبد عليه من بني حِمْيَر ماران بن عوف بن حِمْيَر ويعرف بذي رياش، وكان صاحب البحرين، فنزل نجران واشتغل بحرب مالك بن الحاف بن قضاعة.ولما كبر النعمان حبس ذا رياش واستبدّ بأمره، وطال عمره وملك بعده ابنه أسجم بن المعافر، فاضطربت أحوال حِمْيَر وصار ملكهم طوائف، إلى أنّ استقر في الرايش وبنيه التبابعة كما نذكره. ويقال انّ بني كهلان تداولوا الملك مع حِمْيَر هؤلاء وملك منهم جبّار بن غالب بن كهلان، وملك أيضا من شعوب قحطان نجران بن زيد بن يعرب بن قحطان، وملك من حِمْيَر هؤلاء، ثم من بني الهميسع بن حِمْيَر أبين بن زهير بن الغوث بن أبين بن الهميسع، وإليه نسب عرب أبين من بلاد اليمن. وملك منهم أيضاً عبد شمس بن واثل بن الغوث بن حيران بن قطن بن عريب بن زهير بن أبين بن الهميسع بن حِمْيَر. ثم ملك من أعقابه شداد بن المطاط بن عمرو بن ذي هرم بن الصوّان بن عبد شمس، وبعده أخوه لقمان ثم أخوهما ذو شدد، وهدّاد ومداثر، وبعده

ابنه الصعب، ويقال انه ذو القرنين. وبعده أخوه الحرث بن ذي شدد، وهو الرائش جدّ

الملوك التبابعة. وملك في حِمْيَر أيضا من بني الهميسع من بني عبد شمس هؤلاء، حسان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس. قال أبو المنذر هشام بن الكلبي في كتاب الأنساب، ونقلته من أصل عتيق بخط القاضي المحدّث أبي القاسم بن عبد الرحمن بن حبيش قال: ذكر الكلبى عن رجل من حِمْيَر من ذي الكلاع قال: أقبل قيس يحرق موضعا باليمن، فأبدى عن أزج فدخل فيه، فوجد سريرا عليه رجل ميت وعليه جباب وشي مذهّبة في رأسه تاج، وبين يديه مجحن من ذهب، وفي رأسه ياقوتة حمراء، وإذا لوح مكتوب فيه: بسم الله رب حِمْيَر، أنا حسان بن عمرو والقيل، مات في زمان هيد وماهيد، هلك فيها اثنا عشر ألف قبيل، فكنت آخرهم قبيلا، فابتنيت ذا شعبين ليجيرني من الموت فاخفرني ا هـ . كلامه. وقال الطبريّ: وقيل أنّ أوّل من ملك اليمن من حِمْيَر شمر بن الأملوك، كان لعهد موسى عليه السلام وبني طفّار، وأخرج منها العمالقة، ويقال كان من عمال الفرس على اليمن. انتهى الكلام في أخبار حِمْيَر الأولى والله سبحانه تعالى ولي العون.

خريطة

الخبر عن ملوك التبابعة من حِمْيَر

و أوليتهم باليمن ومصاير أمورهم

هؤلاء الملوك من ولد عبد شمس بن واثل بن الغوث باتفاق من النسّابين، وقد مرّ نسبه إلى حِمْيَر، وكانت مدائن ملكهم صنعاء ومأرب على ثلاث مراحل منها. وكان بها السدّ، ضربته بلقيس ملكة من ملوكهم سدّا ما بين جبلين بالصخر والقار، فحقنت به ماء العيون والأمطار، وتركت فيه خروقا على قدر ما يحتاجون إليه في سقيهم، وهو الذي يسمى العرم والسكر وهو جمع لا واحد له من لفظه قال الجعدي:

 # من سبأ الحاضرين مأرب اذ يبنون من دون سيله العرما

أي السدّ ويقال أنّ الذي بنى السدّ هو حِمْيَر أبو القبائل اليمنية كلها قال الأعشى:

 # ففي ذلك للمؤتسي أسوة مأرب غطى عليه العرم

 # رخـام بناه لهم حِمـــــــْيَر إذا جاءه من رامه لم يرم

وقيل بناه لقمان الأكبر ابن عاد كما قاله المسعودي، وقال: جعله فرسخاً في فرسخ، وجعل له ثلاثين شعباً، وقيل وهو الأليق والأصوب أنه من بناء سبا بن يشجب، وأنه ساق إليه سبعين وادياً، ومات قبل إتمامه، فأتمّه حِمْيَر من بعده، وإنّما رجحّناه لأن المباني العظيمة والهياكل الشامخة لا يستقل بها الواحد كما قدّمنا في الكتاب الأوّل. فأقاموا في جناته عن اليمين والشمال كما وصف القرآن. ودولتهم يومئذ في جناته عن اليمين والشمال كما وصف القرآن. ودولتهم يومئذ أوفر ما كانت، وأترف وأبذخ وأعلى يداً وأظهر، فلما طغوا وأعرضوا سلط الله عليهم الخلد وهو الجرذ، فنقبه من أسفله فأحجفهم السيل، وأغرق جناتهم، وخربت أرضهم، وتمزق فلكهم وصاروا أحاديث.

وكان هؤلاء التبابعة ملوكاً عدّة في عصور متعاقبة وأحقاب متطاولة، ولم يضبطهم الحصر ولا تقيدت منهم الشوارد. وربما كانوا يتجاوزون ملك اليمن

إلى ما بعد عنهم من العراق والهند والمغرب تارة، ويقتصرون على يمنهم أخرى، فاختلفت أحوالهم واتفقت أسماء كثيرة من ملوكهم،ووقع اللبس في نقل أيامهم ودولهم، فلنأت بما صحّ منها متحرّياً جهد الإستطاعة عن طموس من الفكر واقتفاء التقاييد المرجوع

إليها، والأصول المعتمد على نقلها وعدم الوقوف على أخبارهم مدونة في كتاب واحد والله المستعان.

قال السهيليّ: معنى تبّع الملك المتبع، وقال صاحب المحكم: التبابعة ملوك اليمن، وأحدهم تبّع لأنهم يتبع بعضهم بعضاً، كلما هلك واحد قام آخر تابعا له في سيرته، وزادوا الباء في التبابعة لارادة النسب. قال الزمخشري: قيل لملوك اليمن التبابعة لأنهم يتبعون كما قيل الأقيال، لأنهم يتقيلون. قال المسعودى: ولم يكونوا يسمون الملك منهم تبعاً حتى يملك اليمن والشحر وحضرموت ، وقيل حتى يتبعه بنو جشم بن عبد شمس، ومن لم يكن له شيء من الأمرين فيسمى ملكاً ولا يقال له تبّع.

وأول ملوك التبابعة باتفاق من المؤرخين الحرث الرائش، وإنما سميّ للرائش لأنه راش الناس بالعطاء، واختلف الناس في نسبه بعد اتفاقهم على أنه من ولد واثل بن الغوث بن حيران بن قطن بن غريب بن زهير بن ابين بن الهميسع بن حِمْيَر. فقال ابن إسحق: وأبو المنذر بن الكلبي انّ قيسا بن معاوية بن جشم. فابن اسحق يقول في نسبه إلى سبا الحرث بن عديّ بن صيفي: وابن الكلبيّ يقول الحرث بن قيس بن صيفي. وقال السهيلي هو الحرث بن همال بن ذي سدد بن الملطاط بن عمرو بن ذي يقدم بن الصوار بن عبد شمس بن واثل. وجشم جدّ سبا هو ابن عبد شمس. هذا عند المسعودي، وعند بعضهم أنه أخوه، وأنهما معا إبنا واثل. وذكر المسعودي عن عبيد بن شرية الجرهميّ، وقد سأله معاوية عن ملوك اليمن في خبر طويل، ونسب الحرث منهم فقال: هوالحرث بن شدد بن الملطاط بن عمرو. وأمّا عند الطبري فاختلف نسبه في نسب الحرث، فمرّة قال: وبيت ملك التبابعة في سبا الأصغر، ونسبه كما مرّ. وقال في موضع آخر: والحرث بن ذي شدد هو الرائش جدّ الملوك التبابعة، فجعله إلى شدد ولم ينسبه إلى قيس ولا عدىّ من ولد سبا. وكذلك اضطرب أبو محمد بن حزم في نسبه في الجمهرة مرّة إلى الملطاط ومرّة إلى سبا الأصغر، والظاهر أنه تبع في ذلك الطبري والله أعلم.

وملك الحرث الرائش فيما قالوا مائة وخمسا وعشرين سنة، وكان يسمّى تبعاً وكان مؤمنا فيما قال السهيليّ. ثم ملك بعده ابنه أبرهة ذو المنار مائة

وثمانين سنة. قال المسعوديّ، وقال ابن هشام: أبرهة ذو المنار هو ابن الصعب بن ذي مدا ثر بن الملطاط، وسميّ ذا المنار لأنه رفع المنار ليهتدي به. ثم ملك من بعده أفريقش بن

أبرهة مائة وستين سنة. وقال ابن حزم: هو أفريقش بن قيس بن صيفي أخو الحرث الرائش، وهو الذي ذهب بقبائل العرب إلى أفريقية وبه سميت، وساق البربر إليها من أرض كنعان مرّ بها عندما غلبهم يوشع وقتلهم، فاحتمل الفل منهم، وساقهم إلى أفريقية فأنزلهم بها، وقتل ملكها جرجير، ويقال إنه الذي سمي البرابرة بهذا الإسم، لأنه لما افتتح المغرب، وسمع رطانتهم قال: ما أكثر بربرتهم فسموا البرابرة، والبربرة في لغة العرب هي اختلاط أصوات غير مفهومة، ومنه بربرة الأسد.ولما رجع من غزو المغرب ترك هنالك من قبائل حِمْيَر صنهاجة وكتامة فهم إلى الآن بها، وليسوا من نسب البربر، قاله الطبري والجرجاني والمسعوديّ وابن الكلبى والسهيلي وجميع النسابين.

ثم ملك من بعد أفريقش أخوه العبد بن أبرهة وهو ذو الأذعار عند المسعودي قال: سميّ بذلك لكثرة ذعر الناس من جوره، وملك خمسا وعشرين سنة، وكان على عهد سليمان بن داود وقبله بقليل، وغزا ديار المغرب وسار إليه كيقاوس بن كنعان ملك فارس، فبارزه وانهزم كيقاوس وأسره ذو الأذعار، حتى استنقذه بعد حين من يديه وزيره رستم، زحف إليه بجموع فارس إلى اليمن، وحارب ذا الأذعار فغلبه واستخلص كيقاوس من أسره، كما نذكره في أخبار ملوك فارس. وقال الطبري إنّ ذا الأذعار اسمه عمرو بن ابرهة ذي المنار بن الحرث الرائش بن قيس بن صيفي بن سبا الأصغر انتهى. وكان مهلك ذي الأذعار فيما ذكر ابن هشام مسموماً على يد الملكة بلقيس.

وملك من بعده الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو بن ذي الأذعار، وهو ذو الصرح، وملك ستا أو عشرا فيما قال المسعودي. وملكت بعده ابنته بلقيس سبع سنين. وقال الطبري: إنّ إسم بلقيس يلقمة بنت اليشرح بن الحرث بن قيس انتهى.ثم غلبهم سليمان عليه السلام على اليمن كما وقع في القرآن، فيقال تزوجها ويقال بل عزلها في التأيم، فتزوجت سدد بن زرعة بن سبا، وأقاموا في ملك سليمان وابنه أربعا وعشرين سنة. ثم قام بملكهم ناشر بن عمرو ذي الأذعار، ويعرف بناشر النعم، لفظين مركبين جعلا اسما واحدا، كذا ضبطه الجر جانى. وقال السهيلي ناشر بن عمرو، ثم قال ويقال ناشر

النعم. وفي كتاب السعودى نافس بن عمرو، ولعله تصحيف، ونسبه إلى عمرو ذي الأذعار وليس يتحقق في هذه الأنساب كلها أنها للصلب فإنّ

الآماد، طويلة والأحقاق بعيدة، وقد يكون بين إثنين منهما عدد من الآباء، وقد يكون ملصقاً به. وقال هشام بن الكلبي انّ ملك اليمن صار بعد بلقيس إلى ناشر بن عمرو بن يعفر الذي يقال له ياسرأنعم، لانعامه عليهم بما جمع من أمرهم وقوي من ملكهم. وزعم أهل اليمن أنه سار غازياً إلى المغرب، فبلغ وادي الرمل ولم يبلغه أحد، ولم يجد فيه مجازاً لكثرة الرمل، وعبر بعض أصحابه فلم يرجعوا، فأمر بصنم من نحاس نصب على شفيرالوادي، وكتب في صدره بالخط المسند هذا الصنم لياسر أنعم الحمير في ليس وراءه مذهب* فلا يتكلف أحد ذلك فيعطب انتهى.

ثم ملك بعد ياسر هذا ابنه شمر مرعش، سمي بذلك لارتعاش كان به، ويقال انه وطىء أرض العراق وفارس وخراسان، وافتتح مدائنها، وخرب مدينة الصغد وراء جيحون ، فقالت العجم: "شمر كنداي " شمر خرّب. وبنى مدينة هنالك فسميت باسمه هذا. وعربته العرب فصار سمرقند. ويقال انه الذي قاتل قباذ ملك الفرس وأسره، وأنه الذي حير الحيرة، وكان ملكه مائة وستين سنة. وذكر بعض الإخباريّين أنه ملك بلاد الروم، وأنه الذي استعمل عليهم ماهان قيصر فهلك، وملك بعده ابنه دقيوس. وقال السهيلي في شمر مرعش الذي سميت به سمرقند انه شمر بن مالك، ومالك هو الأملوك الذي قيل فيه:

 # فنقب عن الأملوك واهتف بذكره وعش دار عزٍ لا يغالبه الدهر

وهذا غلط من السهيلي فإنهم مجمعون على أنّ الأملوك كان لعهد موسى صلوات الله عليه، وشمر، من أعقاب ذي الأذعار الذي كان على عهد سليمان، فلا يصح ذلك إلا أنّ يكون شمر أبرهة، ويكون أول دولة التبابعة.

ثم ملك على التبابعة بعد شمر مرعش تبّع الأقرن واسمه زيد.(قال السهيلي) وهو ابن شمر مرعش، وقال الطبريّ انه ابن عمرو ذي الأذعار. وقال السهيلي إنما الأقرن لشامة كانت في قرنه، وملك ثلاثاً وخمسين سنة. وقال المسعودي ثلاثا وستين. ثم ملك من بعده ابنه ملكيكرب، وكان مضعّفاً ولم يغز قط إلى أنّ مات، وملك بعده ابنه تبان أسعد أبو كرب، ويقال هو تبّع الآخر، وهو المشهور من ملوك التبابعة. وعند الطبرى أنّ الذي بعد ياسر

ينعم بن عمرو ذي الأذعار تبع الأقرن أخوه. ثم بعد تبع الأقرن شمر مرعش بن ياسر ينعم، ثم من بعده تبع الأصغر، وهو تبان أسعد أبو كرب، هذا هو تبع الآخر وهو المشهور من ملوك التبابعة. وقال الطبريّ: ويقال له الرائد،

وكان على عهد يستاسب وحافده أردشير يمن ابن ابنه أسفنديار من ملوك الفرس.

وأنه شخص من اليمن غازيا ومرّ بالحيرة فتحّير عسكره هنالك فسميت الحيرة،وخلف قوماً من الأزد ولخم وجذام وعاملة وقضاعة، فأقاموا هنالك وبنوا الإطام. واجتمع إليهم ناس من طيرة وكلب والسكون وأياد والحرث بن كعب. ثم توجه الانبار ثم الموصل ثم أذربيجان، ولقي الترك فهزمهم وقتل وسبى، ثم رجع إلى اليمن وهابته الملوك، وهادنه ملوك الهند، ثم رجع لغزو الترك، وبعث إبنه حسّان إلى الصغد وإبنه يعفر إلى الروم، وابن أخيه شمر ذي الجناح إلى الفرس، وان شمر لقي كيقباذ ملك الفرس فهزمه، وملك سمرقند وقتله، وجاز إلى الصين فوجد أخاه حسّان قد سبقه إليها، فأثخنا في القتل والسبي، وانصرفا بما معهما من الغنائم إلى أبيهما.وبعث ابنه يعفر إلى القسطنطينيّة فتلقوه بالجزية والأتاوة، فسار إلى رومة، وحصرها، ووقع الطاعون في عسكره فاستضعفهم الروم ووثبوا عليهم فقتلوهم، ولم يفلت منهم أحد. ثم رجع إلى اليمن، ويقال أنه ترك ببلاد الصين قوما من حِمْيَر وأنهم بها لهذا العهد، وأنه ترك ضعفاء الناس بظاهر الكوفة، فتحيروا هنالك وأقاموا معهم من كل قبائل العرب.وقال ابن إسحق: إنّ الذي سار إلى المشرق من التبابعة تّبع الآخر، وهو تبان أسعد أبو كرب بن ملكيكرب بن زيد الأقرن بن عمرو ذي الأذعار، وتبان أسعد هو حسان تبع، وهو– فيما يقال– أول من كسا الكعبة. وذكر ابن إسحق الملاء والوصائل، وأوصى ولاته من جرهم بتطهيرها، وجعل لها باباً ومفتاحاً. وذكر ابن إسحق أنه أخذ بدين اليهودية. وذكر في سبب تهوده أنه لما غزا إلى المشرق مرّ بالمدينة يثرب، فملكها وخلف ابنه فيهم فعدوا عليه وقتلوه غيلة. ورئيسهم يومئذ عمرو بن الطلة من بني النجار. فلما أقبل من المشرق وجعل طريقه على المدينة مجمعا على خرابها، فجمع هذا الحي من أبناء قيلة لقتاله، فقاتلهم. وبينما هم على ذلك جاءه حبران من أحبار يهود من بني قريظة وقالا له :لا تفعل ! فإنك لن تقدر، وأنّها مهاجر نبي قرشي يخرج آخر الزمان، فتكون قراراً له. وانه أعجب بهما واتبعهما على دينهما ثم مضى لوجهه.

ولقبه دون مكة نفر من هُذيل وأغروه بمال الكعبة وما فيها من الجواهر والكنوز، فنهاه الحبران عن ذلك وقالا له: إنما أراد هؤلاء هلاكك، فقتل النفر من الهذليين وقدم مكة، فأمره الحبران بالطواف بهما والخضوع، ثم كساها كما تقدّم. وأمر ولاتها من

جرهم بتطهيرها من الدماء والحيض وسائر النجاسات، وجعل لها باباً ومفتاحاً. ثم سارإلى اليمن، وقد ذكر قومه ما أخذ به من دين اليهودية، وكانوا يعبدون الأوثان، فتعرضوا لمنعه ثم حاكموه إلى النار التي كانوا يحاكمون إليها فتأكل الظالم وتدع المظلوم. وجاؤا بأوثانهم، وخرج الحبران متقلدين المصاحف، ودخل الحميريون فأكلتهم وأوثانهم. وخرجا منها ترشح وجوههم وجباههم عرقاً. فآمنت حِمْيَر عند ذلك وأجمعوا على اتباع اليهودية.ونقل السهيليّ عن ابن قتيبة في هذه الحكاية: أنّ غزاة تبع هذه إنما هي استصراخة أبناء قيلة على اليهود، فإنهم كانوا نزلوا مع اليهود حين أخرجوهم من اليمن على شروط، فنقضت عليهم اليهود، فاستغاثوا بتبّع، فعند ذلك قدمها. وقد قيل: انّ الذي استصرخه أبناء قيلة على اليهود إنما هو أبو جبلة من ملوك غسان بالشام، جاء به مالك بن عجلان فقتل اليهود بالمدينة. وكان من الخزرج كما نذكر بعد. ويعضد هذا أنّ مالك بن عجلان بعيد عن عهد تبع بكثير. يقال أنه كان قبل الإسلام بسبعمائة سنة ذكره ابن قتيبة. وحكى المسعودي في أخبار تبع هذا أنّ أسعد أبا كرب سار في الأرض ووطأ الممالك وذلّلها، ووطىء أرض العراق في ملك الطوائف، وعميد الطوائف، يومئذ خرداد بن سابور، فلقي ملكاً من ملوك الطوائف اسمه قبّاذ، وليس قباذ بن فيروز، فانهزم قباذ وملك أبو كرب العراق والشام والحجاز وفي ذلك يقول تبع أبو كرب:

 # إذا حسينا جيادنا من دماء ثم سرنا بها مسيرا بعيدا
 # واستبحنا بالخيل خيل قبَّاذ وابن إقليد جاءنا مصفودا
 # وكسونا البيت الذي حرم الله مـــــلا منضداً وبـــرودا
 # وأقمنا به من الشهر عشرا وجعلنا لبـــــــــابـــه إقليـــدا

(وقال أيضاً)

 # لست بالتبع اليماني أنّ لم تركض الخيل في سواد العراق
 # أو تؤدي ربيعة الخرج قسراً لم يعقها عوائـــــق العّواق

وقد كانت لكندة معه وقائع وحروب حتى غلبهم حجر بن عمرو بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة من ملوك كهلان، فدانوا له ورجع أبو كرب إلى اليمن فقتله حِمْيَر، وكان ملكه ثلثمائة وعشرين سنة.

ثم ملك من بعد أبي كرب هذا فيما قال ابن إسحق، ربيعة بن نصر بن الحرث بن نمارة بن لخم، ولخم أخو جذام. وقال ابن هشام: ويقال ربيعة بن نصر بن أبي حارثة بن عمرو بن عامر. كان أبو حارثة تخلف باليمن بعد خروج أبيه، وأقام ربيعة بن نصر ملكا على اليمن بعد هؤلاء التبابعة الذين تقدم ذكرهم، ووقع له شان الرؤيا المشهورة. قال الطبريُّ عن ابن إسحق، عن بعض أهل العلم، أنّ ربيعة بن نصر رأى رؤيا هالته، وفظع بها وبعث في أهل مملكته في الكهنة والسحرة والمنجمين وأهل العيافة، فأشاروا عليه باستحضار الكاهنين المشهورين لذلك العهد في إياد وغسان وهما شق وسطيح.

قال الطبري: شق هو أبو صعب شكر بن وهب بن أمول بن يزيد بن قيس عبقر بن أنمار. وسطيح هو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذيب بن عدي بن مازن بن غسان ولوقوع اسم ذيب في نسبه كان يعرف بالذيبيّ. فأحضرهما وقص عليهما رؤياه، وأخبراه بتأويلها أنّ الحبشة يملكون بلاد اليمن من بعد ربيعة وقحطان بسبعين سنة، ثم يخرج عليهما ابن ذي يزن من عدن، فيخرجهم ويملك عليهم اليمن ثم تكون النبوة في قريش في بني غالب بن فهر. ووقع في نفس ربيعة أنّ الذي حدثه الكاهنان من أ مر الحبشة كائن، فجهز بنيه وأهل بيته إلى العراق بما يصلح، وكتب إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرّداذ، فأسكنهم الحيرة. ومن بيت ربيعة بن نصر كان النعمان ملك الحيرة، وهو النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر. قال ابن إسحق: ولما هلك ربيعة بن نصر اجتمع ملك اليمن لحسان بن تبان أسعد أبي كرب. قال السهيلي: وهو الذي استباح طسماً كما ذكرناه، وبعث على المقدمة عبد كهلان بن يثرب بن ذي حرب بن حارث بن ملك بن عبدان بن حجر بن ذي رعين. واسم ذي رعين يريم، وهو ابن زيد الجمهور، وقد مر نسبه إلى سبا الأصغر. وقال السهيلي: في أيام حسان تبع كان خروج عمرو بن مزيقيا من اليمن بالأزد، وهو غلط من السهيلي لأن أبا كرب أباه إنما غزا المدينة فيما هو صريخاً لأْوس على اليهود، وهو من غسان ونسبه إلى مزيقيا. فعلي هذا يكون الذي استصرخه الأوس والخزرج على اليهود إنما هو من ملوك غسان كما يأتى في أخبارهم.

قال ابن إسحق: ولما ملك حسّان بن تبع بن تبان أسعد سار بأهل اليمن يريد أنّ يطأ بهم أرض العرب والعجم كما كانت التبابعة تفعل، فكرهت حِمْيَر

وقبائل اليمن السير معه، وأرادوا الرجوع إلى بلادهم، فكلموا أخاً له كان معهم في العسكر يقال له عمرو، وقالوا له اقتلْ أخاك نملكك وترجع إلينا إلى بلادنا، فتابعهم على ذلك وخالفه ذورُعْين في ذلك، ونهى عمراً عن ذلك فلم يقبل، وكتب في صفيحة وأودعها عنده:

 # ألا من يشتري سهرا بنوم سعيد من يبيت قرير عين

 # فإما حميرغدرت وخـــانت فمعذرة الإله لذي رعين

ثم قتل عمرو أخاه بعرصة لخم وهي رحبة مالك بن طوق، ورجع حِمْيَر إلى اليمن فمنع النوم عليه السهر، وأجهده ذلك فشكى إلى الأطباء عدم نومه والكهان والعرّافين، فقالوا ما قتل رجل أخاه إلا سُلّط عليه السهر، فجعل يقتل كل من أشار عليه بقتل أخيه، ولم يغنه ذلك شيئاً وهمّ بذي رعين فذكره شعره فكانت فيه معذرته ونجاته. وكان عمرو هذا يسمَّى موثبان. قال الطبريُّ: لوثوبه على أخيه. وقال ابن قتيبة: لقلَّة غزوه ولزومه الوثب على الفراش. وهلك عمرو هذا لثلاث وستين سنة من ملكه.

قال الجرجاني والطبريّ: ثم مَرجَ أمر حِمْيَر من بعده وتفرقوا. وكان ولد حسّان تبع صغاراً لا يصلحون للملك، وكان أكبرهم قد استهوته الجنُّ، فوثب على ملك التبابعة عند كلال موثبا فملك عليهم أربعاً وتسعين سنة، وكان يدين بالنصرانية، ثم رجع ابن حسَّان تبَّع من استهواء الجن، فملك على التبابعة. قال الجرجاني: ملك ثلاثا وسبعين سنة، وهو تبع الأصغر ذو المغازي والآثار البعيدة.

قال الطبريُّ: وكان أبوه حسان تبع قد زوج بنته من عمرو بن حجر آكل المرارا ابن عمرو بن معاوية من ملوك كندة، فولدت له ابنه الحرث بن عمرو، فكان ابن تبع بن حسَّان هذا فبعثه على بلاد معدّ، وملك على العرب بالحيرة مكان آل نصر بن ربيعة. قال وانعقد الصلح بينه وبين كيقباد ملك فارس، على أنّ يكون الفرات حدّا بينهم. ثم أغارت العرب بشرقي الفرات، فعاتبه على ذلك، فقال لا أقدر على ضبط العرب إلا بالمال والجند، فأقطعه بلاداً من السواد، وكتب الحرث إلى تبع يغريه بملك الفرس، وتضعيف أمر كيقباد، فغزاهم. وقيل أنَّ الذي فعل ذلك هو عمرو بن حجر أبوه الذي ولاه تبع أبو كرب، وأنه أغراه بالفرس واستقدمه إلى الحيرة، فبعث عساكره مع ولده الثلاثة إلى الصغد والصين والروم، وقد تقدّم ذكر ذلك.

قال الجرجاني: ثم ملك بعد تبع بن حسَّان تبَّع أخوه لأمه وهو مُدَّثر بن عبد كلال، فملك إحدى وأربعين سنة، ثم ملك من بعده ابنه وليعة بن مُدَّثر سبعاً وثلاثين سنة، ثم ملك من بعده أبرهة بن الصبّاح بن لهيعة بن شيبة بن مدّثر قيلف بن يعلق بن معد يكرب بن عبد الله بن عمرو بن ذي أصبح الحرث بن مالك، أخوذي رعين، وكعب أبو سبا الأصغر. قال الجرجاني: وبعض الناس يزعم أنّ أبرهة بن الصباح إنما ملك تهامة فقط. قال: ثم ملك من بعده حسان بن عمرو بن تبع بن ملكيكرب سبعاً وخمسين سنة. ثم ملك لخْيَتَعة ولم يكن من أهل بيت المملكة. قال ابن إسحق: ولما ملك لخيتعة غلب عليهم، وقتل خيارهم، وعبث برجالات بيوت المملكة منهم، قيل انه كان ينكح ولدان حِمْيَر، يريد بذلك أنّ لا يملكوا عليهم، وكانوا لا يملكون عليهم من نكح، نقله ابن إسحق. وقال أقام عليهم مملكا سبعا وعشرين سنة، ثم وثب عليه ذو نواس زرعة تبع بن تبان أسعد أبي كرب، وهو حسّان

أبي ذي معاهر فيما قال ابن إسحق، وكان صبياً حين قتل حسان. ثم شب غلاما جميلا ذا هيئة وفضل ووضاءة، ففتك بلخيتعة في خلوة أراده فيها على مثل فعلاته القبيحة، وعلمت به حِمْيَر وقبائل اليمن فملكوه واجتمعوا عليه، وجدّد ملك التبابعة. وتسمىّ يوسف وتعصب لدين اليهودية، فكانت مدّته- فيما قال ابن إسحق- ثمانية وستين سنة.

إلى هنا ا هـ . ترتيب أبي الحسن الجرجاني. ثم قال: وقال آخرون ملك بعد أفريقش بن أبرهة قيس بن صيفي، وبعده الحرث بن قيس بن مياس، ثم ماء السمّاء بن ممروه، ثم شرحبيل وهو يصحب بن مالك بن زيد بن غوث بن سعد بن عوف، بن علي بن الهمّال بن المنثلم بن جهيم، ثم الصعب بن قرين بن الهمال بن المنثلم ثم زيد بن الهمّال، ثم ياسر بن الحرث بن عمرو بن يعفر، ثم زهير بن عبد شمس أحد بني صيفي بن سبا الأصغر، وكان فاسقا مجرما يفتض أبكار حِمْيَر، حتى نشأت بلقيس بنت اليشرح بن ذي جدن بن اليشرح بن الحرث بن قيس بن صيفي، فقتلته غيلة، ثم ملكت. ولما أخذها سليمان ملك لمك بن شرحبيل، ثم ملك ذو وداع فقتله ملكيكرب بن تبع بن الأقرن وهو أبو ملك، ثم هلك. فملك أسعد بن

قيس بن زيد بن عمرو ذي الأذعار بن أبرهة ذي المنار بن الرايش بن قيس بن صيفي بن سبا وهو أبو كرب، ثم ملك حسّان ابنه فقتله عمرو أخوه، ووقع الاختلاف في حِمْيَر. ووثب على عمر لخيتعة دليل دراسة الحالة ذو الشناتر وملك، ثم قتله ذو نواس بن تبع وملك . ا . هـ كلام الجرجاني.

وزعم ابن سعيد ونقله من كتب مؤرخي المشرق: أنّ الحرث الرايش هو ابن ذي شدد ويعرف بذي مداثر، وأنّ الذي ملك بعده ابنه الصعب وهو ذو القرنين، ثم ابنه أبرهة بن الصعب وهو ذو المنار، ثم العبد ذو الأشفارا بن أبرهة بن عمرو ذي الأذعار بن أبرهة، ثم قتلته بلقيس. قال في التيجان: أنّ حِمْيَر خلعوه وملكوا شرحبيل ابن غالب بن المنتاب بن زيد بن يعفر بن السكسك بن واثل وكان بمأرب، فجاز به ذو الأذعار وحارب ابنه الهدْهاد بن شرحبيل من بعده، وابنته بلقيس بنت الهدْهاد الملكة من بعده، فصالحته على التزويج وقتلته، وغلبها سليمان عليه السلام على اليمن إلى أنّ هلك وابنه رَحَبْعَم من بعده. واجتمعت حِمْيَر من بعده على مالك بن عمرو ابن يعفر بن عمرو بن حِمْيَر بن المنتاب بن عمرو بن يزيد بن يعفر بن السكسك بن واثل بن حِمْيَر. وملك بعده على مالك بن عمرو بن يعفر بن عمرو بن حِمْيَر بن المنتاب بن عمرو بن يزيد بن يعفر بن السكسك بن واثل بن حِمْيَر. وملك بعده ابنه شَمِر يَرْعَش، وهو الذي خرّب سَمَرْقَنْد، وملك بعده ابنه صيفي بن شمر على اليمن، وسار أخوه أفريقش بن شمر إلى أفريقية بالبربر وكنعان فملكها. ثم انتقل الملك إلى كَهْلان وقام به عمران بن عامر ماء السماء بن حارثة أمرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد وكان كاهنا. ولما احتضر عهد إلى أخيه عمرو بن عامر المعروف بمزيقيا وأعلمه بخراب سدْ مأرب وهلاك اليمن بالسيل، فخرج من اليمن بقومه. وأصاب اليمن سيل العرم فلم ينتظم لبني قحطان بيعته، واستولى على قصر مأرب من بعده ربيعة بن نصر. ثم رأى رويا ونذر بملك الحبشة، وبعث ولده إلى العراق، وكتب إلى سابور الأشعاني فأسكنهم الحيرة، وكثرت الخوارج باليمن. فاجتمعت حِمْيَر على أنّ تكون لأبي كرب أسعد بن عدي بن صيفي، فخرج من ظفار، وغلب ملوك الطوائف باليمن ودوخ جزيرة العرب، وحاصر الأوس والخزرج بالمدينة، وحمل حِمْيَر على اليهودية، وطالت مدته وقتلته

حِمْيَر. وملك بعده ابنه حسَّان الذي أباد طسماً ثم قتله أخوه عمرو بمداخلة حِمْيَر، وهلك عمرو فملك بعده أخوه لأبيه عبد كلال بن منوب، وفي أيامه خلع سابور أكتاف العرب، وملك بعده تبع بن حسان، وهو الذي بعث ابن أخيه الحرث بن عمرو

الكندي إلى أرض بني مَعَدّ بن عدنان بالحجاز فملك عليهم. وملك بعده مرثد بن عبد كلال ثم ابنه وليعة، وكثرت الخوارج عليه، وغلب أبرهة الصبَّاح على تهامة اليمن. وكان في ظفَّار ذو شناتر، وقتله ذو نواس كما مر. هذا ترتيب ابن سعيد في ملوكهم.

وعند المسعودي أنه لما هلك كليكرب بن تبع المعروف بالأقرن، وقال هو الذي سار قومه نحو خراسان والصغد والصين. وولي بعده حسان بن تبَّع فاستقام له الأمر خمسا وعشرين سنة، ثم قتله أخوه عمرو بن تبع وملك أربعا وستين سنة، ثم تبع أبو كرب وهو الذي غزا يثرب وكسا الكعبة بعد أنّ أراد هدمها، ومنعه الحبران من اليهود وتهوّد وملك مائة سنة. ثم بعده عمرو بن تبعّ أبي كرب وخلع، وملكوا مرثد بن عبد كلال. واتصلت الفتن باليمن أربعين سنة، ومن بعده وليعة بن مَرْثِد تسعا وثلاثين سنة. ومن بعده أبرهة بن الصبَّاح بن وليعة بن مرثد، ويدعى شيبة الحمد ثلاثا وتسعين سنة. وكانت له سير وقصص، ومن بعده عمرو بن قيفان تسع عشرة سنة، ومن بعده لخيتعة ذو شناتر ومن بعده ذو نواس.

وأمّا ابن الكَلْبيّ والطبريّ وابن حَزْم، فعندهم أنّ تبَّع أسْعَد أبي كَرب هو ابن كليكرب ابن زَيْد الأَقْرَن ابن عمرو بن ذي الأذْعَار بن أبْرهَة ذي المَنَار الرَايش بن قيس بن صيفي بن سبا الأصغر. وقال السُهَيْلي: انه أسقط أسماء كثيرة وملوكا. وقال ابن الكلبيّ وابن حزم: ومن ملوك التبابعة أفريقش بن صيفي، ومنهم شمر يرعش ابن ياسر يَنْعُم بن عمرو ذي الأذعار، ومنهم بَلْقِيس ابنة اليشرح بن ذي جدن بن اليشرح بن الحرث الرايش بن قيس بن صيفي. ثم قال ابن حزم بعد ذكر هؤلاء من التبابعة: وفي أنسابهم اختلاف وتخليط وتقديم وتأخير ونقصان وزيادة. ولا يصح من كتب أخبار التبابعة وأنسابهم إلاَّ طرف يسير لاختلاف رواتهم وبعد العهد ا.هـ.

وقال الطبريُّ: لم يكن لملوك اليمن نظام، وإنما كان الرئيس منهم يكون ملكا على مخلافه لا يتجاوزه، وإن تجاوز بعضهم عن مخلافه بمسافة يسيرة من غير أنّ يرث ذلك الملك عن آبائه ولا يرثه أبناؤه عنه، إنما هو شأن شداد المتلصّصة، يغيرون على النواحي باستغفال أهلها، فإذا قصدهم الطلب لم يكن لهم ثبات، وكذلك كان أمر ملوك اليمن، يخرج أحدهم من

مخلافه بعض الأحيان ويبعد في الغزو والإغارة فيصيب ما يمر به، ثم يتشمّر عند خوف الطلب زاحفا إلى مكانه من غير أنّ يدين له أحد من غير مخلافه

بالطاعة أو يؤدي إليه خراجا ا.هـ.

وأما الخبر عن ذي نواس وما بعده فاتفق أهل الأخبار كلهم أنّ ذا نواس هو ابن تبان أسعد واسمه زرعة، وأنه لما تغلب على ملك آبائه التبابعة تسمى يوسف وتعصب لدين اليهودية، وحمل عليه قبائل اليمن، وأراد أهل نَجرْان عليها وكانوا من بين العرب يدينون بالنصرانية، ولهم فضل في الدين واستقامة. وكان رئيسهم في ذلك يسمَّى عبد الله بن الثَامِر، وكان هذا الدين وقع إليهم قديما من بقية أصحاب الحواريين من رجل سقط لهم من ملك التبعيّة يقال له ميمون، نزل فيهم وكان مجتهداً في العبادة مجاب الدعوة، وظهرت على يده الكرامات في شفاء المرضى، وكان يطلب الخفاء عن الناس جهده. وتبعه على دينه رجل من أهل الشام إسمه صالح، وخرجا فارَّين بأنفسهما، فلما وطئا بلاد العرب اختطفتهما سيارة فباعوهما بنجران، وهم يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم، ويعلقون عليها في الأعياد من حليهم وثيابهم، ويعكفون عليها أياماً. وافترقا في الدير على رجلين من أهل نجران، وأعجب سيد ميمون صلاته ودينه، وسأله عن شانه، فدعاه إلى الدين وعبادة الله، وأنّ عبادة النخلة باطل، وأنه لو دعا معبوده عليها هلكت. فقال له سيده أنّ فعلت دخلنا في دينك: فدعا ميمون فأرسل الله ريحاً فجعفت النخلة من أصلها، وأطبق أهل نجران على أتباع دين عيسى صلوات الله عليه. ومن رواية ابن إسحق أنّ ميمون نزل بقرية من قرى نجران، وكان يمرّ به غلمان أهل نجران، يتعلمون من ساحر كان بتلك القرية، وفي أولئك الغلمان عبد الله بن الثامر، فكان يجلس إلى ميمون ويسمع منه فآمَنَ به واتبعه وحصل على معرفة اسم الله الأعظم، فكان مجاب الدعوة لذلك، واتبعه الناس على دينه، وأنكر عليه ملك نجران وهمّ بقتله. فقال له: لن تطيق حمى تؤمن وتوحد فآمَنَ، ثم قتله فهلك ذلك الملك مكانه. واجتمع أهل نجران

على دين عبد الله بن الثامر، وأقام أهل نجران على دين عيسى صلوات الله عليه حتى دخلت عليهم في دينهم الأحداث. ودعاهم ذو نواس إلى دين اليهودية فأبوا. فسار إليهم في أهل اليمن وعرض عليهم القتل، فلم يزدهم إلّا جماحاً، فحدّد لهم الأخاديد، وقتل وحرق، حتى أهلك منهم– فيما قال ابن إسحق– عشرين ألفا أو يزيدون. وأفلت منهم رجل من سبا يقال له دَوْس ذو ثُعْلَبَان، فسلك الرمل على فرسه وأعجزهم.

مَلَكُ الحبشةُ الَيمَنَ

قال هشام بن محمد الكلبيّ، في سبب غزو ذي نواس أهل نجْران: أنّ يهودياً كان بنجران، فعدا أهلها على إبنين له، فقتلوهما ظلماً فرفع أمره إلى ذي نواس. وتوسل له باليهودية واستنصره على أهل نجران وهم نصارى، فحمى له ولدينه وغزاهم. ولما أفلت دَوْس ذو ثُعْلَبَان، فقدم على قيصر صاحب الروم يستنصره على ذي نُواس، وأعلمه بما ركب منهم وأراه الإنجيل قد احترق بعضه بالنار، فكتب له إلى النجاشي يأمره بنصره ويطلب بثاره، وبعث معه النجاشي سبعين ألفاً من الحبشة. وقيل: أنّ صريخ دوس كان أولا للنجاشي، وأنه اعتذر إليه بقلة السفن لركوب البحر. وكتب إلى قيصر وبعث إليه بالإنجيل المحرق، فجاءته السفن وأجاز فيها العساكر من الحبشة، وأمر عليهم أرباطاً رجلاً منهم وعهد إليه بقتلهم وسبيهم وخراب بلادهم، فخرج أرباط لذلك ومعه أبرهة الأشرم، فركبوا البحر ونزلوا ساحل اليمن. وجمع ذو نواس حِمْيَر ومن أطاعه من أهل اليمن على افتراق واختلاف في الأهواء. فلم يكن كبير حرب، وانهزموا. فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه وجه بفرسه إلى البحر ثم ضربه، فدخل فيه وخاض ضحضاح البحر، ثم أفضى به إلى غمرة فأقحمه فيه فكان آخر العهد به. ووطىء أرباط اليمن بالحبشة وبعث إلى النجاشي بثلث السبي كما عهد له، ثم أقام بها فضبطها وأذل رجالات حِمْيَر، وهدم حصون الملك بها مثل سلجيق وسون وغمدان. وقال ذو يزن يرثي حِمْيَر وقصور الملك باليمن:

 # هونك ليس يرد الدمع ما فاتا لا تهلكن أسفاً إثر من ماتا # أبعد سون فلا عين ولا أثر وبعد سلجيق يبني الناس أبياتا

وفي رواية هشام بن محمد الكلبي أنّ السفن قدمت على النجاشي من قيصر، فحمل فيها الحبش ونزلوا بساحل اليمن، واستجاش ذو نواس بأقيال حِمْيَر فامتنعوا من صريخه وقالوا: كل أحد يقاتل عن ناحيته. فالقى ذو نواس باليد ولم يكن قتال. وأنه سار بهم إلى صنعاء وبعث عماله في النواحي لقبض الأموال، وعهد بقتلهم في كل ناحية فقتلوا، وبلغ ذلك النجاشي فجهز إلى اليمن سبعين ألفاً وعليهم أبرهة فغلبوا صنعاء، وهرب ذو نواس واعترض البحر، فكان آخر العهد به. وملك أبرهة اليمن ولم يبعث إلى النجاشي بشيء، وذكر له أنه خلع طاعته. فوجه جيشاً من أصحابه عليهم أرباط. ولما حل بساحته دعاه إلى النصفة والنزال، فتبارزا وخدعه أبرهة وأكمن عبداً له في موضع المبارزة، فلما التقيا ضربه أرباط فشرم أنفه وسمي الأشرم. وخالفه العبد من الكمين فضرب أرباطاً فأنفذه، وبلغ النجاشي خبر أرباط فحلف ليريقن دمه. ثم كتب إليه أبرهة واسترضاه فرضي عليه وأقره على عمله.

وقال ابن إسحق إنّ أرباط هو الذي قدم اليمن أولاً وملكه، وانتقض عليه أبرهة من بعد ذلك فكان ما ذكرنا من الحرب بينهما، وقتل أرباط. وغضب النجاشي لذلك، ثم أرضاه واستبد أبرهة بملك اليمن. ويقال أنّ الحبشة لما ملكوا اليمن أمر أبرهة بن الصباح وأقاموا في خدمته قاله ابن سلام. وقيل: أنّ ملك حِمْيَر، لما انقرض أمرا التبابعة، صار متفرقا في الأذواء من ولد زيد الجمهور، وقام بملك اليمن منهم ذو يزن من ولد مالك بن زيد. قال ابن حزم: واسمه علس بن زيد بن الحرث بن زيد الجمهور. وقال ابن الكلبي وأبو الفرح الأصبهاني: هو علس بن الحرث بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد الجمهور. قالوا كلهم: ولما ملك ذو يزن بعد مهلك ذي نواس واستبد أمر الحبشة على أهل اليمن، طالبوهم بدم النصارى الذين في أهل نجران، فساروا إليه وعليهم أرباط، ولقيهم فيمن معه فانهزم واعترض البحر، فأقحم فرسه وغرق فهلك بعد ذي نواس، وولى ابنه مرثد بن ذي يزن مكانه، وهو الذي استجاشه امرؤ القيس على بني أسد، وكان من عقب ذي يزن أيضاً من هؤلاء الأذواء علقمة ذو

قيفال بن شراحيل بن ذي يزن، وملك مدينة الهون فقتله أهلها من همدان ا.هـ .

ولما استقر أبرهة في ملك اليمن أساء السير في حِمْيَر وروسائهم، وبعث في ريحانة بنت علقمة بن

مالك بن زيد بن كهلان، فانتزعها من زوجها أبي مرة بن ذي يزن، وقد كانت ولدت منه ابنه معديكرب. وهرب أبو مرة ولحق بأطراف اليمن، واصطفى أبرهة ريحانة فولدت له مسروق بن أبرهة وأخته بسباسة. وكان لأبرهة غلام يسمى عمددة وكان قد ولاه الكثير من أمره، فكان يفعل الأفاعيل حتى عدا عليه رجل لمن حِمْيَر أو خثعم فقتله وكان حليماً فأهدر دمه.

غزو الحبشة الكعبة

ثم إنّ أبرهة بنى كنيسة بصنعاء تسمى القليس لم يرمثلها، وكتب إلى النجاشي بذلك وإلى قيصر في الصناع والرخام والفسيفساء، وقال: لست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب. وتحدث العرب بذلك، فغضب رجل من السادة أحد بني فقيم ثم أحد بني مالك، وخرج حتى أتى القليس، فقعد فيها ولحق بأرضه. وبلغ أبرهة، وقيل له: الرجل من البيت الذي يحج إليه العرب، فحلف ليسيرن إليه يهدمه. ثم بعث في الناس يدعوهم إلى حج القليس فضرب الداعي في بلاد كنانة بسهم فقتل. وأجمع أبرهة على غزو البيت وهدمه، فخرج سائرا بالحبشة ومعه الفيل، فلقيه ذو نفر الحميري وقاتله، فهزمه وأسره واستبقاه دليلا في أرض العرب. قال ابن إسحق: ولما مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب في رجال ثقيف، فأتوه بالطاعة وبعثوا معه أبا رغال دليلا فأنزله المغمس بين الطائف ومكة، فهلك هنالك ورجمت العرب قبره من بعد ذلك قال جرير:

 # إذا مات الفرزدق فارجموه كما ترمون قبر أبي رغال

ثم بعث أبرهة خيلا من الحبشة فانتهوا إلى مكة واستاقوا أموال أهلها، وفيها مائتا بعير لعبد المطلب، وهو يومئذ سيد قريش، فهموا بقتاله ثم علموا أنّ لا طاقة لهم به فاقصروا. وبعث أبرهة حناطة الحميري إلى مكة يعلمهم بمقصده من هدم البيت، ويؤذنهم بالحرب أنّ اعترضوا دون ذلك. وأخبر عبد المطلب بذلك عن أبرهة فقال له: والله ما نريد حربه. وهذا بيت الله، فإن يمنعه فهوبيته، وأن يخلي عنه فما لنا نحن من دافع. ثم انطلق به إلي أبرهة ومر بذي نفر وهو أسير فبعث معه إلى سائس الفيل، وكان

صديقا لذي نفر فاستأذن له على أبرهة، فلما رآه أجله ونزل عن سريره فجلس معه على بساطه، وسأله عبد المطلب في الإبل. فقال له أبرهة: هلا

سألت في البيت الذي هو دينك ودين آبائك وتركت البعير؟ فقال عبد المطلب: أنا رب الإبل، وللبيت رب سيمنعه، فرد عليه إبله. قال الطبري: وكان فيما زعموا قد ذهب مع عبد المطلب عمرو بن لعابة بن عدي بن الرمل سيد كنانة، وخويلد بن واثلة سيد هذيل، وعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة، ويرجع عن هدم البيت، فأبى عليهم فانصرفوا. وجاء عبد المطلب وأمر قريشا بالخروج من مكة إلى الجبال والشعاب للتحرز فيها. ثم قام عند الكعبة ممسكاً بحلقة الباب ومعه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه، وعبد المطلب ينشد ويقول:

#لا هُمَّ أنّ العبـــــد يمنع رحلة فامنع رحالك

#لا يغلبن صليبهم ومحالهم أبـــــــــداً محالك

 # وانصر على آل الصليب وعـــــابديـــــــه اليوم آلك

في أبيات معروفة.

ثم أرسل الله عليهم الطير الأبابيل من البحر، ترميهم بالحجارة فلا تصيب أحداً منهم إلا هلك مكانه، وأصابه في موضع الحجر من جسده كالجدري والحصبة فهلك. وأصيب أبرهة في جسده بمثل ذلك، وسقطت أعضاؤه عضواً عضواً وبعثوا بالفيل ليقدم على مكة فربض ولم يتحرك فنجا، وأقدم فيل آخر فحصب وبعث الله سيلا مجحفا فذهب بهم وألقاهم في البحر. ورجع أبرهة إلى صنعاء وهو مثل فرخ الطائر، فانصدع صدره عن قلبه ومات. ولما هلك أبرهة ملك مكانه ابنه يكسوم وبه كان يكنى، واستفحل ملكه وأذل حِمْيَر وقبائل اليمن، ووطئتهم الحبشة فقتلوا رجالهم، ونكحوا نساءهم، واستخدموا أبناءهم. ثم هلك يكسوم بن أبرهة فملك مكانه أخوه مسروق وساءت سيرته، وكثر عسف الحبشة باليمن، فخرج ابن ذي يزن واستجاش عليهم بكسرى، وقدم اليمن بعساكر الفرس، وقتل مسروقا

وذهب أمر الحبشة، بعد أنّ توارث ملك اليمن منهم أربعة في اثنتين وسبعين سنة، أولهم أرباط، ثم أبرهة، ثم ابنه يكسوم ثم أخوه مسروق بن أبرهة.

قصة سيف بن ذي يزن

وملك الفرس علي اليمن

ولما طال البلاء من الحبشة على أهل اليمن، خرج سيف بن ذي يزن الحميري من الأذواء بقية ذلك السلف، وعقب أولئك الملوك وديال الدولة المفوض للخمود. وقد ثان أبرهة انتزع منه زوجته ريحانة وبعد أنّ ولدت منه ابنه معد يكرب كما مر. نسبه فيما قال الكلبي: سيف بن ذي يزن بن عافر بن أسلم بن زيد بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد الجمهور. هكذا نسبه ابن الكلبي، ومالك بن زيد هو أبو الأذواء. فخرج سيف وقدم على قيصر ملك الروم وشكى إليه أمر الحبشة، وطلب أنّ يخرجهم ويبعث على اليمن من شاء من الروم، فلم يسعفه عن الحبشة وقال: الحبشة على دين النصارى. فرجع إلى كسرى وقدم الحيرة على النعمان بن المنذر عامل فارس على الحيرة وما يليها من أرض العرب، فشكى إليه واستمهله النعمان إلى حين وفادته على كسرى، وأوفد معه وسأله النصر على الحبشة، وأن يكون ملك اليمن له. فقال: بعدت أرضك عن أرضنا أو هي قليلة الخير، إنما هي شاء وبعير، ولا حاجة لنا بذلك، ثم كساه وأجازه، فنثر دنانير الإجازة ونهبها الناس يوهم الغنى. عنها بما في أرضه فأنكر عليه كسرى ذلك، فقال: جبال أرضي ذهب وفضة، وإنما جئت لتمنعني من الظلم، فرغب كسرى في ذلك وأمهله للنظر في أمره، وشاور أهل دولته. فقالوا في سجونك رجال حبستهم للقتل ابعثهم معه، فإن هلكوا كان الذي أردت بهم، وإن ملكوا كان ملكاً ازددته إلى ملكك، وأحصوا ثمانمائة، وقدم عليهم أفضلهم وأعظمهم بيتا وأكبرهم نسباً وكان وهزر الديلمي.

وعند المسعودي وهشام بن محمد السهيلي: أنّ كسرى وعده بالنصر ولم ينصره، وشغل بحرب الروم، وهلك سيف بن ذي يزن عنده وكبر ابنه ابن ريحانة وهو معديكرب وعرفته أمه بأبيه، فخرج ووفد على كسرى يستنجزه في النصرة التي وعد بها أباه. وقال له: أنا ابن الشيخ اليمني الذي وعدته، فوهبه الدنانير ونثرها إلى آخر القصة. وقيل أنّ الذي وفد على

كسرى وأباد الحبشة هو النعمان بن قيس بن عبيد بن سيف بن ذي يزن. قالوا: ولما كتبت الفرس مع وهزر وكانوا ثمانمائة، وقال ابن قتيبة كانوا سبعة آلاف وخمسمائة.وقال ابن حزم: كان وهزر من عقب جاماسب عم أنو شروانّ فأمّره على أصحابه، وركبوا البحر ثمان سفائن، فغرقت منها سفينتان، وخلصت ست إلى

ساحل عدن. فلما نزلوا بأرض اليمن قال وهزر لسيف: ما عندك؟ قال: ما شئت من قوس عربي، ورجلي مع رجلك حتى نظفر أو نموت. قال أنصفت: وجمع ابن ذي يزن من استطاع من قومه، وسار إليه مسروق بن أبرهة في مائة ألف من الحبشة وأوباش اليمن، فتوافقوا للحرب وأمر وهزر ابنه أنّ يناوشهم للقتال، فقتلوه وأحفظه ذلك. وقال أروني ملكهم فأروه إياه على الفيل عليه تاج، وبين عينيه ياقوتة حمراء. ثم نزل عن الفيل إلى الفرس ثم إلى البغلة. فقال وهزر ركب بنت الحمار ذل وذل ملكه. ثم رماه بسهم فصك الياقوتة بين عينيه وتغلغل في دماغه، وتنكس عن دابته وداروا به، فحمل القوم عليهم وانهزم الحبشة في كل وجه،وأقبل وهزر إلى صنعاء، ولما أتى بابها قال :لا تدخل رايتي منكوسة، فهدم الباب ودخل ناصبا رايته، فملك اليمن ونفى عنها الحبشة. وكتب بذلك إلى كسرى، وبعث إليه بالأموال. فكتب إليه أنّ يملك سيف بن ذي يزن على اليمن، على فريضة يؤديها كل عام ففعل. وانصرف وهزر إلى كسرى.

وملك سيف اليمن، وكان أبوه من ملوكها. وخلف وهزر نائباً على اليمن في جماعة من الفرس ضمهم إليه، وجعله لنظر ابن ذي يزن وأنزله بصنعاء. وانفرد ابن ذي يزن بسلطانه، ونزل قصر الملك وهو رأس غمدان، يقال أنّ الضحاك بناه على اسم الزهرة، وهو أحد البيوت السبعة الموضوعة على أسماء الكواكب وروحانيتها خرب في خلافة عثمان. قاله المسعودي.

وقال السهيلي: كانت صنعاء تسمى أوال، وصنعاء اسم بانيها، صنعاء بن أوال بن عمير بن عابر بن شالخ. ولما استقل ابن ذي يزن بملك اليمن، وفدت العرب عليه يهنوه بالملك، لما رجع من سلطان قومه وأباد من عدوهم، وكان فيمن وفد عليه مشيخة قريش، وعظماء العرب لعهدهم من أبناء إسماعيل وأهل بيتهم المنصوب لحجهم، فوفدوا في عشرة من رؤسائهم، فيهم عبد المطلب، فأعظمهم سيف وأجلهم وأوجب لهم حقهم، ووفر من ذلك قسم عبد المطلب من بينهم. وسأله عن بنيه حتى ذكر له شأن النبي صلى الله عليه وسلم، وكفالته إياه بعد موت عبد الله أبيه، عاشر ولد عبد المطلب، فأوصاه به وحضه على الإبلاغ في القيام عليه، والتحفظ به

من اليهود وغيرهم. وأسر إليه البشرى بنبوته وظهور قريش، قومهم على جميع العرب. وأسنى جوائز هذا الوفد بما يدل على شرف الدولة وعظمها لبعد غايتها في الهمة، وعلو نظرها في كرامة الوفد وبقاء آثار الترف في الصبابة شاهد لشرافة الحال في الأول. ذكر صاحب الأعلام وغيره أنه أجاز سائر الوفد بمائة من الإبل وعشرة أعبد وعشرة وصائف وعشرة أرطال من الورق والذهب وكرش ملىء من العنبر، وأضعاف ذلك بعشرة أمثاله لعبد المطلب.

قال ابن إسحق: ولما انصرف وهزر إلى كسرى غزا سيف على الحبشة، وجعل بقتل ويبقر بطون النساء، حتى إذا لم يبق إلا القليل جعلهم خولا، واتخذ منهم طوابير يسعون بين يديه بالحراب، وعظم خوفهم منه. فخرج يوما وهم يسعون بين يديه، فلما توسطهم وقد انفردوا به عن الناس رموه بالحراب فقتلوه، ووثب رجل منهم على الملك. وقيل ركب خليفة وهزر فيمن معه من المسلحة، واستلحم الحبشة وبلغ ذلك كسرى، فبعث وهزر في أربعة آلاف من الفرس، وأمره بقتل كل أسود أو منتسب إلى أسود ولو جعداً قطعاً ففعل. وقتل الحبشة حيث كانوا. وكتب بذلك إلى كسرى فأمّره على اليمن، فكان يجبيه له حتى هلك. واستضافت حشابة ملك الحميريين بعد مهلك ابن ذي يزن وأهل بيته إلى الفرس، وورثوا ملك العرب وسلطان حِمْيَر باليمن، بعد أنّ كانوا يزاحمونهم بالمناكب في عراقهم، ويجوسونهم بالغزو خلال ديارهم. ولم يبق للعرب في الملك رسم ولا طلل إلا أقيالا من حِمْيَر وقحطان رؤساء في أحيائهم بالبدو، لا تعرف لهم طاعة، ولا ينفذ لهم في غير ذاتهم أمر، إلا ما كان لكهلان إخوتهم بأرض العرب من ملك آل المنذر من لخم على الحيرة والعراق بتولية فارس، وملك آل جفنة من غسان على الشام بتولية آل قيصر كما يأتي في أخبارهم. وقال الطبري: لما كانت اليمن لكسرى بعث إلى سرنديب من الهند قائداً من قواده ركب إليهاالبحر في جند كثيف، فقتل ملكها واستولى عليها، وحمل إلى كسرى منها أموالا عظيمة، وجواهر. وكان وهزر يبعث العير إلى كسرى بالأموال والطيوب، فتمر على طريق البحرين تارة وعلى أرض الحجاز أخرى. وعدا بنو تميم في بعض الأيام على عيره بطريق البحرين،

فكتب إلى عامله بالإنتقام منهم، فقتل منهم خلقا كما يأتي في أخبار كسرى.
وعدا بنو كنانة على عيره بطريق الحجاز حين مرت بهم، وكانت في جوار رجل من أشراف العرب من قيس، فكانت حرب الفجار بين قيس وكنانة

بسبب ذلك. وشهدها النبي- صلى الله عليه وسلم، وكان ينبل فيها على أعمامه أي يجمع لهم النبل.

قال الطبري: ولما هلك وهزر أمر كسرى من بعده على اليمن ابنه المرزبان، ثم هلك فأمر حافده خرخسرو بن التيجان بن المرزبان. ثم سخط عليه وحمل إليه مقيدا، ثم أجاره ابن كسرى وخلى سبيله، فعزله كسرى وولى باذان، فلم يزل إلى أنّ كانت البعثة وأسلم باذان وفشا الإسلام باليمن، كما نذكره عند ذكر الهجرة وأخبار الإسلام باليمن. هذا آخر الخبر عن ملوك التبابعة من اليمن، ومن ملك بعدهم من الفرس. وكان عدد ملوكهم فيما قال المسعودي سبعة وثلاثين ملكا، في مدة ثلاث آلاف ومائتي سنة إلا عشراً. وقيل أقل من ذلك. فكانوا ينزلون مدينة ظفار قال السهيلي: زمار وظفار اسمان لمدينة واحدة، يقال بناها مالك بن أبرهة وهو الأ ملوك، ويسمى مالك وهو ابن ذي المنار وكان على بابها مكتوب بالقلم الأول في حجر أسود:

 # يوم شيدت ظفار فقيل لمن أنت فقالت لخير الأخيــار

 # ثم سيلت من بعد ذلك قالت أنّ ملكي احابش الأشرار

ثم سيلت من بعد ذلك قالت أنّ ملكي لفارس الأحرار # **ثم سيلت من بعد ذلك قالت أنّ ملكى لقريش التجار**

#ثم سيلت من بعد ذلك قالت أنّ ملكي لخير سنجار

#وقليلا ما يلبث القوم فيها غير تشييدها لحامي البوار

#من أسود يلقيهم البحر فيها تشعل النار في أعالي الجدار

ولم تزل مدينة ظفار هذه منزلا للملوك، وكذلك في الإسلام صدر الدولتين، وكانت اليمن من أرفع الولايات عندهم بما كانت منازل العرب

العاربة، ودار الملوك العظماء من التبابعة والاقيال والعباهلة. ولما انقضى الكلام في أخبار حِمْيَر وملوكهم باليمن من العرب، استدعى الكلام ذكر معاصريهم من العجم على شرط كتابنا لنستوعب أخبار الخليقة، ونميز حال هذا الجيل العربي من جميع جهاته، والأمم المشاهير من العجم الذين كانت لهم الدول العظيمة لعهد الطبقة الأولى والثانية من العرب، وهم النبط والسريانيون أهل بابل، ثم الجرامقة أهل الموصل ثم القبط، ثم بنو إسرائيل والفرس ويونان والروم، فلنأت الآن بما كان لهم من الملك والدولة، وبعض أخبارهم على اختصار. والله ولى العون والتوفيق، لا رب غيره، ولا مأمول إلا خيره.

خريطة

ملوك بابل

الخبر عن ملوك بابل من القبط والسريانيين وملوك الموصل ونينوى من الجرامقة

قد تقدم لنا أنّ ملك الأرض بعد نوح عليه السلام كان لكنعان بن كوش بن حام. ثم لابنه النمروذ من بعده. وأنه كان على بدعة الصابئة، وان بني سام كانوا حنفاء ينتحلون التوحيد الذي عليه الكلدانيون من قبلهم. قال ابن سعيد: ومعنى الكلدانيين الموحدين. ووقع ذكر النمروذ في التوراة منسوبا إلى كوش بن حام، ولم يقع فيها ذكر لكنعان بن كوش، فالله اعلم بذلك. وقال ابن سعيد أيضاً: وخرج عابر بن شالخ ابن أرفخشذ، فغلبه وسار من كوثا إلى ارض الجزيرة والموصل، فبنى مدينة مجدل هناك، وأقام بها إلى أنّ هلك. وورث أمره ابنه فالغ من بعده، وأصاب النمروذ وقومه على عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام ما أصابهم في الصرح، وكانت البلبلة وهي المشهورة، وقد وقع ذكرها في التوراة ولا أدري معناها. والقول بأن الناس أجمعين كانوا على لغة واحدة، فباتوا عليها ثم أصبحوا وقد افترقت لغاتهم قول بعيد في العادة، إلا أنّ يكون من خوارق الأنبياء فهو معجزة حينئذ، ولم ينقلوه كذلك. والذي يظهر أنه إشارة إلى التقدير الإلهي في خرق العادة وافتراقها، وكونها من آياته كما وقع في القرآن الكريم. ولا يعقل في أمر البلبلة غير ذلك.

وقال ابن سعيد: سوريان بن نبيط ولأه فالغ على بابل، فانتقض عليه وحاربه، ولما هلك فالغ قام بأمره بعده ابنه ملكان، فغلبه سوريان على الجزيرة، وملكها هؤلاء الجرامقة إخوانه في النسب بنو جرموق بن أشوذ بن سام، وكانت مواطنهم بالجزيرة. وكان ابن أخت سوريان منهم الموصل بن جرموق، فولاه سوريان على الجزيرة واخرج بني عابر منها. ولحق ملكان منها بالجبال فأقام هنالك. ويقال: أنّ الخضر من عقبه. واستبد الموصل على خاله سوريان بن نبيط، ملك بابل، وامتازت مملكة الجرامقة من مملكة النبط. وملك بعد الموصل ابنه راتق، وكانت له حروب مع النبط، وملك من بعده ابنه أثور وبقي ملكها في عقبه، وهو مذكور في التوراة. وملك بعده ابنه نينوى، وبنى المدينة المقابلة للموصل من عدوة دجلة المعروفة باسمه.

ثم كان من عقبه سنجاريف بن أثور بن نينوى بن أثور، وهو الذي بنى مدينة سنجار وغزا بني إسرائيل فصلبوه على بيت المقدس.

وقال البيهقي: أنّ الجزيرة ملكها بعد مقتل سنجاريف أخوه ساطرون وهو الذي بنى مدينة الخضر في برية سنجار على نهر الترتار لتولعه بصيد الأسود في غيضاتها. وملك من بعده ابنه زان وكان يدين بالصابئة، ويمال: أنّ يونس بن متى بعث إليه، ويونس من الجرامقة من سبط بنيامين بن إسرائيل من ابنه، فآمن به زان بن ساطرون بعد الذي قصه القرآن من شأنه معهم. ثم أنّ بختنصر لما غلب على بابل، زحف إليه ودعاه إلى دين الصابئة، وشرط له أنّ يبقيه في ملكه، فأجاب. ولم يزل على الجزيرة حتى زحف إليه جيوش من الفرس مع ارتاق، فضمن القيام بالمجوسية على أنّ يبقوه في ملكه، وكتب بذلك أرتاق إلى بهمن ليضمن له، فأجابه بأن هذا رجل متلاعب بالأديان فاقتله، فقتله أرتاق وانقرض ملكه بعد ألف وثلاثمائة سنة فيما قال البيهقي. وفي أربعين ملكا منهم، وصارت الجزيرة لملوك الفرس، والذي عند الإسرائيليين سنجاريف من ملوك نينوى وهم أولاد موصل بن أشوذ بن سام. وأنه كان قبله بالموصل ملوك منهم، وهم فول وتلفات وبلناص، وأنهم ملكوا بلد الأسباط العشرة، وهي شمورون المعروفة بالسامرة، وأنه غرب الأسباط الذين كانوا فيها إلى نواحي أصبهان وخراسان، وأسكن أهل كومة وهي الكوفة في شمورون هذه، فسلط الله عليهم السباع يفترسونهم في كل ناحية. فشكوا ذلك إلى سنجاريف وسألوه أنّ يخبرهم عن بلد شمورون في قسمة أي كوكب هي، كي يتوجهوا إليه، ويستنزلوا روحانيته على طريق الصابئة، فأعرض عن ذلك. وبعث كاهنان إليهم من اليهود فعلموهم دين اليهودية وأخذوا به، وهؤلاء عند اليهود هم الشمرة نسبة إلى شمر وهي شمورون. وليس الشمرة عندهم من بني إسرائيل، ولا دينهم صحيح في اليهودية.

وزحف سنجاريف عندهم إلى بيت المقدس بعد استيلائه على شمورون، فحاصرها وداخله العجب بكثرة عساكره. فقال لبني إسرائيل: من الذي خلصه إلهه من يدي حتى يخلصكم إلهكم، وفزع ملك بني إسرائيل إلى نبيهم مدليلا، وسأله الدعاء فدعا له، وأمنه من شرّ سنجاريف، ونزلت بعسكره في بعض لياليهم آفة سماوية، فأصبحوا كلهم قتلى. يقال أحصى قتلاهم فكانوا مائة وخمسة وثمانين ألفاً، ورجع سنجاريف إلى نينوى ثم قتله

أولاده في سجوده لمعبوده من الكواكب، وولى ابنه أُيْسَرْحَدُّون، ثم استولى عليهم بعد ذلك بَخْتَنَصَّر كما سنذكره في خبره.

وأما ملوك بابل فهم النبط بنو نبيط بن اشوذ بن سام. وقال المسعودي: نبيط بن ماش بن إرم وكانوا موطنين بأرض بابل وملك منهم سوريان بن نبيط. وقال المسعودي: هو أحد نبيط بن ماش، ملك أرض بابل بولاية من فالغ، فلما مات فالغ أظهر بدعة الصابئة، وانتحلها بعده ابنه كنعان ويلقب بالنمروذ. وملك بعده ابنه كوش وهو نمروذ إبراهيم عليه السلام، وهو الذي قدم أباه آزر، فاصطفاه هاجر على بيت الأصنام لأن أرعو بن فالغ، لما هلك أبوه فالغ وكان على دين التوحيد الذي دعاه إليه أبوه عابر، رجع حينئذ أرغو إلى كوثا، ودخل مع النمارذة في دين الصابئة، وتوارثها بنوه إلى آزر بن ناحور، فاصطفاه هاجر بن كوش وقدمة على بيت الأصنام، وولد له إبراهيم عليه السلام. وكان من أمره ما ذكرناه فيما نصه التنزيل ونقله الثقات. ثم توالت ملوك النمارذة ببابل، وكان منهم بختنصر على ما ذهب إليه بعضهم. ويقال أنّ الجرامقة وهم أهل نينوى غلبوا على بابل، وملكها سنجاريف منهم. واستعمل فيها بختنصر من ملوكها. ثم انتقض عليه بالجزا والطاعة، وغزا بني إسرائيل ببيت المقدس، فاقتحمها عليهم بعد الحصار وأثخن فيهم بالقتل والأسر، وقتل ملكهم وخرب مسجدهم وتجاوزهم إلى مصر، فملكها. ولما هلك بختنصر ملك من بعده فيما ذكروه ابنه نشبت نصّر. ثم من بعده بنيصر وغزاه أرتاق مرزبان كسرى من ملوك الكينية فقتله،وملك بابل وأعماله، وصار النبط والجرامقة رعية للفرس، وانقرضت دوله النمارذة ببابل. هكذا ذكر ابن سعيد، ونقله عن داهر مؤرخ دولة الفرس، وجعل السريانيين والنبط أمة واحدة، وهما دولة واحدة، وأما المسعودي فجعلهما دولتين. وأما السريانيون فقال هم أول ملوك بعد الأرض الطوفان، وسمى من ملوكهم تسعة متعاقبين في مائة سنة أو فوقها، بأسماء أعجمية لا فائدة في نقلها لقلة الوثوق بالأصول التي بأيدينا من كتبه، وكثرة التغيير في الأسماء الأعجمية. نعم ذكر أنّ شوشان بشينين معجمتين، وأنه أول من وضع التاج على رأسه. والرابع منهم أنه الذي كور الكور، ومدن المدن، وان ملك الهند لعهده كان اسمه رتبيل، وأنه استولى على ملكه واستولى على السريانيين. وأن بعض ملوك المغرب ظاهرهم عليه، وانتزع لهم ملكهم من

ورده عليهم. وسمى الثامن منهم ماروت. وأشار في آخر كلامه إلى أنهم كانوا مستولين على بابل وعلى الموصل، وأن ملوك اليمن ربما غلبوهم على أمرهم بعض الأحيان. وذكر في التاسع أنه كان غير مستقل بأمره، وأن أخاه كان مقاسمة في سلطانه، وأن أول من

اتخذ الخمر فلان، وأول من ملك فلان، وأول من لعب بالصقور والشطرنج فلان: مزاعم كلها بعيدة من الصحة. إنما وجهه أنّ السريانيين لما كانوا أقدم في الخليقة نسب إليهم كل قديم من الأشياء أو طبيعي كالخط واللغة والسحر والله أعلم.

وأما النبط فعند المسعودي أنهم من أهل بابل، لقوله في ترجمتهم ذكر ملوك بابل والنبط وغيرهم المعروفين بالكلدانيين. وذكر أنّ أولهم نمروذ الجبار ونسبه إلى ماش بن إرم بن سام. وذكر أنه الذي بنى الصرح ببابل، واحتفر نهر الكوفة، ونسب النمروذ في موضع آخر إلى كوش بن حام، لا أدري هو أو غيره. ثم عد ملوكهم بعد النمروذ ستاً وأربعين أو نحوها في ألف وأربعمائة من السنين، بأسماء أعجمية متعذر ضبطها فتركت نقلها. إلا أنه ذكر في الموفى منهم عدد العشرين وبعد التسعمائة من سنيهم، أنه الذي غزت فارس لعهده مدينة بابل. وذكر في الموفى عدد ثلاثة وثلاثين منهم، عند الألف والأربعمائة من سنيهم أنه سنجاريف الذي حارب بني إسرائيل وحاصرهم ببيت المقدس حتى أخذ الجزية منهم. وأن آخر ملوكهم دارينوش، وهو دارا الذي قتله الإسكندر لما ملك بابل. هذا ما ذكره المسعودي. ولم يذكر منهم نمروذ الخليل عليه السلام. وذكر أنّ مدينتهم بابل وأن الذي اختطها اسمه نير، واسم إمرأته شمر أم ملوك السريانيين اسمان أعجميان لا وثوق لنا بضبطها. وقال الطبري: نمروذ بن كوش بن كنعان بن حام صاحب إبراهيم الخليل عليه السلام، وكان يقال عاد إرم، فلما هلكوا قيل ثمود إرم، فلما هلكوا قيل نمروذ إرم، فلما هلك قيل لسائر ولد إرم إرمان، فهم النبط. وكانوا على الإسلام ببابل حتى ملكهم نمروذ، فدعاهم إلى عبادة الأوثان فعبدوها. انتهى كلام الطبري.

وقال هروشيوش مؤرخ الروم: انه نمروذ الجسيم، وإنّ بابل كانت مربعة الشكل، وكان سورها في دور ثمانين ميلا، وارتفاعه مائتا ذراع، وعرضه خمسون ذراعا، وهو كله مبني بالآجرّ والرصاص، وفيه مائة باب من النحاس، وفي أعلاه مساكن الحراس والمقاتلة تبيت على الجانبين في سائر دورة الطريق بينهما. وحول هذا السور خندق بعيد المهوى أجري فيه الماء،

وأن الفرس هدموه، ولما تغلبوا علي ملك بابل تولى ذلك منهم كلام جيرش وهو كسرى الأول. انتهى كلام هروشيوش.

ويظهر من كلام هؤلاء أنّ اسم النمروذ سمة من ملك بابل، لوقوعه في أهل أنساب مختلفة، مرة إلى سام ومرة إلى حام. وزعم بعض المؤرخين أنّ نمروذ الخليل

عليه السلام هو النمروذ بن كنعان بن سنجاريف بن النمروذ الأكبر. وان بختنصر من عقبه وهو ابن برزاد بن سنجاريف بن النمروذ وأن الفرس الكينية غلبوا بختنصر على بابل ثم أبقوه واستعملوه عليها، وأن كسرى الأول من بني ساسان خرب مدينة بابل. وعند الإسرائيليين وينقلونه عن كتاب دانيال وأرميا من أنبيائهم، وضبط هذا الاسم يرميا: أنّ بختنصر من عقب كاسد بن حاور وهو أخو إبراهيم الخليل. وبنو كاسد هؤلاء من ملوك بابل ويعرفون بالكسدانيين نسبة إليه. وأن بختنصر منهم ملك أكثر المعمور وغلب على بني إسرائيل وأزال دولتهم، وخرب بيت المقدس، وانتهى ملكه إلى مصر وما وراءها، وكان ملكه خمسا وأربعين.

وملك بعده ابنه أويل مرود ثلاثا وعشرين سنة و بعده بلينصر ثلاث سنين. ثم زحف إليه دارا من ملوك الفرس وصهره كورش فحاصروه بمدينة بابل. وقال بعض الإسرائيليين: أنّ بختنصر وملوك بابل من كسديم، وكسديم من عيلام بن سام وهو أخو أشوذ، ومن أشوذ ملوك الموصل، انتهى الكلام في ملوك الموصل وملوك بابل. وهذا غاية ما أدى إليه البحث من أخبارهم وأنسابهم. وكان من هؤلاء والكلدانيين دين الصابئة وهو عبادة الكواكب واستجلاب روحانيتها. يذكر أنهم كانوا لذلك أهل عناية بأرصاد الكواكب ومعرفة طبائعها، وخلاص المولدات وما يشابه ذلك من علوم النجوم والطلسمات والسحر. وأنهم نهجوا ذلك لأهل الربع الغربي من الأرض. وقد يشهد لذلك قراءة من قرأ: وما انزل على الملكين، بكسر اللام، مشيراً إلى أنّ هاروت وماروت من ملوك السريانيين وهم أول ملوك بابل، وعلى القراءة المشهورة وأنهما من الملائكة، فيكون اختصاص هذه الفتنة والابتلاء ببابل من بين أقطار الأرض دليلا على وفور قسطهما من صناعة السحر الذي وقع الابتلاء به، ومما يشهد لانتحالهم السحر وفنونه من النجوم وغيرها، أنّ هذه العلوم وجدناها من منتحل أهل مصر المجاورين لهم، وكان لملوكها عناية شديدة بذلك، حتى كان من مباهاتهم موسى بذلك وحشر السحرة له ما كان. وبقايا الآثار السحرية في برابي أخميم من صعيد مصر ما يشهد لذلك أيضاً والله أعلم.

خريطة

القبط

الخبر عن القبط وأوّلية ملكهم ودولهم وتصاريف أحوالهم والإلمام بنسبهم

هذه الأمة أقدم أمم العالم وأطولهم أمداً في الملك، واختصوا بملك مصر وما إليها، ملوكها من لدن الخليقة إلى أنّ صبحهم الإسلام بها، فانتزعها المسلمون من أيديهم. ولعدههم كان الفتح، وربما غلب عليهم جميع ما عاصرهم من ا لأمم حين يستفحل أمرهم، مثل العمالقة والفرس والروم واليونان، فيستولون على مصر من أيديهم. ثم يتقلص ظلهم فراجع القبط ملكهم هكذا إلى أنّ انقرضوا في مملكة الإسلام. وكانوا يسمون الفراعنة سمة لملوك مصر في اللغة القديمة. ثم تغيرت اللغة وبقي هذا الإسم مجهول المعنى، كما تغيرت الحميرية إلى المضرية والسريانية إلى الرومية. ونسبهم في المشهور إلى حام بن نوح. وعند المسعودي إلى بنصر بن حام. وليس في التوراة ذكر لبنصر بن حام، وإنما ذكر مصرايم وكوش وكنعان وقوط. وقال السهيلي: إنهم من ولد كنعان بن حام لأنه لما نسب مصر قال فيه: مصر بن النبيط أو ابن قبط بن النبيط من ولد كوش بن كنعان. وقال أهروشيوش: إنّ القبط من ولد قبط بن لايق بن مصر. وعند الإسرائيليين أنهم من قوط ابن حام، وعند بعضهم أنهم من كفتوريم قبطقايين ومعناه القبط.

وقال المسعودي: اختص بنصر بن حام أيام النمروذ، ابن أخيه كنعان بولاية أرض مصر واستبد بها، وأوصى بالملك لابنه مصر، فاستفحل ملكه ما بين اسوان واليمن والعريش وأيلية وفرسية فسميت كلها أرض مصر نسبة إليه، وفي قبليها النوبة وفي شرقيها الشام، وفي شمالها بحر الزقاق، وفي غربها برقة، والنيل من دونها. وطال عمر مصر وكبر ولده، وأوصى بالملك لأكبرهم وهو قبط بن مصر أبو الأقباط، فطال أمد ملكه، وكان له بنون أربع: قبط بن مصر، وأن مصر هو الذي قسم الأرض، وعهد إلى أكبرهم بالملك وهو قبط، فغلب عليهم فأضيفوا إليه لمكان الملك والسن. وملك بعد قبط بن مصر أشمون بن مصر، ثم من بعده صاثم أخوهما أتريب. ثم عد ملوكا بأسماء

أعجمية بعيدة عن الضبط لعجمتها، وفساد ألاصول التي بين أيدينا من كتبته. ثم لما ذكر ستة منهم بعد أتريب قال: فكثر ولد بنصر بن حام، وتشاغبوا وملك عليهم النساء، فسار إليهم ملك الشام من العمالقة الوليد بن دومع فملكهم وانقادوا إليه، وأما ابن سعيد فيما نقل من كتب المشارقة فقال: ملك مصر ابنه قبط، ثم من بعده أخوه أتريب. قال: وفي أيام قبط زحف شداد بن مداد بن شداد بن عاد إلى مصر، وغلب على أسافلها، ومات قبط في حروبه. ثم جمع أتريب قومه واستظهر بالبربر والسودان على العرب حتى أخرجهم إلى الشام، واستبد أتريب بملك مصر وبنى المدينة المنسوبة إليه، ومدينة عين شمس، وملك بعده ابن أخيه البودشير بن قبط، وهو الذي بعث هرمساً المصري إلى جبل القمر حتى ركب جرية النيل من هنالك. وعدل البطيحة الكبرى التي تنصب إليها عيون النيل. وعمر بلاد الواحات، وحول إليها جمعا من أهل بيته. ثم ملك من بعده عديم بن البودشير ثم ابنه شدات بن عديم، ثم ابنه منذوش بن شدات، وجدد مدينة عين شمس، وكان لهم في السحر آثار عجيبة. ثم ملك بعده ابنه مقلاوش بن مقناوش، وعبد البقر وصورها من الذهب. ثم هلك وخلف ابنه مرقيش فغلب عليه عمه أشمون بن قبط وبنى مدينة الأشمون. وملك بعد ابنه أشاد بن أشمون، ثم من بعده عمه صا بن قبط وبنى مدينة باسمه. وملك بعده ابنه ندراس وكان حكيماً، وهو الذي بنى هيكل الزهرة الذي هدمه بختنصر. وملك بعده ابنه ماليق بن ندراس فرفض الصابئة ودان بالتوحيد، ودوخ بلاد البربر والأندلس، وحارب الإفرنج، وملك بعده ابنه حربيا بن ماليق فرجع عن التوحيد إلى الصابئة، وغزا بلاد الهند والسودان والشام. وملك بعده ابنه كلكي بن حربيا وهو الذي تسميه القبط حكيم الملوك ، واتخذ هيكل زحل وعهد إلى أخيه ماليا بن حربيا، واشتغل باللهو فقتله ابنه خرطيش، وكان سفاكا للدماء. والقبط تزعم أنه فرعون الخليل عليه السلام، وأنه أول الفراعنة. ولما تعدى بالقتل إلى أقاربه سمته ابنته حوريا وملكت القبط من بعده، فنازعها أبراحس من ولد عمها أتريب، وحاربته فكان لها الغلب. وانهزم أبراحس إلى الشام، فاستظهر بالكنعانيين وبعث ملكهم قائده جيرون، فلما قرب مصر استقبلته حوريا وأطمعته في زواجها على أنّ يقتل أبراحس ويبني مدينة

الإسكندرية ففعل، ثم قتلته آخراً مسموماً. واستقام لها الأمر وبنت منارة الإسكندرية وعهده بأمرها لدليقية ابنة عمها باقوم، فخرج عليها

أيمين من نسل أتريب طالباً بثأر قريبه أبراحس، ولحق بملك العمالقة يومئذ، وهو الوليد بن دومع الذي ذكرناه عند ذكر العمالقة فاستنصر به وجا ء معه وملك ديار مصر. واستبد بالقبط نقراوس، فاشتغل باللذات واستكفى من بنيه أطفير وهو العزيز فكفاه وقام بأمره، ودبر له يوسف الفيوم با لوحي والهندسة، وكانت أرضها مغايض للماء فأخرجه، وعمر القرى مكانه على عدد أيام السنة.. فجعله على خزائنه. وملك بعده دارم بن الريان، وسمته القبط ويموص. وكان يوسف مدبر أمره بوصية أبيه. ومات لعهده فأساء السيرة وهلك غريقاً في النيل. وملك بعده ابنه معدانوس بن دارم فترهب واستخلف ابنه كاشم فاستعبد بني إسرائيل للقبط، وقتله حاجبه ونصب بعده ابنه لاطش، فاشتغل باللهو فخلعه ونصب آخر من نسل ندراس اسمه لهوب، فتجبر وتذكر القبط أنه فرعون موسى عليه السلام. وأهل الأثر يقولون: إنه الوليد بن مصعب وأنه كان نجاراً تقلب حاله إلى عرافة الحرس، ثم تطور إلى الوزارة ثم إلى الاستبداد. وهذا بعيد لما قدمناه في الكتاب الأول. وقال المسعودي: بل كان فرعون موسى من الأقباط. ثم هلك فرعون موسى، وخشي القبط من ملوك الشام، فملكوا عليهم دلوكة من بيت الملك وهي التي بنت الحائط على أرض مصر، ويعرف بحائط العجوز، لأنها طال عمرها حتى كبرت واتخذت البرابي ومقاييس النيل. ثم سمى المسعودي من بعد دلوكة ثمانية من ملوكهم على ذلك النحو من عجمة الأسماء. وقال في الثامن إنه فرعون الأعرج الذي اعتصم به بنو إسرائيل من بختنصر، فدخل عليه مصر وقتله، وهدم هياكل الصابئة، ووضع بيوت النيران له ولولده. وذكر في تواريخهم قال: قال ابن عبد الحكيم: وهذه العجوز دلوكة هي التي جددت البرابي بمصر، أرسلت إلى امرأة ساحرة كانت لعهدها اسمها تروره، وكانت السحرة تعظمها، فعملت بربى من حجارة وسط مدينة منف، وصورت فيها صور الحيوانات من ناطق وأعجم، فلا يقع شيء بتلك الصورة إلا وقع بمثالها في الخارج. وكان لهم بذلك امتناع ممن يقصدهم من الأمم، لأنهم كانوا أعلم الناس بالسحر، وأقامت عليهم عشرين سنة حتى بلغ صبي من أبنائهم إسمه دركون

بطلوس فملكوه، وأقامت معه على ذلك أربعمائة سنة ثم مات، فولوا ابنه يرديس بن دركون، ومن بعده أخاه نقاس بن نقراس، ومن بعده

مرينا بن مرينوس، ثم ابنه استمارس بن مرينا، فطغى عليهم وخلعوه وقتلوه. وولوا عليهم صن أشرافهم بلوطيس بن مناكيل أربعين سنة، ثم استخلف مالوس بن بلوطيس ومات، فاستخلف أخاه مناكيل بن بلوطيس، ثم توفي فاستخلف ابنه بركة بن مناكيل فملكهم مائة وعشرين سنة. وهو فرعون الأعرج الذي سبى أهل بيت المقدس. ويقال أنه خُلع.

وقال ابن عبد الحكم: وولي من بعده ابنه مرينوس بن بركة، فاستخلف ابنه فرقون بن مرينوس، فملكهم ستين سنة، ثم هلك، واستخلف أخاه نقاس بن مرينوس. وكانت البرابي كلها إذا فسد منها شيء لا يصلحه إلاّ رجل من ذرية تلك العجوز الساحرة التي وضعتها. ثم انقطعت ذريتها ففسدت البرابي أيام نقاس هذا، وتجاسر الناس على طلب الملك الذي في أيديهم، وهلك نقاس، واستخلف ابنه قومس بن نقاس، فملكهم دهراً، ثم ملك بختنضر بيت المقدس، واستلحم بني إسرائيل وفرقهم وقتل وخرّب ولحقوا بمصر، فأجارهم قومس ملكها، وبعث فيهم بختنصر فمنعهم وزحف إليه وغلب عليه فقتله، وخرب مدينة منف. وبقيت مصر أربعين سنة خرابا. وسكنها أرمياء مدة، ثم بعث إليه بختنصر فلحق به، ثم ردّ أهل مصر إلى موضعهم، وأقاموا كذلك ما شاء الله إلى أنّ غلب الفرس والروم على سائر الأمم،وقاتل الروم أهل مصر إلى أنّ وضعوا عليهم الجزى، ثم تقاسمها فارس والروم، ثم تداولوا ملكها فتوالت عليها نواب الفرس، ثم ملكها الإسكندر اليوناني وجدّد الإسكندرية والآثار التي خارجها، مثل عمود السواري ورواق الحكمة.

ثم غلب الروم على مصر والشام ، وأبقوا القبط في ملكها وصرفوهم في الولاية بمصر، إلى أنّ جاء الله بالإسلام، وصاحب القبط بمصر والإسكندرين المقوقس، واسمه جريج بن مينا فيما نقله السهيلي، فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطب ابن أبي بلتعة وجبرا مولى أبي رهم الغفاريّ، فقارب الإسلام وأهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هديته المعروفة، ذكرها أهل السير، كان فيها البغلة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركبها وتسمى دلدل، والحمار الذي يسمّى يعفور، ومارية القبطية أم ولده إبراهيم، وأمّها وأختها سيرين، وهبها رسول الله

صلى الله عليه وسلم لحسّان بن ثابت، فولدت له عبد الرحمن، وقدح من قوارير كان رسو ل الله صلى الله عليه وسلم يشرب فيه، وعسل استظرفه له من بنها إحدى قرى مصر معروفة بالعسل الطيب.

ويقال: أنّ هرقل لما بلغه شأن هذه الهدية اتهمه بالميل إلى الإسلام فعزله عن رياسة القبط.

وخرج مسلم في صحيحه من رواية أبي ذر أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: <<إذا افتتحتم مصر أو إنكم مستفتحون مصر فاستوصوا بأهلها خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً أو صهراً>>. ورواه ابن إسحق عن الزهريّ وقال: قلت للزهري ما الرحم التي ذكر؟ قال كانت هاجر ام إسماعيل منهم. ولبعض رواة الحديث في تفسير الصهر أنّ مارية أم إبراهيم منهم، أهداها له المقوقس، وكانت من كورة حفن من عمل أنصناء. وقال الطبري: أنّ عمرو بن العاص لما ملك مصر أخبرهم بوصية النبيّ صلى الله عليه وسلم بهم، فقال: هذا نسب لا يحفظ حقه إلاّ نبي، لأنه نسب بعيد. وذكروا له أنّ هاجر كانت امرأة لملك من ملوكنا، ووقعت بيننا وبين أهل عين شمس حروب كانت لهم في بعضها دولة، فقتلوا الملك وسبوها. ومن هنالك تسيرت إلى أبيكم إبراهيم.

ولما كمل فتح مصر والإسكندرية، وارتحل الروم إلى القسطنطينية، أقام المقوقس والقبط على الصلح الذي عقده لهم عمرو بن العاص وعلى الجزى، وأبقوه على رياسة قومه، وكانوا يشاورونه فيما ينزل من المهمات إلى أنّ هلك، وكان ينزل الإسكندرية، وفي بعض الأوقات ينزل منف من أعمال مصر. واختط عمرو بن العاص الفسطاط بموضع خيامة التي كان يحاصر منها مصر. فنزل بها المسلمون وهجروا المدينة التي كان بها المقوقس، إلى أنّ خَرَبت. وكان في خرابها ومهلك المقوقس انقراض أمرهم. وبقي أعقابهم إلى هذا الزمان يستعملهم أهل الدول الإسلامية في حسابات الخراج، وجبايات الأموال لقيامهم عليها، وغنائهم فيها، وكفايتهم في ضبطها وتنميتها. وقد يهاجر بعضهم إلى الإسلام فترتفع رتبتهم عند السلطان في الوظائف المالية التي أعلاها في الديار المصرية رتبة الوزارة، فيقلدونهم إياها ليحصل لهم بذلك قرب من السلطان، وحظ عظيم في الدولة وبسطة يد في الجاه، تعدّدت منهم في ذلك رجال، وتعينت لهم بيوت ، قصر السلطان نظره على الاختيار منها لهذا العهد. وعامتهم يقيم على دين

النصرانية الذين كانوا عليها لهذا العهد، وأكثرهم بنواحي الصعيد وسائر الأعمال، متحرفون بالفلح والله غالب على أمره.

وأمَّا إقليم مصر فكان في أيام القبط والفراعنة جسوراً كله بتقدير وتدبير، يحبسونه

ويرسلونه كيف شاؤا، والجنات حفاف النيل من أعلاه إلى أسفله، ما بين أسوان ورشيد. وكانت مدينة منف وعين شمس، يجري الماء تحت منازلها وأفنيتها بتقدير معلوم، ذكر ذلك كله عبد الرحمن بن شَمَاسَة، وهو من خيار التابعين، يرويه عن أشياخ مصر. قالوا: ومدينة عين شمس كانت هيكل الشمس، وكان فيها من الأبنية والأعمدة والملاعب ما ليس في بلد. قلت: وفي مكانها لهذا العهد ضيعة متصلة بالقاهرة يسكنها نصارى من القبط وتسمى الَمَطريّة. قالوا: ومدينة مَنَفَ مدينة الملوك قبل الفراعنة وبعدهم إلى أنّ خرّبها بختنصر كما تقدّم في دولة قومس بن نقاس. وكان فرعون ينزل مدينة منف، وكان لها سبعون باباً، وبنى حيطانها بالحديد والصفر. وكانت أربعة أنهار تجري تحت سريره. ذكره أبو القاسم بن خرداذبه في كتاب المسالك والممالك. قال: وكان طولها إثني عشر ميلاً، وكانت جباية مصر تسعين ألف ألف دينار مكّرره مرتين، بالدينار الفرعوني وهو ثلاثة مثاقيل. وإنما سميت مصر بمصر بن بيصر بن حام، وبقال انه كان مع نوح في السفينة، فدعا له فأسكنه الله هذه الأرض الطيبة، وجعل البركة في ولده. وحدّها طولاً من برقة إلى أيلة، وعرضاً من أسوان إلى رشيد وكان أهلها صابئة، ثم حملهم الروم لما ملكوها بعد قسطنطين على النصرانية، عندما حملوا على الأمم المجاورة لهم من الجلالقة والصقالبة وبرجان والروس والقبط والحبشة والنوبة. فدانوا كلهم بذلك ورجعوا عن دين الصابئة في تعظيم الهياكل وعبادة الأوثان، والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

خريطة

خريطة

بنو إسرائيل

الخبر عن بني إسرائيل وما كان لهم من النبوة والملك وتغلبهم علي الأرض المقدّسة بالشام وكيف تجدّدت دولتهم بعد الانقراض وما اكتنف ذلك من الأحوال

قد ذكرنا عند ذكر إبراهيم وبنيه صلوات الله وسلامه عليهم ما كان من شأن يعقوب بن إسحق واستقراره بمصر مع بنيه الأسباط، وفي التوراة أنّ الله سماه إسرائيل. وإيل عندهم كلمة مرادفة لعبد، وما قبلها من أسماء الله عز وجل وصفاته، والمضاف أبدا متأخر في لسان العجم، فلذلك كان إيل هو آخر الكلمة وهو المضاف. ثم قبض الله نبيه يعقوب بمصر لمائة وسبع وثمانين سنة من عمره وأوصى أنّ يدفن عند أبيه، فطلب يوسف من فرعون أنّ يطلقه لذلك فأذن له، وأمر أهل دولته بالانطلاق معه فانطلقوا وحملوه إلى فلسطين فدفنوه بمقبرة آبائه، وهي التي اشتراها إبراهيم من الكنعانيين. ورجع يوسف إلى مصر وأقام بها إلى أنّ توفي لمائة وعشرين سنة من عمره، ودفن بمصر وأوصى أنّ يحملوا شِلْوه معهم إذا خرجوا إلى أرض الميعاد وهي الأرض المقدّسة.

وأقام الأسباط بمصر وتناسلوا وكثروا، حتى ارتاب القِبط بكثرتهم واستعبدوهم، وفي التوراة أنّ ملكا من الفراعنة جاء بعد يوسف لم يعرف شأنه ولا مقامه في دولة آبائه، فاسترقّ بني إسرائيل واستعبدهم. ثم تحدّث الكُهّان من أهل دولتهم بأنّ نبوة تظهر في بني إسرائيل، وأنّ ملكك كائن لهم مع ما كان معلوما من بشارة آبائهم لهم بالملك، فعمد الفراعنة إلى قطع نسلهم بذبح الذكور من ذريتهم. فلم يزالوا على ذلك مدّة من الزمان، حتى ولد موسى. وهو موسى بن عمران بن قاهث بن لاوى بن يعقوب. وأمّه يوحانذ بنت لاوى عمة عمران. وكان قاهث بن لاوى من القادمين إلى مصر مع يعقوب عليه السلام وولد عمران بمصر، وولد هارون لثلاث وسبعين من عمره وموسى لثمانين، فجعلته أمّه في تابوت وألقته في ضحضاح اليم، وأرصدت أخته على بعد لتنظر من يلتقطه فتعرفه. فجاءت ابنة فرعون إلى البحر مع جواريها فرأته

واستخرجته من التابوت فرحمته. وقالت: هذا من العبرانيين فمن لنا بظئر ترضعه. فقالت لها أخته أنا آتيكم بها . وجاءت بأمّه فاسترضعتها له ابنة فرعون، إلى أنّ فصل، فأتت به إلى ابنة فرعون وسمته موسى، وأسلمته لها. ونشأ عندها ثم شب، وخرج يوما يمشي في الناس وله صولة بما كان له في بيت فرعون من المربى والرضاع، فهم لذلك أخواله. فرأى عبرانياً يضربه مصريّ، فقتل المصري الذي ضربه ودفنه. وخرج يوما آخر فإذا هو برجلين من بني إسرائيل وقد سطا أحدهما على الآخر فزجره، فقال له: ومن جعل لك هذا؟ أتريد أنّ تقتلنى كما قتلت الآخر بالأمس. ونمي الخبر إلى فرعون فطلبه، وهرب موسى إلى أرض مدين عند عقبة أيلة، وبنو مدين أمة عظيمة من بني إبراهيم عليه السلام، كانوا ساكنين هناك. وكان ذلك لأربعين سنة من عمره، فلقي عند مائهم بنتين لعظيم من عظمائهم، فسقى لهما وجاءتا به إلى أبيهما فزوّجه باحداهما، كما وقع القرآن الكريم. وأكثر المفسّرين على أنه شعيب بن نوفل بن عيقا بن مدين، وهو النبيّ صلى الله عليه وسلم. وقال الطبريّ: الذي استأجر موسى وزوّجه بنته رَعْويل وهو بيتر حبر مَدْيَن، أي عالمهم، وأن رعويل هو الذي زوّجه البنت، وأنّ اسمه يبتر. وعن الحسن البصريّ أنه شعيب رئيس بني مدين. وقيل إنه ابن أخي شعيب، وقيل ابن عمه. فأقام عند شعيب صهره مقبلا على عبادة ربّه، إلى أنّ جاءه الوحي وهو ابن ثمانين سنة. وأوحى إلى أخيه هارون وهو ابن ثلاث وثمانين سنة. فأوحى الله إليهما بأن يأتيا فرعون ليبعث معهما بني إسرائيل، فيستنقذانهم من مملكة القبط، وجور الفراعنة، ويخرجون إلى الأرض المقدّسة التي وعدهم الله بملكها على لسان إبراهيم وإسحاق ويعقوب. فخرجا إليه وبلَّغا بني إسرائيل الرسالة، فآمنوا به واتبعوه، ثم حضرا إلى فرعون وبلّغاه أمر الله له بأن يبعث معهما بني إسرائيل، وأراه موسى عليه السلام معجزة العصا، فكان من تكذيبه وامتناعه وإحضار السَحَرَة لما رأى من موسى في معجزته، ثم إسلامهم ما نصّه القرآن العظيم.

ثم تمادى فرعون في تكذيبه ومناصبته، واشتدّ جوره على بني إسرائيل واستعبادهم

واتخاذهم سخريا في مهنة الأعمال، فأصابت فرعون وقومه الجوائح العشرة، واحدة بعد اخرى، يسالمهم عند وقوعها ويتضرع إلى موسى في الدعاء بانجلائها، إلى أنّ أوحى الله إلى موسى بخروج بني إسرائيل من مصر. ففي التوراة أنهم أمروا عند خروجهم أنّ يذبح أهل كل بيت حملا من الغنم أنّ كان كفايتهم، أو يشتركون مع جيرانهم أنّ كان أكثر، وأن ينضحوا دمه على أبوابهم لتكون علامة، وأن يأكلوه سواء برأسه وأطرافه، ومعناه لا يكسرون له عظما ولا يدعون شيئا خارج البيوت، وليكن خبزهم فطيرا ذلك اليوم وسبعة أيام بعده. وذلك في اليوم الرابع عشر من فصل الربيع، وليأكلوا بسرعة وأوساطهم مشدودة، وخفافهم في أرجلهم وعصيهم في أيديهم، ويخرجوا ليلا، وما فضل من عشائهم ذلك يحرقوه بالنار. وشرع هذا عيداً لهم ولأعقابهم، ويسمى عيد الفصح.

وفي التوراة أيضاً أنه قتل في تلك الليلة أبكار النساء من القبط ودوابهم ومواشيهم ليكون لهم بذلك ثقل عن بني إسرائيل. وأنّهم أمروا أنّ يستعير منهم حليا كثيرا يخرجون به، فاستعاروه وخرجوا في تلك الليلة بما معهم من الدواب والأنعام، وكانوا ستمائة ألف أو يزيدون، وشغل القِبْط عنهم بالمآتم التي كانوا فيها على موتاهم. وأخرجوا معهم تابوت يوسف عليه السلام، استخرجه موسى صلوات الله عليه من المدفن الذي كان به بإلهام من الله تعالى، وساروا لوجههم حتى انتهوا إلى ساحل البحر بجانب الطور. وأدركهم فرعون وجنوده، وأمر موسى بأن يضرب البحر بعصاه ويقتحمه، فضربه فانفلق طرقا. وسار فيه بنو إسرائيل وفرعون وجنوده في اتباعه، ونزل بنو إسرائيل بجانب الطور وسبّحوا مع موسى بالتسبيح المنقول عندهم وهو: نسّبح الرب البهي، الذي قهر الجود، ونبذ فرسانها في البحر المنيع المحمود إلى آخره. وقالوا: وكانت مريم أخت موسى وهارون صلوات الله عليهما تأخذ الدف بيدها ونساء بني إسرائيل في أثرها بالدفوف والطبول، وهي تُرتّل لهنّ التسبيح، سبحان الرب القهّار، الذي قهر الخيول وركبانها ألقاها في البحر وهو المعنى الأول. ثم كانت المناجاة على جبل الطور، وكلام الله لموسى والمعجزات المتتالية، ونزول الألواح. ويزعم بنو إسرائيل أنها كانت لوحين فيها الكلمات العشرة وهي: كلمة التوحيد،

والمحافظة على السبت بترك الأعمال فيه، وبرّ الوالدين ليطول العمر، والنهي

عن القتل، والزنا، والسرقة، وشهادة الزور، ولا تمتدّ عين إلى بيت صاحبه، أو امرأته أو لشيء من متاعه. هذه الكلمات العشرة التي تضمنتها الألواح.

وكان سبب نزول الألواح أنّ بني إسرائيل لما نجوا ونزلوا حول طور سيناء، صعد موسى إلى الجبل، فكلمه ربه، وأمره أنّ يُذكّر بني إسرائيل بالنعمة عليهم في نجاتهم من فرعون، وأن يتطهروا ويغسلوا ثيابهم ثلاثة أيام، ويجتمعوا في اليوم الثالث حول الجبل من بعد، ففعلوا وظلت الجبل غمامة عظيمة ذات بروق ورعود، ففزعوا وقاموا في سفح الجبل دهشين. ثم غشى الجبل دخان في وسطه عمود نور، وتزلزل له الجبل زلزلة عظيمة شديدة، واشتدّ صوت الرعد الذي كانوا يسمعونه، وأمر موسى صلوات الله عليه بأن يقّرب بني إسرائيل لسماع الوصايا والتكاليف، قال فلم يطيقوا فأمر بحضور هارون وتكون العلماء غير بعيدة ففعل، وجاءهم بالألواح.

ثم سار بعد ذلك إلى ميعاد الله بعد أربعين ليلة. فكلمه ربه وسأله الرؤية فمنعها، فكان الصعق، وساخ الجبل ، وتلقى كثيرا من أحكام التوراة في المواعظ والتحليل والتحريم. وكان حين سار إلى الميعاد استخلف أخاه هارون على بني إسرائيل، واستبطؤا موسى، وكان هارون قد أخبرهم بأنّ الحلي الذي أخذوه للقبط محرّم عليهم، فأرادوا حرقه، وأوقدوا عليه النار. وجاء السامريّ في شيعة له من بني إسرائيل، وألقى عليه شيئا كان عنده من أثر الرسول فصار عجلاً وقيل عجلا حيوانا. وعبده بنو إسرائيل، وسكت عنهم هارون خوفا من افتراقهم. وجاء موسى صلوات الله عليه من المناجاة وقد أخبر بذلك في مناجاته. فلما رآهم على ذلك ألقى الألواح، ويقال كسرها، وأبدل غيرها من الحجارة، وعند بني إسرائيل انهما اثنان. وظاهر القرآن أنها أكثر، مع أنه لا يبعد استعمال الجمع في الاثنين. ثم أخذ برأس أخيه ووبّخه واعتذر له بما اعتذر، ثم حرق العجل، وقيل برده بالمبرد وألقاه في البحر.

وكان موسى صلوات الله عليه لما نجا ببني إسرائيل إلى الطور بلغ خبره إلى بيثر صهره من بني مَدْيَن، فجاء ومعه بنته صفورا زوجة موسى عليه السلام التي زوجها بها أبوها رعويل كما تقدّم. ومعها ابناها من موسى

وهما جَرْشُون وعَازَر، فتلقاها موسى صلوات الله عليه بالبرّ والكرامة، وعظمه بنو إسرائيل، ورأى كثرة الخصومات

على موسى، فأشار عليه بأن يتخذ النقباء على كلّ مائة أو خمسين أو عشرة، فيفصلوا بين الناس، وتفصل أنت فيما أهم وأشكل ففعل ذلك.

ثم أمر الله موسى ببناء قبة للعبادة والوحي من خشب الشَمْشَاد، ويقال هو السنْط، وجلود الأنعام وشعر الأغنام. وأمر بتزيينها بالحرير والمصبغ والذهب والفضّة على أركانها. صوّر منها صور الملائكة الكروبيّين على كيفيات مفصلة في التوراة في ذلك كله، ولها عشر سرادقات مقدّرة الطول والعرض، وأربعة أبواب وأطناب من حرير منقوش مصبغ، وفيها دفوف وصفائح من ذهب وفضة، وفي كلّ زاوية بابان، وأبواب وستور من حرير، وغير ذلك مما هو مشروح في التوراة. وبعمل تابوت من خشب الشَمْشَاد طول ذراعين ونصف في عرض ذراعين في ارتفاع ذراع ونصف، مصفّحاً بالذهب الخالص من داخل وخارج، وله أربع حلق في أربع زوايا، وعلى حافته كروبيّان من ذهب يعنون مثالي ملكين بأجنحة، ويكونان متقابلين، وأن يصنع ذلك كله فلان شخص معروف في بني إسرائيل. وأن يعمل مائدة من خشب الشمشاد طول ذراعين في عرض ذراع ونصف بطناب ذهب واكليل ذهب، بحافة مرتفعة باكليل ذهب، وأربع حلق ذهب في أربع نواحيها، مغروزة في مثل الرمانة من خشب ملّبس ذهباً، وصحافاً ومصافي وقصاعاً على المائدة كلها من ذهب. وأن يعمل منارة من ذهب، بست قصبات من كلّ جانب ثلاث. وعلى كل قصبة ثلاث سُرُج، وليكن في المنارة أربعة قناديل، ولتكن هي وجميع آلاتها من قنطار من ذهب. وأن يعمل مذبحاً للقربان، ووصف ذلك كله في التوراة بأتم وصف.

ونصبت هذه القبّة أول يوم من فصل الربيع ونصب فيها تابوت الشهادة وتضمن هذا الفصل في التوراة من الأحكام والشرائع قي القربان والنحور وأحوال هذه القبّة كثيرا. وفيها أنّ قبة القربان كانت موجود ة قبل عبادة أهل العجل، وأنها كانت كالكعبة يصلّون إليها وفيها، ويتقرّبون عندها، وأنّ أحوال القربان كانت كلها راجعة إلى هارون عليه السلام بعهد الله إلى موسى بذلك، وأنّ موسى صلوات الله عليه كان إذا دخلها يقفون حولها، وينزل عمود الغمام على بابها، فيخرون عند ذلك سُجّداً لله عز وجل، ويكلم الله موسى عليه السلام من ذلك العمود الغمام الذي هو نور ويخاطبه

ويناجيه وينهاه، وهو واقف عند التابوت صامد لما بين ذينك الكَرُوبَيْن. فإذا فصل

الخطاب يخبر بني إسرائيل بما أوحاه إليه من الأوامر والنواهي، وإذا تحاكموا إليه في شيء ليس عنده من الله فيه بشيء يجيء إلى قُبّة القربان، ويقف عند التابوت، ويصمد لما بين ذينك الكروبيين فيأتيه الخطاب بما فيه فصل تلك الخصومة.

ولما نجا بنو إسرائيل ودخلوا البرية عند سينا أول المصيف لثلاثة أشهر من خروجهم من مصر، وواجهوا جبال الشام وبلاد بيت المقدس التي وعدوا بها أنّ تكون مُلْكا لهم على لسان إبراهيم وإسحق ويعقوب صلوات الله عليهم بمسيرهم إليها، وأتوه بإحصاء بني إسرائيل من يطيق حمل السلاح منهم من ابن عشرين فما فوقها، فكانوا ستمائة ألف أو يزيدون، وضرب عليهم الغزو ورتب المصاف والميمنة والميسرة، وعين مكان كل سبط في التعبية، وجعل فيه التابوت والمذبح في القلب، وعين لخدمتها بني لاوى من أسباطهم، وأسقط عنهم القتال لخدمة القُبّة، وسار على التعبية سالكا على برية فاران، وبعثوا منهم إثني عشر نقيبا من جميع الأسباط فأتوهم بالخبر عن الجبارين. كان منهم كَالِب بن يوفنَّا بن حصرون بن بَارص بن يهوذا بن يعقوب، ويوشع بن نون بن أليشامع بن عميهون بن بارص بن لعدان بن تاحن بن تالح بن أراشف بن رافح بن بريعا بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب، فاستطابوا البلاد واستعظموا العدوّ من الكنعانيين والعمالقة، ورجعوا إلى قومهم يخبرونهم الخبر، وخذلوهم إلا يُوشَع وكالب، فقالا لهم ما قالا: وهما الرجلان اللذان أنعم الله عليهما. وخامر بنو إسرائيل عن اللقا، وأبوا من السير إلى عدوّهم والأرض التي ملكهم الله، إلى أنّ يهلك الله عدوهم على غير أيديهم.

فسخط الله ذلك منهم وعاقبهم بأن لا يدخل الأرض المقدّسة أحد من ذلك الجيل إلا كالبا ويوشع. وإنما يدخلها أبناؤهم والجيل الذي بعدهم، فأقاموا كذلك أربعين سنة في برية سينا وفاران، يتردّدون حوالي جبال السراة، وأرض ساعير،وأرض بلاد الكرك والشوبك، وموسى صلوات الله عليه بين ظهرانيهم يسأل الله لطفه بهم ومغفرته، ويدفع عنهم مهالك سخطه، وشكوا الجوع.، فبعث الله لهم المنّ حبات بيض منتشرة على

الأرض مثل ذرير الكزبرة، فكانوا يطحنونه ويتخذون منه الخبز لأكلهم. ثم قرموا إلى اللحم فبعث لهم السلوى طيراً يخرج من البحر، وهو طير السماني، فيأكلون منه، ويدّخرون ثم طلبوا الماء، فأمر أنّ يضرب بعصاه الحجر، فانفجرت منه إثنتا عشرة عيناً. وأقاموا على ذلك، ثم ارتاب واحد منهم اسمه فودح بن

إيصهر بن قاهث، وهو ابن عم موسى بن عمران بن قاهث. فارتاب هو وجماعة منهم من بني إسرائيل بشأن موسى، واعتمدوا مناصبته فأصابتهم قارعة وخسفت بهم وبه الأرض، وأصبحوا عبرة للمعتبرين. واعتزم بنو إسرائيل على الاستقالة مما فعلوه والزحف إلى العدو، ونهاهم موسى عن ذلك فلم ينتهوا، وصعدوا جبل العمالقة، فحاربهم أهل ذلك الجبل فهزموهم وقاتلوهم في كل وجه. فأمسكوا وأقام موسى على الاستغفار لهم، فأرسل إلى ملك أدوم يطلب الجواز عليه إلى الأرض المقدسة فمنعهم وحال دون ذلك. ثم قبض هارون صلوات الله عليه لمائة وثلاثة وعشرين سنة من عمره، ولأربعين سنة من يوم خروجهم من مصر، وحزن له بنو إسرائيل لأنه كان شديد الشفقة عليهم، وقام بأمره الذي كان يقوم به ابنه العيزار. ثم زحف بنو إسرائيل إلى بعض ملوك كنعان فهزموهم وقتلوهم وغنموا ما أصابوا معهم، وبعثوا إلى سيحون ملك العموريين من كنعان في الجواز في أرضه إلى الأرض المقدسة فمنعهم وجمع قومه وغزا بني إسرائيل في البرية، فحاربوه وهزموه وملكوا بلاده إلى حد بني عمّون، ونزلوا مدينته وكانت لبني مؤاب. وتغلب عليها سيحون. ثم قاتلوا عوجا وقومه من كنعان، وهو المشهور بعوج بن عوق، وكان شديد البأس فهزموه وقاتلوه وبنيه وأثخنوا في أرضه. وورثوا أرضهم إلى الأردن بناحية أريحا وخشي ملك بني مؤاب من بني إسرائيل، واستجاش بمن يجاوره من بني مدين، وجمعهم ثم أرسل إلى بلعام بن باعورا، وكان ينزل في التخم بين بلاد بني عمون وبني مؤاب. وكان مجاب الدعوة معبراً للأحلام. واستدعاه ليستعين بدعائه، وأتاه الوحي بالنهي عن الدعاء، وألح عليه ذلك الملك وأصعده إلى الأماكن الشاهقة، وأراه معسكر بني إسرائيل منها، فدعا لهم وأنطقه الله بظهورهم وأنهم يملكون إلى الموصل. ثم تخرج أمة من أرض الروم فيغلبون عليهم، فغضب الملك وانصرف بلعام إلى بلاده.

وفشا في بني إسرائيل الزنا ببنات مؤاب ومدين، فأصابهم الموتان، فهلك منهم أربعة وعشرون ألفا. ودخل فنحاص بن لعزرا على رجل من بني إسرائيل في خيمته، ومعه امرأة من بني مدين قد أدخلها للزنا بمرأى من

بني إسرائيل، فطعنها برمحه وانتظمها، وارتفع الموتان عن بني إسرائيل. ثم أمر الله موسى وألعازر بن هارون باحصاء بني

إسرائيل، بعد فناء الجيل الذي أحصاهم موسى وهارون ببرية سينا، وانقضاء الأربعين سنة التي حرم الله عليهم فيها دخول تلك الأرض. وأن يبعث بعثا من بني إسرائيل إلى مدين الذي أعانوا بنهي مؤاب. فبعث اثني عشر ألفا من بني إسرائيل، وعليهم فنحاص بن العيزر بن العزر بن هارون. فحاربوا بني مدين وقتلوا ملوكهم وسبوا نساءهم وملكوا أموالهم، وقسم ذلك في بني إسرائيل بعد أنّ أخذ منه لله، وكان فيمن قتل بلعام بن باعورا. ثم قسم الأرض التي ملك من بني مدين والعموريين وبني عمون وبني مؤاب. ثم ارتحل بنو إسرائيل ونزلوا شاطىء الأردن. وقال الله قد ملكتكم ما بين الأردن والفرات كما وعدت أباءكم، ونهوا عن قتال عيصو الساكنين ساعير وبني عمّون وعن أرضهم. وأكمل الله الشريعة والأحكام والوصايا لموسى عليه السلام وقبضه إليه لمائة وعشرين سنة من عمره، بعد أنّ عهد إلى فتاه يوشع أنّ يدخل ببني إسرائيل إلى الأرض المقدسة ليسكنوها ويعملوا بالشريعة التي فرضت عليهم فيها، ودفن بالوادي في أرض مؤاب، ولم يعرف قبره لهذا العهد.

وقال الطبري: مدّة عمر موسى صلوات الله عليه مائة وعشرون سنة، منها في أيام أفريدون عشرون، ومنها في أيام منوجهر مائة. قال: ثم سار يوشع من بعد موسى إلى أريحا فهزم الجبارين ودخلها عليهم. وقال السدّي: أنّ يوشع تنبأ بعد موسى وسار إلى أريحا، فهزم الجبارين ودخلها عليهم، وأن بلعام بن باعورا كان مع الجبارين يدعو على يوشع، فلم يستجب له. وصرف دعاؤه على الجبارين. وكان بلعام من قرى البلقاء، وكان عنده الاسم الأعظم. فطلبه الكنعانيون في الدعاء على بني إسرائيل، فامتنع وألحوا عليه فأجاب ودعا فصرف دعاؤه، وكان قيامه للدعاء على جبل حسان مطلا على عسكر بني إسرائيل. هذا خبر السدي في أنّ دعاء بلعام كان لعهد يوشع، والذي في التوراة أنه كان لعهد موسى، وأن بلعام قتل لعهد موسى كما مر في خبر الطبري.

وقال السدي: أنّ يوشع بعد وفاة موسى صلوات الله عليه أمر أنّ يعبر، فسار ومعه التابوت، تابوت الميثاق، حتى عبر الأردن وقاتل الكنعانيين

فهزمهم، وأن الشمس جنحت للغروب يوم قتالهم، ودعا الله يوشع فوقفت الشمس حتى تمت عليهم

الهزيمة. ثم نازل أريحا ستة أشهر وفي السابع نفخوا في القرون، وضج الشعب ضجة واحدة، فسقط سور المدينة فاستباحوها وأحرقوها، وكمل الفتح واقتسموا بلاد الكنعانيين كما أمرهم الله. هذا مساق الخبر عن سيرة موسى صلوات الله عليه، وبني إسرائيل أيام حياته وبعد مماته حتى ملكوا أريحا.

وفي كتب الإخباريين: أنّ العمالقة الذين كانوا بالشام قاتلهم يوشع فهزمهم، وقتل آخر ملوكهم، وهو السميدع بن هوبر بن مالك، وكان لقاؤهم إياه مع بني مدين في أرضهم، وفي ذلك يقول عوف بن سعد الجرهمي:

#ألم تر أنّ العلقمي بن هوبر بأيلة أمسى لحمه قد تمزعا

#ترامت عليه من يهود جحافل ثمانون ألفا حاسرين ودرعا

ذكره المسعودي وقد تقدم لنا خلاف النسابة في هؤلاء العمالقة، وأنهم لعمليق بن لاوذ أو لعمالق بن أليفاز بن عيصو الثاني، لنسابة بني إسرائيل سار إليه علماء العرب. وأما الأمم الذين كانوا بالشام لذلك العهد فأكثرهم لبني كنعان، وقد تقدمت شعوبهم وبنو أدوم أبناء عمون، وبنو مؤاب أبناء لوط، وثلاثتهم أهل يستعير وجبال الشراة وهي بلاد الكرك والشوبك والبلقا، ثم بنو فلسطين من بني حام. ويسمى ملكهم جالوت وهو من الكنعانيين منهم. ثم بنو مدين، ثم العمالقة. ولم يؤذن لبني إسرائيل في غير بلاد الكنعانيين، فهي التي اقتسموها وملكوها وصارت لهم تراثا. وأما غيرهم فلم يكن لهم فيها إلا الطاعة والمغارم الشرعية من صدقة وغيرها.

وفي كتب الإخباريين أنّ بني إسرائيل بعد ملكهم الشام بعثوا بعوثهم إلى الحجاز، وهنالك يومئذ أمة من العمالقة يسمون جاسم، وكان اسم ملكهم الإرم بن الأرقم، وكان أوصاهم أنّ لا يستبقوا منهم من بلغ الحلم. فلما ظهروا على العمالقة وقتلوا

الأرقم استبقوا ابنه وضنوا به عن القتل لوضاءته. ولما رجعوا من بعد الفتح وبخهم إخوانهم ومنعوهم دخول الشام وأرجعوهم إلى الحجاز وما تملكوا من أرض يثرب، فنزلوها واستتم لهم فتح في نواحيها. ومن بقاياهم يهود خيبر وقريظة والنضير. قال ابن إسحق: قريظة والنضير والتحام وعمرو هو هزل من الخزرج. وقال ابن الصريح بن التومان بن السبط بن إليسع بن سعد بن لاوى بن النمام بن يتحوم بن عازر بن عزر بن هارون عليه السلام. واليهود لا يعرفون هذه القصة، وبعضهم يقول كان ذلك لعهد طالوت والله أعلم.

الخبر عن حكام بني إسرائيل بعد يوشع

إلي أنّ صار أمرهم إلي الملك وملك عليهم طالوت

ولما قبض يوشع صلوات الله عليه بعد استكمال الفتح وتمهيد الأمر ضيع بنو إسرائيل الشريعة وما أوصاهم به وحذرهم من خلافه، فاستطالت عليهم الأمم الذين كانوا بالشام وطمعوا فيهم من كل ناحية. وكان أمرهم شورى فيختارون للحكم في عامتهم من شاؤا، ويدفعون للحرب من يقوم بها من أسباطهم، ولهم الخيار مع ذلك على من يلي شيئا من أمرهم. وتارة يكون نبيا يدبرهم بالوحي. وأقاموا على ذلك نحوا من ثلثمائة سنة لم يكن لهم فيها ملك مستفحل، والملوك تناوشهم من كل جهة إلى أنّ طلبوا من نبيهم شمويل أنّ يبعث عليهم ملكا، فكان طالوت، ومن بعده داود، فاستفحل ملكهم يومئذ وقهروا أعداءهم على ما يأتي ذكره بعد. وتسمى هذه المدة بين يوشع وطالوت مدة الحكام ومدة الشيوخ.

وأنا الآن أذكر من كان فيها من الحكام على التتابع معتمدا على الصحيح منه، على ما وقع في كتاب الطبري والمسعودي ومقابلا به ما نقله صاحب حماة من بني أيوب في تاريخه عن سفر الحكام والملوك من الإسرائيليات، وما نقله أيضاً هروشيوش مؤرخ الروم في كتابه الذي ترجمه للحكم المستنصر من بني أمية قاضي النصارى وترجمانهم بقرطبة، وقاسم بن اصبغ. قالوا كلهم: لما فتح يوشع مدينة أريحاء سار إلى نابلس فملكها ودفن هنالك شلو يوسف عليه السلام، وكانوا حملوه معهم

عند خروجهم من مصر. وقد ذكرنا أنه كان أوصى بذلك عند موته.

وقال الطبري: أنه بعد فتح أريحا نهض إلى بلد عاي من ملوك كنعان، فقتل الملك وأحرق المدينة، وتلقاه خيقون ملك عمان وبارق ملك أورشليم بالجزى، واستذموا بأمانه فأمنهم وزحف إلى خيقون ملك الأرمانيين من نواحي دمشق، فاستنجد بيوشع، فهزم يوشع ملك الأرمن إلى حوران واستلحمهم وصلب ملوكهم، وتتبع سائر الملوك بالشام، فاستباح منهم واحدا وثلاثين ملكا، وملك قيسارية، وقسم الأرض التي ملكها بين بني إسرائيل. وأعطى جبل المقدس لكالب بن يوفنا فسكن مدينة أورشليم وأقام مع بني يهودا ووضع القبة التي فيها تابوت العهد والمذبح والمائدة والمنارة على الصخرة التي في بيت المقدس.

وأما بنو أفرايم فكانوا يأخذون الجزية من الكنعانيين. ثم قبض يوشع، في سفر الحكام أنه قبض لثمان وعشرين سنة من ملكه وهو ابن مائة وعشرين سنة. وقال الطبري: ابن مائة وستة وعشرين سنة والأول أصح. قال: وكان تدبير يوشع لبني إسرائيل في زمن منوشهر عشرين سنة وفي زمن أفراسياب سبع سنين. وقال أيضاً أنّ ملك اليمن شمر بن الأملوك من حِمْيَر كان لعهد موسى، وبني ظفار، وأخرج منها العمالقة. ويقال أيضاً كان من عمال الفرس على اليمن. وزعم هشام بن محمد الكلبي أنّ الفل من الكنعانيين بعد يوشع احتملهم أفريقش بن قيس بن صيفي من سواحل الشام في غزاته إلى المغرب التي قتل فيها جرجيس الملك، وأنه أنزلهم بأفريقية، فمنهم البربر، وترك معهم صهاجة وكتامة من قبائل حِمْيَر انتهى.

وقام بأمر بني إسرائيل بعد يوشع كالب بن يوفنا بن حصرون بن بارص بن يهودا، وقد مر نسبة وكان فنحاص بن العيزر بن هارون كوهنا يتولى أمر صلاتهم وقربانهم. ثم تنبأ وتنبأ أبوه ألعيزر، وكان كالب مضعفا فأقاما كذلك سبع عشرة سنة. وقال الطبري كان مع كالب في تدبيرهم حزقيل بن يودي ويقال له ولد العجوز لأنه ولد بعد أنّ كبرت أمه وعقمت. وحدث عن وهب بن منبه: أنّ حزقيل هذا دبرهم بعد كالب، ولم يقع لهذا ذكر في سفر الحكام، ثم بعد يوشع اجتمع بنو يهودا وبنو شمعون لحرب الكنعانيين

فغلبوهم وقتلوهم، وفتحوا أورشليم وقتلوا ملكها، ثم فتحوا غزة وعسقلان، وملكوا الجبل كله ولم يقتلوا الغور. وأما سبط بنيامين فكان في قسمهم

بلد اليونانيين في أرضهم، وأخذوا منهم الخراج واختلطوا بهم، وعبدوا آلهتهم. فسلط الله عليهم ملك الجزيرة واسمه كوشان شقنائم، ومعناه أظلم الظالمين. ويقال إنه ملك الأرمن في الجزيرة ودمشق، وملك حوران وصيدا وحران، ويقال والبحرين ويقال أنه من أدوم.

وقال الطبري: من نسل لوط، فاستعبد بني إسرائيل ثمان سنين بعد وفاة كالب بن يوفنا، ثم ولي الحكم فيهم عثينئال ابن أخيه قناز بن يوفنا، فحاربهم كوشان هذا وأزال ملكته عن بني إسرائيل، ثم حاربه فقتله. وكان له بعد ذلك حروب سائر أيامه مع بني مؤاب، وبني عفون أسباط لوط، ومع العماليق، إلى أنّ هلك لأربعين سنة من دولته. ثم عبد بنو إسرائيل الأوثان من بعده، فسلط الله عليهم ملك بني مؤاب، واسمه عفلون، بعين مهملة ومعجمة ساكنة ولام مضمومة تجلب واوا ساكنة ونون بعدها، فاستعبدهم ثماني عشرة سنة. ثم قام بتدبيرهم أيهوذ بن كارا من سبط أفرايم. وقال ابن حزم: من بنيامين. وضبطه بهمزة ممالة تجلب ياء، ثم هاء مضمومة تجلب واوا، ثم ذال معجمة، فأنقذهم من يد بني مؤاب، وقتل ملكهم عفلون بحيلة تمت لهم في ذلك. وهو أنه جاء رسولا عن بني إسرائيل متنكرا بهدايا وتحف منهم، حتى إذا خلا به طعنه فأنفذه، ولحق بمكانه من جبل أفرايم. ثم اجتمعوا ونزلوا، فقتلوا من الحرس نحوا من عشرة آلاف، وغلب ببني إسرائيل بني مؤاب، واستلحمهم وهلك لثمانين سنة من دولته.

وقام بتدبيرهم بعده شمكار بن عناث من سبط كاد، وضبطه بفتح الشين المثلثة بعدها ميم ساكنة وكاف تقرب من مخرج الجيم ويجلب فتحها الفا وبعدها راء مهملة. ومات لسنة من ولايته. وبنو إسرائيل على حيالهم من المخالفة، فسلّط الله عليهم ملك كنعان واسمه يافين، بفاء شفوية تقرب من الباء، فسرح إليهم قائده سميرا، فملك عليهم أمرهم واستعبدهم عشرين سنة. وكانت فيهم كوهنة امرأة متنبئة اسمها دافورا، بفاء هوائية تقرب من الباء، وهي من سبط نفطالي، وقيل من سبط أفرايم، وقيل كان زوجها بارق ابن أبي نوعم من سبط نفطالي واسمه البيدوق. فدعته إلى حرب سميرا فأبى إلاّ أنّ تكون معه، فخرجت ببني إسرائيل، وهزموا الكنعانيين، وقتل قائدهم سميرا، وقامت بتدبيرهم أربعين سنة يرادفها

زوجها بارق ابن أبي نوعم. قال هروشيوش: وعلى عهدها كان أول ملوك الروم اللطينيين بأنْطاكِية بنقش بن شطونش،

وهو أبو القياصرة ثم توفيت دافورا وبقي بنو إسرائيل فوضى، وعادوا إلى كفرهم، فسلط الله عليهم أهل مدين والعمالقة. قال الطبري: وبنو لوط الذين بتخوم الحجاز قهروهم سبع سنين، ثم تنبأ فيهم من

سبط منشى بن يوسف كدعون بن يواش، وضبطه بفتح الكاف القريبة من الجيم وسكون الدال المهملة بعدها وعين مهملة مضمومة تجلب واوا وبعدها نون، فقام بتدبيرهم. وقد كان لمدين ملكان أحدهما اسمه رابح، والآخر صلمناع. فبعس إلى بني إسرائيل عساكره مع قائدين عوديب وزديف وأهم بني إسرائيل شأنهم، فخرج بهم كدعون فهزموا بني مدين، وغنموا منهم أموالا جمة، ومكثوا أيام كدعون هذا على استقامة في دينهم، وغلب لأعدائهم أربعين سنة. وكان له من الولد سبعون ولدا، وعلى عهده بنيت مدينة طرسوس. وقال جرجيس بن العميد: وملطية أيضاً. ولما هلك قام بتدبيرهم ولده أبو مليخ وكانت أمه من بني شخام بن منشى بن يوسف من أهل نابلس، فأنجدوه بالمال، وقتل بني أبيب كلهم، ثم نازعوه بنو شخام أخواله الأمر، وطالت حروبه معهم، وهلك محاصرا لبعض حصونهم بحجر طرحته عليه امرأة من السور فشدخه. فقال لصاحب سلاحه أجهز علي لئلا يقال قتلته امرأة. وذلك لثلاث سنين من ولايته.

ثم دبر أمرهم بعده طولاع بن فوا بن داود، من سبط يساخر، وضبطه بطاء قريبة من التاء تجلب ضمتها واوا ثم لام ألف ثم عين. وقال الطبري: هو ابن خال أبي مليخ وابن عمه.(قلت): والظاهر أنه ابن خاله لأن سبط هذا غير سبط ذاك. وقال ابن العميد هو من سبط يساخر إلا أنه كان نازلا في سائر من جبل أفراييم، فمن هنا والله أعلم وقع اللبس في نسبه ودبرهم ثلاثا وعشرين سنة. قال هروشيوش: وعلى عهده كان بمدينة طرونية من ملوك الروم اللطينيين برمامش بن بنقش. وملك ثلاثين سنة، وقد مضى ذكره. ولما هلك طولاع قام بتدبيرهم بعده يائير بن كلعاد من سبط منشى بن يوسف، وضبطه بياء مثناة تحتية مفتوحة، وألف ثم همزة مكسورة بعدها ياء أخرى، ثم راء مهملة، وقام في تدبيرهم اثنتين وعشرين سنة. ونصب أولاده كلهم حكاما في بني إسرائيل. وكانوا نحوا من ثلاثين. فلما هلك طغوا وعبدوا الأصنام،

فسلط الله عليهم بني فلسطين وبني عمون فقهرهم ثماني عشرة سنة.

وقام بتدبيرهم يفتاح من سبط منشى، وضبطه بياء مثناة تحتانية وفاء ساكنة وتاء مثناة من فوق بفتحة تجلب الفاء ثم حاء مهملة. فلما قام بأمرهم طلب ضريبة النحل من بني عمون فامتنعوا من إعطائها، وكانوا ملوكا منذ ثلثمائة سنة، فقاتلهم وغلبهم عليها وعلى اثنتين وعشرين قرية معها. ثم حارب سبط أفراييم، وكانوا مستبدين وحدهم عن بني إسرائيل. فأرادهم على اتفاق الكلمة والدخول في الجماعة، حتى استقاموا على ذلك، وأقام في تدبيرهم ست سنين. وعلى عهده أصابت بلاد اليونان المجاعة العظيمة التي هلك فيها أكثرهم.

ولما هلك قام بتدبيرهم أبصان من سبط يهودا من بيت لحم، وضبطه بهمزة مفتوحة وباء موحدة ساكنة وصاد مهملة بفتحة تجلب ألفا بعدها نون. ويقال أنه جد داود عليه السلام، بوعز بن سلمون بن نحشون بن عمينا ذاب بن رم بن حصرون بن بارص بن يهودا. وحصرون هذا هو جد كالب بن يوفنا الذي دبرهم بعد يوشع. ونحشون كان سيد بني يهودا لعهد خروجهم من مصر مع موسى عليه السلام، وهلك في التيه. ودخل ابنه سلمون أريحا مع يوشع، ونزل بيت لحم على أربعة أميال من بيت المقدس. قال هروشيوش في أيام أبصان هذا كان انقراض ملك السريانيين، وخروج القوط وحروبهم مع النبط. وأقام أبصان في تدبير بني إسرائيل سبع سنين، ثم هلك فقام بتدبيرهم إيلون من سبط زبولون، وضبطه بهمزة مكسورة تجلب ياء ثم لام مضمومة تجلب واوا ثم نون. فدبرهم عشر سنين ثم هلك، فدبرهم عبدون بن هلال من سبط أفراييم ثمان سنين. وقال ابن العميد اسمه عكرون بن هليان وكان له أربعون ابنا وثلاثون حافدا. قال هروشيوش: وفي أيامه خربت مدينة طرونة قاعدة الروم اللطينيين، خربها الروم الغريقيون في فتنة بينهم. ولما هلك عبدون دفن بأرض أفراييم في جبال العمالقة. واختلف بنو إسرائيل بعده وعبدوا الأصنام وسلط الله عليهم بني فلسطين فقهروهم أربعين سنة. ثم تخلصهم من أيديهم شمشون بن مانوح من سبط دان ويعرف بشمشون القوي، لفضل قوة كانت في يده، ويعرف أيضاً بالجبار

وكان عظيم سبطه. ودبّر بني إسرائيل عشر سنين بل عشرين سنة، وكثرت حروبه مع بني فلسطين واثخن فيهم، واتيح لهم عليه في بعض الأيام فأسروه ثم حملوه وحبسوه، واستدعاه ملكهم في بعض الأيام إلى بيت آلهتهم ليكلمه، فأمسك عمود البيت وهزه بيده فسقط البيت على من فيه وماتوا جميعا. ولما هلك اضطربت بنو إسرائيل وافترقت كلمتهم، وانفرد كل سبط بحاكم يولونه منهم، والكهنونية فيهم جميعا في عقب العيزار بن هارون من لدن وفاة هارون عليه السلام، بتوليته موسى صلوات الله عليه بالوحي ومعنى الكهنونية اقامة القرابين من الذبح والبخور على شروطها وأحكامها ايشرعئة عندهم. وقال ابن العميد: إنه ولي تدبيرهم بعد شمشون حاكم آخر اسمه ميخائيل بن راعيل، دبرهم ثمان سنين ولم تكن طاعته فيهم مستحكمة، وأن الفتنة وقعت بين بني إسرائيل ففني فيها سبط بنيامين عن آخرهم.

ثم سكنت الفتنة، وكان الكوهن فيهم لذلك العهد عالي بن بيطات بن حاصاب بن إليان بن فنحاص بن العيزار بن هارون. وقيل من ولد إيتامار بن هارون، وضبطه بعين مهملة مفتوحة تجلب ألفا ثم لام مكسورة تجلب ياء تحتانية. فلما سكنت الفتنة كانوا يرجعون إليه في أحكامهم وحروبهم. وكان له ابنان عاصيان فدفعهما إلى ذلك، وكثر لعهده قتال بني فلسطين، وفشا المنكر من ولديه وأمر بدفعهم عن ذلك، فلم يزدادوا إلا عتوا وطغيانا، وأنذر الأنبياء بذهاب الأمر عنه وعن ولده، ثم هزمهم بنو فلسطين في بعض أيامهم، وأصابوا منهم فتذامر بنو إسرائيل واحتشدوا وحملوا معهم تابوت العهد، ولقيهم بنو فلسطين. فانهزم بنو إسرائيل أمامهم وقتلوا أبنا عالي كوهن كما أنذر به أبوهما وشمويل. وبلغ أباهما الكوهن خبر مقتلهما فمات أسفا لأربعين سنة من دولته. وغنم بنو فلسطين التابوت فيما غنموه، واحتملوه إلى بلادهم بعسقلان وغزة، وضربوا الجزية على بني إسرائيل. ولما مضى القوم بالتابوت فيما حكى الطبري، وضعوه عند آلهتهم فقلاها مرارا فأخرجوه إلى ناحية من القرية، فاصيبوا فتبادروا بإخراجه وحملوه على بقرتين لهما تبيعان، ووضعتاه عند أرض بني إسرائيل ورجعتا إلى ولديهما. وأقبل إليه بنو إسرائيل، فكان لا يدنو منه أحد إلا مات، حتى أذن

شمويل لرجلين منهم حملاه إلى بيت أمهما وهي أرملة، فكان هنالك حتى ملك طالوت ا هـ . وكان ردهم التابوت لسبعة أشهر من يوم حملوه، وكان عالي الكوهن

قد كفل ابن عمه شمويل بن الكنا بن يوام بن إلياهد بن ياو بن سوف، وسوف هو أخو حاصاب بن البلى بن يحاص.

وقيل أنّ شمويل من عقب فورح وهو قارون بن يصهار بن قاهاث بن لاوي. ونسبه إليه شمويل بن الفنا بن يروحام بن اليهوذ بن يوحا بن صوب بن إلقانا بن يويل بن عزير بن صنعينا بن ثاحت بن أسر بن ألقانا بن النشاسات بن قارون. وكانت أمه نذرت أنّ تجعله خادما في المسجد، وألقته هنالك فكفله عالي وأوصى له بالكهنونية. ثم أكرمه الله بالنبوة وولاه بنو إسرائيل أحكامهم، فدبرهم عشر سنين. وقال جرجيس بن العميد عشرين سنة، ونهاهم عن عبادة الأوثان فانتهوا، وحاربوا أهل فلسطين واستردوا ما كانوا أخذوا لهم من القرى والبلاد، واستقام أمرهم ثم دفع الأمر إلى ابنيه يؤال وأبيا. وكانت سيرتهما سيئة. فاجتمع بنو إسرائيل إلى شمويل وطلبوه أنّ يسأل الله في ولاية ملك عليهم، فجاء الوحي بولاية طالوت، فولاه وصار أمر بني إسرائيل ملكا بعد أنّ كان مشيخة والله معقب الأمر بحكمته لا رب غيره.

خريطة

الخبر عن ملوك بني إسرائيل بعد الحكام ثم افتراق أمرهم والخبر عن دولة بني سليمان بن داود علي السبطين يهوغا وبنيامين بالقدس إلى انقراضها

لما نقم بنو إسرائيل على يؤال وأبيا ابني شمويل مما نقموا من أمورهم، واجتمعوا إلى شمويل وسألوه من الله أنّ يبعث لهم ملكا يقاتلون معه أعداءهم، ويجمع نشرهم ويدفع الذل عنهم، فجاء الوحي بأن يولي الله طالوت ويدهنه بدهن القدس، فأبوا بعد أنّ أمر شمويل بأن يستهموا عليه فاستهموا على بني آبائهم، فخرج السهم على طالوت وكان أعظمهم جسما فولوه. واسمه عند بني إسرائيل شاول بن قيس بن أفيل، بالفاء الهوائية القريبة من الباء، ابن صار وابن نحورت بن أفياح. فقام بملكهم واستوزر افنين ابن عمه نير بن أفيل. وكان لطالوت من الولد يهوناتان وملكيشوع وتشبهات وأنبياداف. وقام طالوت بملك بني إسرائيل، وحارب أعداءهم من بني فلسطين وعمون ومؤاب والعمالقة ومدين، فغلب جميعهم. ونصر بنو إسرائيل نصراً لا كفاء له. وأول من زحف إليهم ملك بني عفون، ونازل قرية بلقاء، فهجم عليهم طالوت وهو في ثلثمائة ألف من بني إسرائيل فهزمهم واستلحمهم. ثم أغزى ابنه في عساكر بني إسرائيل إلى فلسطين فنال منهم واجتمعوا لحرب بني إسرائيل، فزحف إليهم طالوت وشمويل فانهزموا، واستلحمهم بنو إسرائيل، وأمر شمويل أنّ يسير إلى العمالقة، وأن يقتلهم ودوابهم ففعل، واستبقى ملكهم أعاع مع بعض الأنام، فجاء الوحي إلى شمويل بأن الله قد سخطه وسلبه الملك، فخبره بذلك، وهجره شمويل فلم يره بعد.

وأمر شمويل أنّ يقدس داود وبعث له بعلامته، فسار إلى بني يهوذا في بيت لحم وجاء به أبوه إيشا، فمسحه شمويل وسلب طالوت روح الجسد وحزن لذلك ثم قبض شمويل وزحف جالوت وبنو فلسطين إلى بني إسرائيل فبرز إليهم طالوت في العساكر وفيهم داود بن إيشا من سبط يهوذا وكان صغيرا يرعى الغنم لأبيه. وكان يقذف بالحجارة في مخلاته فلا تكاد تخطىء. قال الطبري: وكان شمويل قد أخبر طالوت بقتل جالوت وأعطاه علامة قاتله فاعترض بني إسرائيل حتى رأى

العلامة فيه فسلحه وأقام في المصاف، وقد احتمل الحجارة في مخلاته، فلما عاين جالوت قذفه بحجارة فصكه في رأسه ومات. وانهزم بنو فلسطين، وحصل النصر، فاستخلص طالوت حينئذ داود وزوجه ابنته وجعله صاحب سلاحه. ثم ولاه على الحروب فاستكفى به، وكان عمره حينئذ فيما قال الطبري ثلاثين سنة. وأحبه بنو إسرائيل واشتملوا عليه. وابتلي طالوت وبنوه بالغيرة منه، وهم بقتله ونفذ لذلك مراراً، ثم حمل ابنه يهونتان على قتله فلم يفعل لخلة ومصافاة كانت بينهما، ودس إلى داود بدخيلة أبيه فيه. فلحق بفلسطين وأقام فيها أياما، ثم إلى بني مؤاب كذلك، ثم رجع إلى سبطه يهوذا بنواحي بيت المقدس، فأقام فيهم يقاتل معهم بني فلسطين في سائر حروبهم، حتى إذا شعر به طالوت طلب بني يهوذا بإسلامه إليه، فأبوا فزحف إليهم فأخرجوه عنهم، ولحق ببني فلسطين وقاتلهم طالوت في بعض الأيام فهزموه واتبعوه وأولاده يقاتلون دونه، حتى قتل يهونتان ومشوى وملكيشوع، وبنو فلسطين في اتباعه حتى إذا أيقن بالهلكة قتل نفسه بنفسه. وذلك فيما قال الطبري لأربعين سنة من ملكه.

ثم جاء داود إلى بني يهوذا فملكوه عليهم وهو داود بن إيشا بن عَوْفَذ. بالفاء الهوائية، بن بوغر واسمه افصان بالفاء الهوائية والصاد المشمة. وقد قدمنا ذكره في حكام بني إسرائيل بن سَلَمُون، الذي نزل بيت لحم لأول الفتح، ابن نَحْشُون، سيد بني يهوذا عند الخروج من مصر، ابن عمِّيناذاب بن إرم بن حصرون بن بارص بن يهوذا. هكذا نسبه في كتاب اليهود والنصارى، وأنكره ابن حزم قال: لأن نحشون مات بالتيه، وإنما دخل القدس ابنه سلمون. وبين خروج بني إسرائيل من مصر وملك داود ستمائه سنة باتفاق منهم. والذي بين داود ونحشون أربعة آباء، فإذا قسمت الستمائة عليهم يكون كل واحد منهم إنما ولد له بعد المائة والثلاثين سنة وهو بعيد.

ولما ملك داود على بني يهوذا نزل مدينتهم حفرون بالفاء الهوائية، وهي قرية الخليل عليه السلام لهذا العهد، واجتمع الأسباق كلهم إلى يشوشات بن طالوت فملكه في أورشليم، وقام بأمره وزير أبيه أفيند وقد مر نسبه.

وفي كتاب أسفار الملوك من الإسرائيليات: أنّ رجلا جاء لداود بعد وفاة طالوت، فأخبره بمهلكه ومهلك أولاده في هزيمتهم أمام بني فلسطين،

وأمر هذا الرجل أنّ يقتله لما أدركوه، فقتله وجاء بتاجه ودملجه إلى داود، وانتسب إلى العمالقة فقتله

داود بقتله. وبكى على طالوت وذهب إلى سبط يهوذا بأرض حفرون، بالفاء القريبة من الباء، وهي قرية الخليل لهذا العهد. وأقام شيوشيات بن طالوت في أورشليم الأسباط كلهم مجتمعون عليه، وأقامت الحرب بينهم وبين داود أكثر من سنتين. ثم وقع الصلح بينهم والمهادنة، وأذعن الأسباط إلى داود وتركوه. ثم اغتاله بعض قواده وجاء براسه إلى داود فقتله به، وأظهر عليه الحزن والأسف، وكفل اخواته وبنيه أحسن كفالة.

واستبد داود بملك بني إسرائيل لثلاثين سنة من عمره وقاتل بني كنعان فغلبهم ثم طالت حروبه مع بني فلسطين واستولى على كثير من بلادهم، ورتب عليهم الخراج.ثم حارب أهل مؤاب وعمون، وأهل أدوم وظفر بهم، وضرب عليهم الجزية. ثم خرب بلادهم بعد ذلك، وضرب الجزية على الأرمن بدمشق وحلب، وبعث العمال لقبضها. وصانعه ملك أنْطاكِية بالهدايا والتحف، واختط مدينة صهيون وسكنها واعتزم على بناء مسجد في مكان القبة التي كانوا يضعون بها تابوت العهد ويصلون إليها. فأوحى الله إلى دانيال، نبي على عهده، أنّ داود لا يبني وإنما يبنيه ابنه، ويدوم ملكه، فسر داود بذلك.

ثم انتقض عليه ابنه أبشلوم وقتل أخاه أمون غيرة منه على شقيقه بامان وهرب. ثم استماله داود ورده وأهدر دم أخيه وصير له الحكم بين الناس. ثم رجع ثانيا لأربع سنين بعدها وخرج معه سائر الأسباط ولحق داود بأطراف الشام، وقيل لحق بخيبر وما إليها من بلاد الحجاز، ثم تراجع للحرب فهزمه داود وأدركه يؤاب وزير داود، وقد تعلق بشجرة فقتله. وقتل في الهزيمة عشرون ألفا من بني إسرائيل. وسيق راس قشلوط لولي أبيه داود فبكى عليه، وحزن طويلا واستألف الأسباط ورضي عنهم ورضوا عنه. ثم أحصى بني إسرائيل فكانوا ألف ألف ومائة ألف، وسبط يهوذا أزيد من أربعمائة ألف. وعوتب في الوحي لأنه أحصاهم بغير إذن، وأخبره بذلك بعض الأنبياء لعهده.

وأقام داود صلوات الله عليه في ملكه، والوحي يتتابع عليه، وسور الزبور تنزل. وكان يسبح بالأوتار والمزامير. وأكثر المزامير المنسوبة إليه في ذكر

التسبيح وشأنه. وفرض على الكهنونية من سبط لاوى التسبح بالمزامير قدّام تابوت العهد اثني عشر كوهناً لكلّ

ساعة. ثم عهد تمام أربعين سنة من دولته لابنه سليمان صلوات الله عليهما، ومسحه مابان النبي، وصادوق الخبر، مسحة التقديس، وأوصى ببناء بيت المقدس. ثم قبض صلوات الله عليه ودفن في بيت لحم وكان لعهده من الأنبياء نامان وكاد وآصاف. وكان الكهنون الأعظم افيثار بن أحيلج من عقب عالي الكوهن الذي ذكرناه في الحكام. وكان من بعده صادوق.

ثم قام بالملك من بعده من بني إسرائيل ابنه سليمان صلوات الله عليه، وهو ابن اثنتين وعشرين سنة. فاستفحل ملكه، وغالب الأمم وضرب الجزية على جميع ملوك الشام. مثل فلسطين وعمون وكنعان ومواب وأدوم والأرمن. وأصهر إليه الملوك من كل ناحية ببناتهم، وكان ممن تزوج بنت فرعون مصر، وكان وزيره يؤاب بن نيثرا وهو ابن أخت داود اسمها صوريا. وكان وزيراً لداود. فلما ولي سليمان استوزره فقام بدولته، ثم قتله بعد ذلك واستوزر يشوع بن شيداح. ولأربع سنين من ملكه شرع في بيت المقدس بعهد أبيه إليه بذلك، فلم يزل إلى آخر دولته، بعد أنّ هدم مدينة أنْطاكِية، وبنى مدينة تدمر في البرية، وبعث إلى ملك صور ليعينه في قطع الخشب من لبنان. وأجرى على الفعلة فيه كل عام عشرين ألف كرّ من الطعام، ومثلها من الزيت، ومثلها من الخمر. وكان الفعلة في لبنان سبعين ألفاً، ولنحت الحجارة ثمانين ألفاً، وخدمة المناولة سبعون ألفاً. وكان الوكلاء والعرفاء على ذلك العمل ثلاثة آلاف وثلثمائة رجل.

ثم بنى الهيكل وجعل ارتفاعه مائة ذراع في طول ستين وعرض عشرين. وجعل بدائره كله أروقة وفوقها مناظر، وجعل بدائر البيت ابريداً من خارج، ونمقه وجعل الظهر مقوراً ليودع فيه تابوت العهد. وصفّح البيت من داخله وسقفه بالذهب، وصنع في البيت كروبيين من الخشب مصفحتين بالذهب، وهما تمثالان للملائكة الكروبيين. وجعل للبيت أبواباً من خشب الصنوبر، ونقش عليها تماثيل من الكروبيين والنرجس والنخل والسوسن، وغشاها كلها بالذهب. وأتم بناء الهيكل في سبع سنين، وجعل لها باباً من ذهب، ثم بنى بيتاً لسلاحه أقامه على أربعة صفوف من العمد من خشب الصنوبر، في كل صف خمسة عشر عموداً، ووضع فيه مائتي

ترس من الذهب، في كل ترس ستمائة من حجر الجوهر والزمرد، وثلثمائة درقة من الذهب، في كل درقة ثلثمائة من حجر الياقوت. وسمى هذا البيت غيضة لبنان. وصنع منبراً لجلوسه تحت رواق وكراسي كثيرة كلها من العاج ملبسة من الذهب. ثم بنى من فوق هذا البناء بيتاً لابنة فرعون التي تزوج بها، وصنع بها أوعية النحاس لسائر ما يحتاج إليه في البيت، واسترضى الصناع لذلك من مدينة صور. وعمل مذبح القربان بالبيت من الذهب، ومائدة الخبز الوجوه من الذهب، وخمس منابر عن يمين الهيكل وخمسا عن يساره بجميع آلاتها من الذهب، ومجامر من الذهب. وأحضر موروث أبيه من الذهب والفضة والأوعية الحسنة فأدخلها إلى البيت، وبعث إلى تابوت العهد من صهيون قرية داود إلى البيت الذي بناه له، فحمله رؤساء الأسباط والكهنونية على كواهلهم حتى وضعوه تحت أجنحة التمثالين للكروبيين بالمسجد وكان في التابوت اللوحان من الحجارة اللذان صنعهما موسى عليه السلام بدل الألواح المنكسرة، وحملوا مع تابوت العهد قبة القربان وأوعيتها إلى المسجد. وأقام سليمان أمام المذبح يدعو في يوم مشهود، اتخذ فيه وليمة لذلك ذبح فيها اثنين وعشرين ألفا من البقر، ثم كان يقرّب ثلاث مرات في قرابين وذبائح كاملة، ويبخر البخور، وجميع الأوعية لذلك كلها ذهب. وكانت جبايته في كل سنة ستمائة قنطار وستة وستين قنطارا من الذهب، غير الهدايا والقربان إلى بيت المقدس. وكانت له سفن بحر الهند تجلب الذهب والفضة والبضائع والفيلة والقرود والطواويس، وكانت له خيل كثيرة مرتبة تجلب من مصر وغيرها، تبلغ ألفاً وستمائة فرس، معدة كلها للحرب. وكانت له ألف امرأة لفراشه ما بين حرة وسرية، منها ثلثمائة سرية. وفي الأخبار للمؤرخين أنه تجهز للحج، فوافى الحرم وأقام فيه ما شاء الله. وكان يقرب كل يوم خمسة آلاف بدنة، وخمسة آلاف بقرة، وعشرين ألف شاة. ثم سما إلى ملك اليمن وسار إليه، فوافى صنعاء من يومه. وطلب الهدهد لالتماس الوضوء، وكان قناقه أي ملتمس الوضوء له في الأرض، فافتقده ورجع إليه بخبر بلقيس كما قصه القرآن. ودافعته بالهدية فلم يقبلها، فلاذت بطاعته ودخلت في دينه وطاعته. وملكته أمرها ووافته بملك اليمن. وأمرها بأن تتزوج فنكرت ذلك لمكان الملك، فقال لا بدّ

في الدين من ذلك. فقالت زوجني ذا تّبع ملك همدان فزّوجها إياه، وملكه على اليمن واستعملها فيه ورجع إلى الشام. وقيل تزوجها وأمر الجنّ فبنوا لها سليمين

وغمدان. وكان يزورها في الشهر مرة يقيم عندها ثلاثاً. وعلماء بني إسرائيل ينكرون وصوله إلى الحجاز واليمن. وإنما ملك اليمن عندهم بمراسلة ملكة سبأ، وانها وفدت عليه في اورشليم، وأهدت إليه مائة وعشرين قنطارا من الذهب ولؤلؤاً وجوهراً وأصنافاً من الطيب والمسك والعنبر، فأجازها وأحسن إليها، وانصرفت. هكذا في كتاب الأنساب من كتبهم.

ثم انتقض على سليمان آخر أيامه هدرور ملك الأرمن بدمشق وهداد ملك أدوم، وكان قد ولى على ضواحي بيت المقدس، وجميع أعماله يربعان بن نباط من سبط أفرايم واستكفى به في ذلك، وكان جباراً، فعوتب بالوحي على لسان أخيا النبي في توليته، فأراد قتله، وشعر بذلك يربعان فهرب إلى مصر فأنكحه فرعون ابنته، وولدت له ابنه ناباط، وأقام بمصر.

وقبض سليمان صلوات الله عليه لأربعين سنة من ملكه، وقيل لاثنتين وخمسين، ودفن عند أبيه داود صلوات الله عليهما. وافترق ملك بني إسرائيل من بعده كما نذكره إن شاء الله تعالى.

خريطة

الخبر عن افتراق بني إسرائيل منهم ببيت المقدس علي سبط يهوذا وبنيامين إلي انقراضه

لما قبض سليمان صلوات الله عليه وسلامه ولي ابنه رحبعم، وضبطه براء مهملة وحاء مهملة مضمومتين وباء موحدة ساكنة وعين مهملة مضمومة وميم، فقام بأمره وزاد في عمارة بيت لحم وغزة وصور وأيلة واشتدّ علي بني إسرائيل، وطلبوا منه تخفيف الضرائب فامتنع، وطالبهم بالوظائف وأخذ فيهم برأى الغواة من بطانته، فنقموا عليه ذلك وانتقضوا. وجاءهم يربعم بن نباط من مصر فبايعوه، وولّوه عليهم، واجتمع عليه سائر الأسباط العشرة من بني إسرائيل ما عدا سبط يهوذا وبنيامين، وتزاحفوا للحرب. ثم دعاهم بعض أنبيائهم للصلح فتواضعوا واصطلحوا.

وفي السنة الخامسة من ملك رحبعم زحف شيشاق ملك مصر إلى بيت المقدس، فهرب رحبعم واستباحها شيشاق، ورجع وضرب عليهم الجزية، ثم دفعوه ومنعوه.

فأقام بنو داود في سلطانهم على بني يهوذا وبنيامين ببيت المقدس وعسقلان وغزة ودمشق وحلب وحمص وحماة وما إلى ذلك من أرض الحجاز، وملك الأسباط العشرة بنواحي نابلس وفلسطين. ثم نزلوا مدينة شومرون وهي شمرة وسامرة في الناحية الشرقية الشمالية من الشام مما يلي الفرات والجزيرة، واتخذوها كرسيا لملكهم ذلك. وأقاموا على هذا الافتراق إلى حين انقراض أمرهم، ووقعوا في الجلاء الذي كتب الله عليهم كما نذكره.

ثم هلك رحبعم لسبع عشرة سنة من دولته وولي بعده على سبط يهوذا وبنيامين بأرض القدس ابنه أفيا، وضبطه بهمزة مفتوحة ومتوسطة بين الفاء والذال من لغتهم وياء مثناة من تحت مشددة وألف، وكان على مثل سيرة أبيه. وكان عابداً صواماً، وكانت أيامه كلها حربا مع يربعم بن نباط، وبني إسرائيل. وهلك لثلاث سنين، وولي بعده ابنه أسا، بضم الهمزة وفتح السين المهملة وألف

بعدها، ابن أفيا. وطال أمد ملكه، وكان رجلا صالحا، وكان على مثل سيرة جده داود صلوات الله عليه، وتعدت الأنبياء في بني إسرائيل على عهده، ومات يربعم بن نباط لسنتين من ملكه. وملك بعده ابنه ناداب، وقتله يعشا بن أحيا كما نذكر في أخبارهم.

ثم وقعت بينه وبين أسا حروب، واستبد أسا بملك دمشق فزحف معه، وكان يعشا

ملك السامرة في ناحية يثرب لبنائها، فهرب وترك آلات البناء، فنقلها أسا ملك القدس، وبنى بها الحصون.. ثم خرج عليهم زادح ملك الكوش في ألف ألف مقاتل، ولقيهم أسا فهزمهم وأثخن فيهم. ولم تزل الحرب قائمة بين أسا وبين الأسباط بالسامرة سائر أيامه. وعلى عهده اختطت السامرة كما نذكره بعد. ثم هلك أسا بن أفيا لإحدى وأربعين سنة من ملكه. وولي بعده ابنه يهوشافاط، بياء مفتوحة مثناة تحتانية وهاء مضمومة وواو ساكنة وشين معجمة بعدها ألف ثم فاء بعدها ألف وطاء، فكان على مثل سيرة أبيه. وكانت أيامه مع أهل السامرة وملوكهم سلماً. واجتمع ملوك العمالقة، ويقال أدوم، وخرج لحربهم فهزمهم وغنم أموالهم. وكان لعهده من الأنبياء إلياس بن شوياق وإليسع بن شوبوات. وقال ابن العميد: إيليا ومنحيا وعبوديا، وكانت له سفن في البحر يجلب له فيها بضائع الهند، فأصابها قاصف الريح فتكسرت وغرقت. ثم هلك لخمسة وعشرين سنة من ملكه، وولي ابنه يهورام، بفتح المثناة التحتانية ثم هاء مضمومة تجلب واوا ثم راء مفتوحة تجلب ألفا وبعدها ميم، وانتقض عليه أدوم، وولوا عليهم ملكا : ألنهم. فزحف فيهم ووقع بهم في سفيرا أوسط بلادهم، وأثخن فيهم بالسبي والقتل. ثم رجع عنهم وأقاموا في عصيانهم، وعلى عهده زحف ملك الموصل إلى الأسباط بالسامرة، فكانت بينه وبينهم حروب كما نذكر. وقال ابن العميد: كانت على بني مؤاب جزية مضروبة لبني يهوذا: مائتان من الغنم كل سنة، فمنعوها واجتمع ملوك القدس والسامرة لحربهم، وحاصروهم سبعة أيام، وفقدوا الماء فاستسقى لهم إليسع، وجرى الوادي. فخرج أهل مؤاب فظنوه ماء،

فقتلهم بنو إسرائيل وأثخنوا فيهم. وفي أيام يهورام رفع إيليا النبي وانتقل سره إلى إليسع، وكان على عهده من الأنبياء أيضاً عبوديا، ثم هلك يورام لثمان سنين من ملكه، ودفن عند جذه داود وولي بعده ابنه أحزياهو بهمزة مفتوحة وحاء مهملة مضمومة وزاي معجمة ساكنة ثم ياء مثناة تحتية تجلب ألفا ثم هاء مضمومة تجلب واوا، وأمة عثليا بنت عمري أخت أخاب، وسار سيرة خاله، وملك سنة واحدة وقيل سنتين، وخرج لقتال ملك الجزيرة والموصل، واستنفر معه صاحب السامرة يورام ابن خاله أخاب، فاقتتلوا معه ثم انصرفوا، وابن خاله جريح. وجاءه أحزياهو في بعض الأيام يعوده. وكان ابن يهوشافاض ابن منشي من سبط منشا بن يوسف يترصد قتل يورام بن أخاب ملك السامرة، فأصاب فرصة في ذلك الوقت فقتلهما جميعا.

وقال ابن العميد: أنّ يورام بن أخاب ملك السامرة خرج لحرب أدوم في رواية كلعاد، وخرج معه أحزياهو فقتلا في تلك الحرب. قال: وقيل أنّ ياهوعشا رمى بسهم فأصاب يورام بن أخاب وكان لعصره من الأنبياء إليسع وعامور وفنحاء. ثم ملك بعد أحزيا أمه عثليا بنت عمري، كذا وقع اسمها في كتاب الطبري. وفي كتاب الإسرائيليات اسمها أضالية. ويقال كانت من جواري سليمان، ثم استفحل ملكها بالقدح وقتلت بني داود كلهم وأغفلت ابنا رضيعا من ولد أبيها أحزياهو اسمه يؤاش، بضم الياء المثناة التحتية ثم همزة مفتوحة تجلب ألفا ثم شين معجمة، أخفته عمته يهوشبع بنت يهورام في بعض زوايا القدس، وعلم بمكانه زوجها يهوداع وهو يومئذ الكوهن الأعظم. حتى إذا كملت له سبع سنين ونقم بنو يهوذا سيرة عثليا اجتمعوا إلى يهوديادع الكوهن فأخرج لهم يؤاش بن أحزياهو من مكانه، واستحلفهم فبايعوا له وقتلوا جدّته عثليا ومن معها لسبع سنين من ملكها.

وقام يؤاش بملكه في تدبير يهوديادع الكوهن، ثم أراد عبادة الأصنام فمنعه زكريا النبي فقتله. وكان لعهده من الأنبياء إليسع وعوفريا وزكريا بن يهوديادع. وهلك يهوديادع لثلاث وعشرين سنة من ملك يؤاش بعد أنّ جدد يؤاش بيت المقدس، ولثمان وثلاثين من ملكه قبض إليسع النبي صلوات الله عليه. وعلى عهده زحف شريال ملك الكسدانيين ببابل إلى بيت المقدس ويقال ملك نينوى والموصل وقال ابن العميد: ملك الشام فأعطاهم جميع ما في خزائن الملك وبيت المقدس من الأموال، ودخل في طاعتهم إلى أنّ قتله وزراؤه وأهل دولته لأربعين سنة من ملكه، وولوا مكانه ابنه أمصياهو، بفتح الهمزة والميم وسكون الصاد المشمة بالزاي بعدها ياء مثناة تحتانية بفتحة تجلب ألفا ثم هاء مضمومة تجلب واوا، واستبدوا عليه، ثم ثار عليهم بأمه وقتلهم أجمعين. وسار إلى أدوم فظفر بهم وقتل منهم نحوا من عشرين ألفا. ثم زحف إليه ملك الأسباط بالسامرة ولقيه فهزمه وحصل في أسره.

وسار إلى بيت المقدس، فحاصرها وهدم من سورها نحوا من أربعمائة ذراع، واقتحمها فغنم ما في خزائن بيت السلطان وبيت الهيكل من الأموال والأواني والذخائر، ورجع إلى السامرة فأطلق أمصياهو ملك القدس، فرجع إلى قومه ورم ما تثلم من سورها. ولم يزل مملكا حتى نقموا عليه أفعاله فقتلوه لسبع وعشرين سنة من ملكه. وكان لعهده من الأنبياء يونان وناحوم وتنبأ لعصره عاموص. ولما قتلوا أمصياهو ولوا ابنه عزياهو، بعين مهملة مضمومة وزاي معجمة مكسورة مشددة وياء مثناة تحتانية تجلب ألفا وهاء تجلب واوا، وطالت مدته ثلاثا وعشرين سنة واختلفت فيها أحواله.

قال ابن العميد: ولخمس من ملكه كان ابتداء وضع سني الكبس، التي هي سنة بعد أربع تزيد يوما على الماضية، بحساب ربع يوم في كل سنة الذي اقتضاه حساب مسير الشمس عندهم. قال: ولست من ملكه انقرض ملك الأرمانيين من الموصل، وصارت إلى بابل. ولاثنتين وعشرين من ملكه غزا ملك بابل واسمه فول مدينة السامرة، فاقتحمها وأعطاه ملكها بدرة من

المال فرجع عنه. قال: ولعهده ملك علم بابل رينوس وبلقب قطب الملك ولعهده ملك على

اليونانيين ملكهم الأول من مدينة أنقياس لثلاث وعشرين سنة من تملك عزياهو. قال: ولإحدى وخمسين من ملكه ملك بابل بختنصر الأول. قال: ولعهده أيضاً كان الملك الأول من الروم المقدويس ويسمى فروس. ولعهده كان من الأنبياء يوشع وغوزيا وأمُّوص وأشعيا ويونس بن متى.

قال ابن العميد: وانتهت عساكر عزياهو إلى ثلثمائة ألف، وأصابه البرص بدعاء الكوهن، لما أراد أنّ يخالف التوراة في استعمال البخور وهو محرم على سبط لاوي، فبرص ولزم بيته سنة. وصار ابنه يُؤام ينظر في أمر الملك إلى أنّ تغلب على أبيه. قال هروشيوش: وعلى عهده أيضاً قُتِلَ شرديال آخر ملوك بابل من الكلدانيين على يد قائده أرباط بن ألمادس. واستبد بملك بابل وأصارَهُ إلى قومه بعد حروب طويلة. ثم زحف إلى القوط والعرب من قضاعة فحاربهم طويلا وانصرف عنهم. ثم هلك عزياهو لثلاث وخمسين سنة ملأ ملكه، وملك بعده ابنه يُؤاب، وكان صالحا تقيا. وكان لعهده من الأنبياء هُوَسيع وأشعيا ويوئيل وعوفد. وفي أيامه استبد أغلب ملوك الجزيرة على اليهود، وكانوا يعرفون بالسوريانيين. ثم هلك يوآب لست عشرة سنة من ملكه وملك ابنه أحاز، بهمزة مفتوحة ممالة وحاء مهملة تجلب ألفا وزاي معجمة، فخالف سنة آبائه. وعبد بنو إسرائيل الأوثان في أيامه، وحارب الأرمن واستجاش عليهم بملك الموصل، فزحف معه وحاصر دمشق وملكها منهم واستباحها، ورجع إلى بلاده. ثم خرج أحآز لحربهم فهزموه وقتلوا من اليهود مائة وعشرين ألفاً ونحوها وأرجعوا أحآز إلى دمشق أسيرا.

قال هروشيوش: وعلى عهد أحآز كان انقراض ملك ألماريس على يد كيرش ملك الفرس ورجعت أعمالهم إليه، ويقال: أنّ آخر ملوكهم هو أشتانيش وكان جد كيرش لأمه، وكفله صغيرا فلما شب وملك حارب جذه فقتله وانتزع ملكه. وقال ابن العميد عن المسبحي: ولذلك العهد ملك على الروم الفرنجة غير اليونان الأخوان روملس ورومانس واختط مدينة رومة. وقال هروشيوش: ولعهده ملك على الروم اللطينيين بأرض أنْطاكِيةرُومَلُمس ثم مَرْكَةَ وبنى مدينة رومة.

ثم هلك أحآز لست عشرة من ملكه وولى ابنه حزقياً هو بحاء مهملة مكسورة وزاي معجمة ساكنة وقاف مكسورة وياء مثناة تحتانية مشددة تجلب ألفاً وهاء مضمومة تجلب واوا، فقطع عبادة الأوثان وسار سيرة جده داود، ولم يكن في ملوك بني يهوذا مثله. وعصى على ملك الموصل وبابل وتوريش، وهزم فلسطين وخرَّب قراهم. وفي أيامه وأيام أبيه سار شليشار ملك الجزيرة والموصل إلى الأسباط بالسامرة فضرب عليهم الجزية، ثم سار في أيامه فأزال ملكهم. ولأربع من ملكه زحف إليه رضين ملك دمشق ورجع عنه من غير قتال. ولأربع عشرة من ملكه زحف إليه سنجاريف ملك الموصل بعد فتح السامرة، فافتتح أكثر مدائن يهوذا وحاصرهم ببيت المقدس. وصانعه حزقياهُو بثلثمائة قنطار من الفضة وثلاثين من الذهب، أخرج فيها ما كان في الهيكل وبيت الملك من المال، ونثر الذهب من أبواب المسجد، دفع ذلك له، ورجع عنه. ثم فسد ما بينهما وزحف إليه سنجاريف ثانيا وحاصره وامتنع من قبول مصانعته. وقال من ذا الذي خلصه إلهه من يدي حتى يخلصكم أنتم إلهكم؟ فخافوا منه وفزعوا إلى النبي شعياء في الدعاء، فأمنهم منه ودعا عليه، فوقع الطاعون في عسكره. ثم تواقعوا في بعض الليالي فبلغ قتلاهم مائة وعشرين ألفاً، ورجع سنجاريف إلى نينوى والموصل فقتله أبناؤه وهربوا إلى بيت المقدس وملك ابنه السرمعون.

وقال الطبري: أنّ ملك بني إسرائيل اشر سنجاريف وأوحى الله إلى شعياء أنّ يطلقه فأطلقه قال: وقيل أنّ الذي سار إليه سنجاريف من ملوك بني إسرائيل كان أعرج، وأن سنجاريف لعهد ملك اذربيجان، وكان يدعى سليمان الأعسر. فلما نزل بيت المقدس صار بينهما أحقاد كامنة فتواقعوا وهلك عامة عسكرهما وصار ما معهما غنيمة لبني إسرائيل. وبعث ملك بابل إلى حزقيا ملك الفرس بالهدايا والتحف، فأعظم موصلها وبالغ في كرامة الوفد، وفخر عليهم بخزانته وطوفهم عليها، فنكر ذلك عليه شعياء النبي وأنذره بأن ملوك بابل يغنمون جميع هذه الخزائن، ويكون من أبنائك خصيان في قصرهم. ثم هلك حزقياهو لتسع وعشرين سنة من ملكه وولى ابنه منشا بميم مكسورة ونون

مفتوحة وشين معجمة مشددة وألف، وكان عاصيا قبيح السيمة وكانت آثاره في الدين شنيعة. وأنكر عليه شعيا النبي أفعاله فقتله نشرا بالمناشير من رأسه إلى مفرق ساقيه، وقتل جماعة من الصالحين معه. وفي تاسعة وثلاثين من ملكه ملك سنجاريف الصغير مملكته الموصل. قاله ابن العميد: وفي الثانية والخمسين بنيت بوزنطية بناها ئورس الملك وهي التي جددها قسطنطين وسماها باسمه. وفي أيامه ملك برومة قنوقرسوس الملك. وفي الحادية والخمسين من ملكه زحف سنجاريف ملك الموصل إلى القدس فحاصرها ثلاث سنين وافتتحها في الرابعة والخمسين من ملكه، وولى بعده ابنه أمون، بهمزة قريبة من العين والميم مضمومة تجلب واوا ثم نون، وكانت حاله مثل حال أبيه، فملك سنتين وقيل اثنتي عشرة، ثم اغتاله عبيده فقتلوه.

واجتمع بنو يهوذا فقتلوا أولئك العبيد وأقاموا ابنه يوشيا مكانه، وضبطه بياء مثناة تحتية مضمومة تجلب واوا بعدها شين معجمة مكسورة ثم ياء مثناة تحتية بفتحة تجلب ألفا. فلما ملك أحسن السيرة وهدم الأوثان، وكان صالح الطريقة مستقيم الدين. وقتل كهنة الأصنام، وهدم البيوت والمذابح التي بناها يربعام بن نباط بالبرابرة. وكان في أيامه من الأنبياء صفونا وكلدي امرأة شالوم وناحوم. وتنبأ لعهده إرميا بن الحيا من نسل هارون وأخبرهم بالجلاء إلى بابل سبعين سنة. فأخذ يوشيا قبة القربان وتابوت العهد، وأطبق عليهما في مغارة فلم يعرف مكانهما من بعد ذلك.

وفي أيامه ملك المجوس بابل، ولإحدى وثلاثين من دولته ملك فرعون الأعرج مصر، وزحف لقتال مسبح بالفرات، فخرج يوشيا لحربه، وانهزم يوشيا فهلك بسهم أصابه لاثنتين وثلاثين من دولته، وولي بعده ابنه يوآش وبقال اسمه يهوياحاز، فعطل أحكام التوراة وأساء السيرة فزحف إليه فرعون الأعرج، وأخذه ورجع به إلى مصر، فمات هنالك. وضرب على أرضهم الخراج مائة قنطار فضة وعشرة ذهبا. وكانت ولايته ثلاثة أشهر، وولوا مكانه أخاه ألياقيم بن يوشيا، بهمزة مفتوحة ولام ساكنة وياء مثناة تحتانية يجلب فتحها ألفا وقاف مكسورة تجلب ياء ثم ميم، وكان عاصيا كافرا وكان يأخذ الخراج لفرعون من بني يهوذا على قدر أحوالهم.

ثم زحف إليه بختنصر ملك بابل لسبع من ولاية أليا‌قيم،

فملك الجزيرة وسار إلى بيت المقدس، فضرب عليهم الجزية أولا، ودخل أليا‌قيم في طاعته ثلاث سنين. وسلط الله عليه أدوم- وعمون- وموآب والكلدانيين. ثم انتقض عليه فسرح الجيوش إليه فقبضوا عليه واحتملوه إلى بابل، فهلك في طريقه لاحدى عشرة سنة من ملكه. وولى بختنصر مكانه ابنه يخنيو، بفتح الياء المثناء التحتانية بعدها خاء معجمة مضمومة ثم نون ساكنة وبعدها ياء تحتانية تجلب ضمتها واواً، فأقام ثلاثة أشهر، ثم زحف إليه وحاصره وأخرج إليه أمه وأشراف مملكته فأشخصهم إلى بلده، وجمع أهله ورجال دولته وسائر بني إسرائيل نحوا من عشرة آلاف واحتملهم أسارى إلى بابل. وغنم جميع ما كان في الهيكل والخزائن من الأموال، وجميع الأواني التي صنعها سليمان للمسجد. ولم يترك بمدينة القدس إلا الفقراء والضعفاء، وبقي يخنيو ملك بني إسرائيل محبوسا سبعا وثلاثين سنة. وقال ابن العميد: أنّ بختنصر سار إلى القدس في الثالثة من مملكة أليا‌قيم، وسبى طائفة منها وانتهب جميع ما في بيت الهيكل. وكان في سنة دانيا وخانيا وعزاريا وميصائل. وإن في السنة الخامسة من ملكه قاتل بختنصر فرعون الأعرج ملك مصر. وفي الثانية من ملك أليا‌قيم غزا بختنصر القدس ووضع عليهم الخراج، وأبقى أليا‌قيم في ملكه، وهلك لثلاث سنين بعد ذلك. وملك ابنه يخنيو. وكان لعهده من الأنبياء إرميا وأوريا بن شعيا ومُوري والد حزقيا. وفي أيامه تنبأ دانيال. ثم سار بختنصر ليخنيو فأشخصه إلى بابل كما مر.

وقال الطبري ووافقه نقل هروشيوش: أنّ بختنصر ولّى مكان يخنيو بن أليا‌قيم عمه متنيا، بميم مفتوحة وتاء مثناة فوقانية مفتوحة مشددة ونون ساكنة وياء مثناة تحتانية تجلب ألفاً ويسمى صدقياهو، وكان عاصياً قبيح السيرة. ولتسع سنين من ولايته انتقض على بختنضر فزحف إليه في العساكر، وحاصر بيت المقدس وبنى عليها المدر للحصار، وأقام ثلاث سنين واشتدّ الحصار بهم، فخرجوا هاربين منها إلى الصحراء. واتبعتهم العساكر من الكلدانيين وأدركوهم في أريحا، فقبض على ملكهم صدقياهو وأتى به أسيراً فسمل عينيه. وقال الطبري: وذبح ولده بمرأى منه، ثم اعتقله ببابل إلى أنّ مات، ولحق بعض من بني إسرائيل بالحجاز، فأقاموا مع العرب.

وكان لعهده من الأنبياء إرميا وحبقون وباروح. وبعث بختنصر قائده نبوزراذون، بنون مفتوحة وباء موحدة مضمومة تجلب واوا بعدها زاي وراء مفتوحة تجلب ألفاً

وذال مضمومة تجلب واواً بعدها نون، بعثه إلى مدينة القدس، وكانوا يدعونها مدينة أورشليم، فخربها وخرب الهيكل، وكسر عمد الصفر التي نصبها سليمان في المسجد طول كل عمود منها ثمانية عشر ذراعا، وطول رؤوسها ثلاثة أذرع. وكسر صرح الزجاج وسائر ما كان بها من آثار الدين والفلك، واحتمل بقية الأواني وما كان وجده من المتاع، وسبى الكوهن سارية والجبر منشا وخدمة الهيكل إلى بابل.

قال هروشيوش: وأبقى صدقياهو محبوساً ببابل إلى أنّ أطلقه بزداق قائد بهمن ملك الفرس حين غلبوا على بابل فأطلقه ووصله وأقطعه. وقال مؤرخ حماة ووافقه المسعودي: أنّ بختنصر بعد تخريب القدس هرب منه بعض ملوك بني إسرائيل إلى مصر، وبها فرعون الأعرج، وطلبه بختنصر فأجاره فرعون، وسار إليه بختنصر فقتله وملك مصر. وافتتح من المغرب مدائن، وبث فيها دعاته، وكان إرميا نبي بني إسرائيل من سبط لاوي، ويقال اسمه إرمياء بن خلقيا. وكان على عهده صدقياهو. ووجده بختنصر في محبسهم فأطلقه، واحتمله معه في السبي إلى بابل. وقيل: إنه مات في محبسه ولم يدركه بختنصر. وكذلك احتمل معهم دانيال بن حزقيل من أنبيائهم.

وقال ابن العميد: وولي جدليا بن أحان على من بقي من ضعفاء اليهود بالقدس، ولسبعة أشهر من ولايته قام إسماعيل بن متنيا بن إسماعيل من بيت الملك فقتل جدليا واليهود والكلدانيين الذي معهم. ثم هرب إلى مصر وهرب معه إرميا وهرب حبقون إلى الحجاز فمات، وكان قيما ولحقهم بمصر. وتنبأ إرميا في مصر وبابل وأورشليم وصور وصيدا وعمون ثمانية وثلاثين سنة، ورجمه أهل الحجاز فمات. وكان فيما أخبرهم به مسير بختنضر إلى مصر وتخريبه هياكلها وقتله أهلها. ولما دخل بختنصر مصر نقل جسده إلى اسكندرية ودفنه بها، وقيل دفن بالقدس لوصيته. وأما حزقياهو فقتله اليهود في السبي.

قال الطبري: وافترقت جالية بني إسرائيل في نواحي العراق إلى أنّ ردهم ملوك الفرس إلى القدس، فعمروه وبنو مسجده. وكان لهم فيه ملك في دولتين متصلتين، إلى أنّ وقع بهم الخراب الثاني والجلوة الكبرى على يد طيطش من ملوك القياصرة كما نذكر بعد.

ولنذكر هنا ما وقع من الخلاف في نسب بختنصر هذا وإلى من يرجع من ا أمم، فقد ذهب قوم إلى أنه من عقب سنجاريف ملك الموصل الذي كان يقاتل بني إسرائيل والسامرة بالقدس.

قال هشام بن محمد الكلبي فيما نقل الطبري: هو بختنصر بن نبوزراذون بن سنجاريف. ثم نسب سنجاريف إلى نمروذ بن كوش بن حام الذي وقع ذكره في التوراة في ولد كوش وعذ بين سنجاريف والنمروذ ستة عشر أبا أو نحوها، أولهم داريوش بن فالغ وعصا بن نمروذ، أسماء غير مضبوطة يغلب علي الظن تصحيفها لعدم دراية ا أصول وقلة الوثوق بضبطها. وقيل أنّ بختنضر من نسل أشوذ بن سام، ولم يقع إلينا رفع هذا النسب، ولعله أصخ من الأول، لأنه قد تقدم نسب سنجاريف في الجرامقة ثم في الموصل منهم، وهم من ولد أشوذ باتفاق من أهل فارس. نقله أيضاً الطبري عن ابن الكلبي، وأن اسمه بختمرسه فسمي بختنصر، وكان يملك ما بين الأهواز والروم من غربي دجلة أيام هراسب ويستاسب وبهمن من ملوك الفرس.

وأنه افتتح ما يليه من بلاد بابل الشام، ثم سار إلى القدس فافتتحها كما تقدم. وقيل أنّ بهمن بعث رسله إلى القدس في من طلب الطاعة منهم فقتلوه، فبعث بهمن أصبهبذا للناحية القريبة في مملكته، وبعث معه داريوس من ملوك مارى بن نابت وكيرش بن كيكوس من ملوك بني غليم بن سام، وأحشوارش بن كيرش بن جاماهن من قرابته. وسار معهم بختنصر بن نبوزراذون بن سنجاريف صاحب الموصل الذي لقومه البراآت في أهل المقدس، فكان ما وقع من الفتح. وقيل كان بختنصر صاحب الموصل في مقدمتهم، وكان الفتح على يده. وأما بنو إسرائيل فيزعمون أنّ بختنصر من الكلدانيين وهم ولد ناحور بن آزر أبي إبراهيم عليه السلام. وكان لهم الملك ببابل، وكان بختنضر هذا من أعقابهم، وكان مدة دولته خمسا وأربعين سنة. وكان فتحه المقدس لثمانية عشر من دولته. وملك بعده أويل مروماخ ثلاثا وعشرين سنة. ثم بعده ابنه فيلسنصر بن أويل ثلاث سنين. ثم غلب عليهم كوروش وأزال ملكهم. وهو الذي رد بني إسرائيل إلى بيت المقدس فعمروه وجدّدوا به ملكاً كما نذكره.

وقد اختلف في كيرش الذي رد بني إسرائيل إلى المقدس من هو بعد اتفاقهم على أنه من الفرس: فقيل هو يستاسب ولم يكن ملكا وإنما كان مملكا على خوزستان وأعمالها من قبل كيقوس وبنجسون بن سياوش ولهراسب من بعدهما، وكان عظيم الشأن ولم يكن ملكا. وقيل: أنّ كيرش هو ابن احشوارش بن جاماسب بن لهراسب، وأبوه احشوارش هذا الذي بعثه بهمن. ولما رجع من ذلك الفتح بعثه إلى ناحية الهند والسند، وانصرف إلى حصن الأبر، فولاه بابل وتزوج من سبي بني إسرائيل ابنة أبي حاويل الرحا وأخت مردخاي من الرضاع وهو من أنبياء بني إسرائيل. فتزعم النصارى أنها ولدت عند حيراحوارس إلى بابل ابنه كيرش هذا. فحضنه مردخاي ولقنه دين اليهودية، ولزم سائر أنبيائهم مثل متنيا وعازريا وميثائل وعزيز. وولى دانيال أحكام دولته. وجعل إليه أمره، وأذن له أنّ يخرج ما في الخزائن من السبي والذخائر والآنية ويرده إلى مكانه، ويقوم في بناء القدس، فعمره. وراجعه بنو إسرائيل، وسأله هؤلاء الأنبياء أنّ يرجعوا إلى بيت المقدس فمنعهم اغتباطا بمكانهم. وقيل: أنّ كيرش هو كيرش بن كيكو بن غليم بن سام، وهو الذي كنا قدمنا أنّ بهمن بعثه مع قائده بختنصر إلى فتح بيت المقدس، وأن بختمرس ملكه بهمن على بابل وكان يسمى بختمرسى كما ذكرنا، فملكها وملك ابنه من بعده ثلاثا وعشرين سنة، ثم ابنه بلتنصر سنة واحدة، ثم بلغ بهمن من سوء سيرته فعزله وولى على بابل داريوش ألماذة بن ماداي، ثم عزله وولى كيرش بن كيكو، وكتب إليه بهمن بأن يرفق ببني إسرائيل ويحسن ملكتهم، وأن يردهم إلى أرضهم ويولي عليهم من يختارونه ففعل. فاختاروا دانيال من أنبيائهم فولاه، وقيل: وهو لعلماء بني إسرائيل أنّ بلتنصر حافد بختنضر وهو ملك بابل والكلدانيين، وأن دارا ويسمى داريوش ملك مازي، وكوزش وهو كيرش ملك فارس كان في طاعته، فانتقضا عليه وخرج إليهم في العساكر، فانهزم أولا ثم بعث عساكره وقواده إليهم فهزمهم. ثم قتله خادمه على فراشه ولحق بداريوش وكورش وزحفا إلى بابل فغلبا الكلدانيين عليها، واختص دارا وقومه مادي، وأظنهم الديلم، ببابل ونواحيها. واختص كورش وقومه فارس بسائر الأعمال والكور. وكان كورش نذر ببناء بيت المقدس واطلاق الجالية ورد الآنية. ثم هلك دارا وانفرد كورش بالملك على فارس ومادي، ووفى بنذره. هذا محصل الخلاف في بختنصر وكيرش والله أعلم.

خريطة

الخبر عن دولة الأسباط العشرة وملوكهم إلى حين انقراض أمرهم

قد تقدم لنا في دولة سليمان عليه السلام أنّ يربعام بن نباط من سبط أفرايم كان
والياً لسليمان على جميع نواحي يورشليم وهي بيت المقدس، وقيل إنما كان والياً على عمل بني يوسف بنابلس وما إليها وكان جباراً، وأن سليمان عوتب على ولايته من الله، وانتقض ولحق بمصر. فلما قبض سليمان وولي ابنه رحبعم واختلف عليه بنو إسرائيل، بما بلوا من سوء ملكته. والزيادة في الضرائب عليهم، واجتمع الأسباط العشرة ما عدا يهوذا وبنيامين، فاستقدموا يربعام بن نباط من مصر فبايعوا له وولوه الملك عليهم، وحاربوا رحبعم ومن في طاعته، وهم سبط يهوذا وبنيامين، فامتنعوا عليهم بمدينة يروشليم، ثم انحازوا إلى جهة فلسطين في عمل بني يوسف. ونزل يربعم مدينة نابلس بملك الأسباط العشرة ومنعهم من الدخول إلى بيت المقدس والقربان فيه، وكان عاصيا مسخوط السيرة.
ولم يزل بينه وبين رحبعم بن سليمان وابنه أبيا من بعده واثنين من فلك أسا بن
أبيا، وكان أبيا ظاهرا عليه في حروبه. ثم هلك يربعام برت نباط لسنتين من ملك أبياً ولثلاث وعشرين من ملكه، فولي مكانه على الأسباط يوناداب وكان على مثل سيرة أبيه من الجور وعبدة الأصنام، فسلط الله عليه بعشا بن احيا فقتله وجميع أهل بيته لسنتين من ملكه. وقام بملك الأسباط، فلم يزل يحارب أسا بن ابئا وأهل القدس سائر أيامه. وكان أسا يستمد عليه بملك دمشق من الارمن. وسار معه إليه مرة وكان اعشا بن احيا نبي يثرب، فأجفل أمامهم وترك الآلات فأخذها أسا وبنى بها الحصون. وهلك اعشا بن احيا لأربع وعشرين سنة من ملكه، ودفن في برصا مدينة ملكهم، بعد أنّ أنذره بالهلاك نبيهم فاهو. ولما هلك ولي بعده ابنه إيليا ويقال إيلهوا في السادسة والعشرين من ملك اشا، فأقام سنين ثم بعث عساكر بني إسرائيل إلى محاصرة بعض المدن بفلسطين، فوثب عليه سبط من

الأسباط من عقب كان يعرف زمري صاحب المراكب، ويقال ابن إليافا فقتله وجميع أهل بيته وقام

بالملك. ومكث أياما يسيرة خلال ما بلغ الخبر لبني إسرائيل بمكانهم من حصار فلسطين، فلم يرضوه وملكوا عليهم صي بن كسات من سبطه، ورجعوا إلى زمري المتوثب على الملك فحاصروه، فلما أحيط به دخل مجلس الملك وأوقد نارا لتحرقه، فاحترق فيه لسبعة أيام من فورتهم.

وكان عمري بن ناداب من سبط أفرايم ويلقب صاحب الحربة يرادف صي في الملك فقتله واستبد. وذلك في الحادية والثلاثين من ملك أسا. ثم اختلف عليه بنو إسرائيل ونصب بعضهم بنيامين فنال من سبط يساخر وحاربهم عمري فغلبهم. وكان ينزل مدينة برصا ولست سنين من ملكه اختط مدينة السامرية، ابتاع لها جبل شمران من رجك اسمه سامر بقنطار قضة، وبنى فيه قصوره وسميت سبسطية. ثم غلبت عليها النسبة إلى البائع. ويقال أنّ الاسم كان شومرون فعرب سامرة وأهملت شينها المثلثة. وكانت هذه المدينة مدينة ملكهم إلى انقراض أمرهم. ثم هلك عمري لاثنتي عشرة سنة من ولايته، ودفن في نابلس وقام بملك الأسباط من بعده ابنه أحاب وكان على مذهبه ومذهب سلفه منهم من الكفر والعصيان، وتزوج بنت ملك صيدا، وبنى هيكلا بسامرة وجعل فيه صنما يسجد له، وأفحش في قتل الأنبياء، وبنى قرية أريحاء، ودعا عليه إيليا النبي، فقحطوا ثلاث سنين، خرج فيها إيليا إلى البرية فسكنها. ثم رجع فدعا وأنزل الله المطر، وذبح الذين حملوا أحاب على عبادة الأصنام، هكذا قال ابن العميد. والذي قاله الطبري: أنّ هذا النبي الذي دعا عليهم هو الياس بن سين وقيل ابن ياسين من نسل فنحاص بن العازار. وكان بعث إلى أهل بعلبك وإلى أحاب وقومه.

وقال الطبري: فكذبوه فأصابهم القحط ثلاثا، ففزعوا إليه في الدعاء، وباهلهم في أصنامهم فلم تغن شيئا، فدعا لهم فمطروا. ثم أنهم أقاموا على ما كانوا عليه من الكفر والعصيان. وكان أحاب شديدا عليه، ودعا عليه إلياس ثم طلب من الله أنّ يتوفاه بعد أنّ أنذر الناس بهلاكه وهلاك قومه بل عقبه. وتنبأ بعده إليسع بن أخطوب من سبط أفرايم، وقيل ابن عم الياس. ابن عساكر: اسمه أسباط بن عدي بن شوليم

بن افرائيم. قال الطبري: كان مستخفياً مع الياس بجبل قاسيون من ملك بعلبك. ثم خلفه في قريته، انتهى كلام الطبري. وقال ابن العميد: في أيام أحاب أوحى الله إلى إيليا أنّ يبارك على الياس بن بعسا ففعل ذلك، وأن يبارك على أدوم بدمشق وعلى ياهو ملكا على بني إسرائيل ففعل ذلك، وهو أيضاً على عهد أحاب. فجاء سنداب ملك سورية فحاصر أحاب بن عمري والأسباط العشرة في السامرة وخرجوا إليه فهزموه، واستلحموا عامة عسكره. ثم رجع إليهم من العام القابل فخرجوا إليه وهزموه ثانيا، وقتلوا من عسكره نحوا من مائة ألف، ومروا في أتباعهم، وامتنع سنداب في بعض حصونه واحاطوا به، فخرج إليهم ملقيا بنفسه على ملكهم أحاب فعفا عنه ورده إلى ملكه، وسخط ذلك النبي من فعله وأنذره بعذاب يصيب ولده عقوبة من الله تعالى على إبقائه عليهم.

ثم خرج أحاب من ملك الأسباط مع يهوشافاط ملك يهوذا المقدس لمحاربة ملك سورية فأصابه سهم هلك فيه، ودفن بسامرة لاثنتين وعشرين سنة من ملكه. قال ابن العميد: وقيل لثمان عشرة، وقال إنما خرج لحرب كلعاد ملك أدوم، فانهزم وقتل. ولما هلك ملك من بعده ابنه أحزيا ويقال أمشيا وكان عاصيا سيء السيرة، قتل عاموص النبي وعبد بعلا الصنم وهلك لسنتين، فملك أخوه يوآم. وقيل أنه لتسع عشرة من ملك يهوشافاط ملك الفرس فملك يوآم على الأسباط اثنتي عشرة سنة، زحف فيها أولاً إلى موآب لما منعوه الجزية التي كانت عليهم للأسباط مائتين من الغنم في كل سنة. واستنجد ملك يهوذا لحربهم فحاصرهم سبعة أيام وفقدوا الماء، فاستسقى لهم اليسع، وجرى الوادي، وخرج أهل مؤاب يظنونه دماً فقتلهم بنو إسرائيل. وجمع هداد ملك أدوم لحصار سامرة، ونازلها ثلاث سنين، ثم دعا عليهم إليسع فأجفلوا ورجعوا إلى بلادهم.

وفي الثانية عشرة من ملك يؤام ملك الأسباط، ثار عليه ياهوشافاط بن يشا من سبط منشا بن يوسف، وذلك عند منصرفه من محاربة ملوك الجزيرة وأدوم مع احزنا بن يهورام ملك القدس وكان جريحا فعاده أحزيا. وكان هذا الفتى ياهو يترصد قتل يوآم، فأمكنه الفرصة فيه تلك الساعة فقتله، وقتل معه أحزيا ملك القدس وبني يهوذا، وملك على الأسباط.

وقال ابن العميد: خرج يؤام بن أحآب ملك الأسباط لحرب أدوم ومعه أحزيا ملك القدس فقتلا جميعاً في تلك الحرب.

وقيل: أنّ ياهو بن منشا رمى بسهم فأصاب يؤام بن أحاب فمات. ولما ملك ياهو على الأسباط قتل بني أحآب كلهم كما أمره إليسع، وهلك لخمس وثلاثين من ملكه. وولى ابنه يوآص وقيل يهوذا، ولثمان وعشرين من دولة يوآص بن أحزيا ملك يهوذا القدس، وكان قبيح السيرة عبادا للأصنام، وعمل مذبحا بسامرة، وهلك لسبع عشرة من ملكه، وولي بعده ابنه يوآش لسبع وثلاثين من دولة يوآص بالقدس. وزحف إلى القدس فملكها من يد أمصيا ملك يهوذا وهدم من سورها أربعمائة ذراع، وسبى أهل المقدس، وسبى أهل عزريا الكوهن وأخذ جميع ما في المسجد ورجع إلى سامرة. ومرض إليسع فعاده يوآش، فوعده بأنه يهلك أدوم ويظفر بهم ثلاث مرات فكان كذلك. وهلك لثلاث عشرة سنة من ملكه، وولي من بعده ابنه يربعام وكان سىء السيرة، وزحف إلى أمصيا ملك يهوذا.

وقيل: أنّ الذي زحف إلى أمصيا إنما هو يؤاش أبوه فهزمه، وأخذه أسيرا وسار به إلى القدس فاقتحمها عنوة وغنم جميع ما في خزانتها، وسبى بني عزريا الكوهن ورجع إلى السامرة فأطلق أمصيا. ثم لإحدى وأربعين سنة من ملكه، ولسبع وعشرين من ملك عزياهو بن أمصيا ملك القدس. قال ابن العميد: وبقي بنو إسرائيل بالسامرة فوضى إحدى عشرة سنة ، ثم ملكوا ابنه زكريا في الثامنة والثلاثين من ملك عزياهو فملك ستة أشهر. وقال ابن العميك: شهرا ثم وثب به مناخيم بن كاد من سبط زبفون من أهل برصا فقتله، وملك مكانه اثنتي عشرة سنة، وقال ابن العميد عشر سنين. قال: وفي التاسعة والثلاثين من ملك عزياهو خرج إلى مدينة برصا ففتحها عنوة واستباحها، وزحف إليه فول ملك الموصل فصانعه بألف قنطار من الفضة ورجع عنه وكانت سيرته رديئة، ولما هلك مناخيم ملك ابنه بقحيا لأربعين من دولة عزيا ملك القدس، فأقام فيهم اثنتي عشرة سنة، وقال ابن العميد سنتين.

ثم ثار عليه من عماله باقح بن رسليا وكان على طريقة من تقدمه في الضلال، فأقام ملكا على الأسباط بالسامرة عشر سنين، وهلك لدولته عزيا بن أمصيا ملك يهوذا بالقدس، وأقام باقح بن رصلياً على سوء السيرة

وعبادة الأصنام، إلى أنّ قتله هويشيع بن إيليا من سبط جاد في الثالثة من ملك يؤاب ملك القدس. وبقي الأسباط بعده فوضى عشر سنين، ثم ملكوا قاتله هويشيع بن إيليا المذكور، فأقام مملكا عليهم سبع سنين. وفي أيامه زحف إليه ملك أثور والموصل فصير الأسباط في دولته وأدوا إليه الخراج. ثم أنّ هويشيع راسل ملك مصر في الاستعانة به والرجوع إلى طاعته، فلما بلغ ذلك إلى ملك الموصل زحف إليه وحاصره في مدينة السامرة ثلاث سنين واقتحمها في الرابعة.

وتقبض على هو يشيع لتسع سنين من ملكه ونقله مع الأسباط كلهم إلى الموصل. ثم بعثهم إلى قرى أصبهان وأنزلهم بها. وقطع ملك بني إسرائيل من السامرة، وبقي ملك يهوذا وبنيامين بالقدس، وكان ذلك لعهد أحزيا بن احآز من ملوكهم لسنة من دولته. وتعاقبت ملوكهم بعد ذلك بالقدس إلى أنّ انقرضوا، وجمع ملك الموصل من كوره غارا وحماة وصفرارام، ويقال ومركتا وأسكنهم بالسامرة. قال ابن العميد: وتفسيرها حفيظة ويوآطر. قالوا وسلط الله عليهم السباع يفترسونهم فبعثوا إلى ملك الموصل أنّ يعرفهم بصاحب قسمة السامرية من الكواكب ليتوجهوا إليه بما يناسبه على طريقة الصابئة، فقيل

أنّ العشرية التي رسخت فيها وهي دين اليهودية تمنع من ذلك ومن ظهور أثره، فبعث إليهم كوهنين من عامة اليهود يعلمانهم اليهودية فتلقوها عنهما. فهذا أصل السامرة في فرق اليهود وليسوا منهم عند أهل ملتهم لا في نسبهم ولا في دينهم، والله مالك أمور لا رب غيره ولا معبود سواه سبحانه وتعالى.

خريطة

الخبر عن عمارة بيت المقدس بعد الخراب الأول

وما كان لبني إسرائيل فيها من الملك في الدولتين لبني حشمناي وبني هيرودوس إلى حين الخراب الثاني والجلوة الكبرى

هذه الأخبار التي كانت لليهود ببيت المقدس والملك الذي لهم في العمارة بعد جلاء بختنصر، وأمر الدولتين اللتين كانتا لهم في تلك المدة لم يكتب فيها أحد من الأئمة، ولا وقفت في كتب التواريخ مع كثرتها واتساعها على ما يلم بشيء من ذلك. ووقع بيدي وأنا بمصر تأليف لبعض علماء بني إسرائيل من أهل ذلك العصر، في أخبار البيت والدولتين اللتين كانتا بها ما بين خراب بختنصر الأول وخراب طيطس الثاني الذي كانت عنده الجلوة الكبرى، استوفى فيه أخبار تلك المدة بزعمه. ومؤلف الكتاب يسمى يوسف بن كريون، وزعم أنه كان من عظماء اليهود وقوادهم عند زحف الروم إليهم، وأنه على صولة فحاصره اسبيانوس أبو طيطش واقتحمها عليه عنوة، وفريوسف إلى بعض الشعاب، وكمن فيها ثم حصل في قبضته بعد ذلك، واستبقاه ومن عليه وبقي في جملته. وكانت له تلك وسيلة إلى ابنه طيطش عندما أجلى بني إسرائيل على البيت، فتركه بها للعبادة كما يأتي في أخباره. هذا هو التعريف بالمؤلف.

وأما الكتاب فاستوعب فيه أخبار البيت واليهود بتلك المدة، وأخبار الدولتين اللتين كانتا بها لبني حشمناي وبني هيردوس من اليهود، وما حدث في ذلك من الأحداث، فلخصتها هنا كما وجدتها فيه لأني لم أقف على شيء فيها لسواه. والقوم أعلم بأخبارهم إذا لم يعارضها ما يقدم عليها. وكما قال : لا تصدقوا أهل الكتاب. فمد قال ولا تكذبوهم، مع أنّ ذلك إنما هو راجع إلى أخبار اليهود وقصص الأنبياء التي كان فيها التنزيل من عند الله. لقوله بعد ذلك: {وقولوا آمنا بالذي انزل إلينا وانزل إليكم} وأمّاد الخبر عن الواقعات المستندة إلى الحسن فخبر الواحد كاف في إذا غلب على الظن صحته، فينبغي أنّ نلحق هذه الأخبار بما تقدّم

من أخبارهم لتكمل لنا أحوالهم من أول أمرهم إلى آخره. والله أعلم. ولم التزم صدقه من كذبه والله المستعان.

قال الطبري وغيره من الأئمة: كان يرميا ويقال إرميا بن خلقياً من أنبياء بني إسرائيل ومن سبط لاوي، وكان لعهد صدقّيا هو أخر ملوك بني يهوذا ببيت المقدس. ولما توغلوا في الكفر والعصيان أنذرهم بالهلاك على يد بختنصر وسأله عنه وأطلقه واحتمله معه في السبي، وكان فيما يقوله إرميا أنهم يرجعون إلى بيت المقدس بعد سبعين سنة. يملك فيها بختنصر وابنه وابن ابنه ويهلكون، وإذا فرغت مملكة الكلدانيين بعد السبعين يفتقدكم. يخاطب بذلك بني إسرائيل في نص أخر له عند كمال سبعين لخراب المقدس. وكان شعيا بن أمصيا من أنبيائهم أخبرهم بأنهم يرجعون إلى بيت المقدس على يد كورش من ملوك الفرس، ولم يكن وجد لذلك العهد. فلما استولى كورش على بابل وأزال مملكة الكلدانيين أذن لبني إسرائيل في الرجوع إلى بيت المقدس وعمارة مسجدها. ونادى في الناس أنّ الله أوصاني أنّ ابني بيتا فمن كان لله وسعيه لته فليمض إلى بنائه. فمضى بنو إسرائيل في اثنين وأربعين ألفاً وعليهم زيريافيل، بالفاء الهوائية، بن شالتهيل بن يوخنيا أخر ملوكهم بالقدس الذي حبسه بختنصر، وقد مر ذكره. وقد مضى مهم عزير النبي من عقب اشيوع بن فنحاص بن العازر بن هارون، وبينه وبين اشيوع ستة آباء. لم أثق بنقلها لغلبة الظن بأنها مصحفة. ورد عليهم كورش الأواني وكانت لا يعبر عنها من الكثرة.

قال ابن العميد: كانت خمسة آلاف وأربعمائة قصعة ذهبا وفضة فمضوا إلى بيت المقدس وشرعوا في العمارة، وشرع كورش وسعى عليهم في أبطال ذلك بعض أعدائهم من السامرة، ولم يكن أمد السبعين التي وعدهم بها انقضى، لأن الخراب كان لثمان عشرة من ملك بختنصر، وكانت دولته خمسة وأربعين، ومدة ابنه وابن ابنه خمس وعشرون، فبقيت من السبعين ثمانية عشر التي نفذت من ملك بختنصر قبل الخراب، فمنعوا من العمارة بسعاية السامرية إلى أنّ انقضت الثمان عشرة. وجاءت دولة دارا من ملوك الفرس، فأذن لهم في العمارة، وعاد السامرة لسعايتهم في إبطال ذلك عند

دارا، فأخبره أهل دولته أنّ كورش أذن لهم في ذلك فخلى سبيلهم وعمروا بيت المقدس في الثانية من ملك دارا الأول، وهو أرفخشد، والكوهن يومئذ عزير. وجدد لهم التوراة بعد سنتين من رجوعهم إلى البيت. ثم هلك زيريافيل

وخلفه فيهم بهشمياس. وقبض العزير وخلفه شمعون الصفا من بني هارون أيضاً. وقال يوسف بن كريون أنّ بختنصر لما رجع إلى بابل أقام ملكا سبعا وعشرين سنة. وملك بعده ابنه بلتنصر ثلاث سنين وانتقض عليه داريوش ملك ماذي، وأظنهم الديلم، وكيرش ملك فارس. وهزمتهم عساكره كما مر، فعمل في بعض أيامه صنيعا لقواده سرورا بالواقع، وسقاهم في أواني بيت المقدس التي احتملها جذه من الهيكل. فسخط الله لذلك ورأى تلك الساعة كأن يدا خرجت من الحائط تومي بكتابة كلمات بالخط الكلداني، والكلمات عبرانية. وهي أحصى، وزن، نفذ. فارتع لذلك هو والحاضرون وفزع إلى دانيال النبي في تفسيرها.

قال وهب بن منبه: هو من أعقاب حزقيل الأصغر، وكان خلفا من دانيال الأكبر. فقال له دانيال: هذه الكلمات تنذر بزوال ملكك، ومعناها أنّ الله أحصى مدة ملكك، ووزن أعمالك، ونفذ قضاؤه بزوال ملكك، عنك وعن قومك. وقتل تلك الليلة بلتنصر. وكان ما قدمناه من استقلال كورش وقومه فارس بالملك، ورد الجالية إلى بيت المقدس، وأطلق لهم المال لعمارتها شكرا على الظفر بالكلدانيين. ومضى بنو إسرائيل ومعهم عزرا الكاهن ونجميا ومردخاي وجميع رؤساء الجالية يبنون البيت والمذبح على حدودها، وقربوا القرابين. وكان كورش بعد ذلك يطلق لهم في كل سنة من الحنطة والزيت والبقر والغنم والخمر ما يحتاجون إليه في خدمة البيت، ويطلق لهم جراية واسعة.

وجرى ملوك الفرس بعده على سنته في ذلك إلا قليلا في أيام أخشويروش منهم، كان وزيره هامان وكان من العمالقه. وكان طالوت قد استخلفهم بأمر الله. فكان هامان يعاديهم لذلك وعظمت سعايته فيهم، وحمله على قتلهم. وكان مردخاي من رؤسائهم قد زوج أخته من الرضاع لاخشويروش، فدس إليها مردخاي أنّ تشفع إلى الملك في قومها فقبلها وعطف عليهم وأعادهم، إلى أنّ انقرضت دولة الفرس. بمهلك دارا، واستولى بنو يونان بمهلك دارا على فلك فارس، وملك الإسكندر بن

فيفلوس، ودوخ الأرض، وفتح سواحل الشام، وسار إلى بيت المقدس لأنها من طاعة دارا، وخاف الكهنة من وصوله إليهم. ورأى في بعض

تمثال رجلا فقال: أنا رجل أرسلت لمعونتك ونهاه عن أذية المقدس، وأوصاه بامتثال إشارتهم. فلما وصل إلى البيت لقيه الكوهن فبالغ في تعظيمه، ودخل معه إلى الهيكل وبارك عليه، ورغب إليه الاسكندر أنّ يضع هنالك تمثاله من الذهب ليذكر به، فقال هذا حرام لكن تصرف همتك في مصالح الكهنة والمصلين، ويجعل لك من الذكر دعاؤهم له، وأن يسمى كل مولود لبني إسرائيل في هذه السنة بالاسكندر. فرضي الاسكندر وحمل لهم المال وأجزل عطية الكوهن، وسأله أنّ يستخير الله في حرب دارا، فقال له: امض والله مظفرك. وحض دانيال، وقص عليه الاسكندر رؤيا رآها، فأولها له بأنه يظفر بدارا.

ثم انصرف الاسكندر وسار في نواحي بيت المقدس، ومرّ بنابلس ولقيه سْنَبِلاط السامري، وكان أهل المقدس أخرجوه عنهم فأضافه، وأهدى له أموالا وأمتعة، واستأذنه في بناء هيكل في طول بريد، فأذن له فبناه وألام صهره منشا كوهنا فيه، وزعم أنه المراد بقوله في التوراة: اجعل البركة على جبل كريدم، فقصده اليهود في الأعياد، وحملوا إليه القرابين وعظم أمره، وغص بشأنه أهل بيت إلى، قدس، إلى أنّ خربه هرمايوس بن شمعون أول ملوك بني حشمناي كما يأتي ذكره.

ثم هلك الاسكندر ببابل بعد استيفاء مدته لاثنتين وثلاثين من ملكه، وكان قد قسم ملكه بين عظماء دولته فكان سلياقوس بعد الإسكندر، وكان عظيم أصحابه. فأكرم اليهود وحمل المال إلى فقراء البيت ؛ ثم سعى عنده بأن في الهيكل أموالا وذخائر نفيسة، ورغبوه في ذلك، فبعث عظيما من قواده اسمه أردوس ليقبض ذلك المال، فحضر بالبيت وأنكر الكاهن حنينان أنّ يكون بالبيت إلا بقية الصدقات من فارس ويونان، وما أعطاهم سلياقوس آنفا فلم يقبل، ووكل بهم في الهيكل فتوجهوا بالدعاء، وجاء أردوس ليقبض المال فصدع في طريقه وجاء أصحابه إلى الكوهن حنينا وجماعة الكهنة يسألون الإقالة والدعاء لأردوس، فدعوا له وعوفي وارتحل، وازداد الملك سلياقوس إعظاماً للبيت، وحمل ما كان يحمل إليهم مضاعفاً.

قال ابن كريّون: ثم ترجمت التوراة لليونانيين، وكان من خبرها أنّ تلماي ملك مصر من اليونانيين بعد الإسكندر وكان من أهل مقدونية، وكان محبا للعلوم ومشغوفا بالحكمة والكتب الإلهية. وذكرت له كتب اليهود الأربعة والعشرون سفراً، فتاقت نفسه للوقوف عليها. وكتب إلى كهنون القدس في ذلك، وأهدى له، فاختار سبعين من أحبار اليهود وعلمائهم، وفيهم كوهن عظيم اسمه ألعازر وبعثهم إليهم ومعهم الأسفار، فتلقاهم بالكرامة وأوسع لهم النزول، ورتب مع كل واحد كاتبا يملى عليه ما يترجم له، حتى ترجم الأسفار من العبرانية إلى اليونانية وصححها، وأجاز الأحبار وأطلق لهم من كان بمصر من سبي اليهود نحوا من مائة ألف، وصنع مائدة من الذهب نقشت عليها صورة أرض مصر والنيل، ورضها بالجواهر والفصوص، وبعث بها إلى القدس فأودعت في الهيكل.

ثم هلك تلماي صاحب مصر، واستولى بعده أنطيوخوس صاحب مقدونية على أنطاكية ثم على مصر، وأطاعه ملوك الطوائف بأرض العراق، واستفحل ملكه وعظم طغيانه، وأمر ا أمم بعبادة الأصنام. وعمل أصناما على صورته، فامتنع اليهود من قبولها، وسعى بهم عند بعض شرارهم وكانوا أهل نجدة وشوكة، فسار أنطيخوس إليهم وأثخن فيهم بالقتل والسبي، وفروا إلى الجبال والبراري، فرجع واستخلف على بيت المقدس قائده فليلقوس، وأمره أنْ يحملهم على بيت المقدس قائده فليلقوس، وأمره أنّ يحملهم على السجود لأصنامه، وعلى أكل الخنزير، وترك السبت والختان. ويقتل من يخالفه، ففعل ذلك أشد ما يكون، وبسط على اليهود أيدي أولئك الأشرار الساعين. وقتل ألعازر والكوهن الذي ترجم لهم التوراة لما امتنع من السجود لصنمه وأكل قربانه. وكان فيمن هرب إلى الجبال والبراري متيتيا بن يوحنا بن شمعون الكوهن الأعظم ويعرف بحشمناي بن حونيا من بني نوذاب من نسل هارون عليه السلام، وكان رجلا صالحاً خيّرا شجاعاً. وأقام بالبرية وحزن لما نزل بقومه. فلما أبعد أنطيخوس الرحلة عن القدس بعث متيتّيا إلى اليهود يعرفهم بمكانه، وينمعض لهم ويحرضهم على الثورة على اليونانيين فأجابوه وتراسلوا في ذلك. وبلغ الخبر فليلقوس قائد

أنطيخوس، فسار في عسكره إلى البرية طالبا متيتيا وأصحابه. فلما وصل إليهم حاربهم فغلبوه وانهزم في عساكره

وقوي اليهود على الخلاف، وهلك متيّتيا خلال ذلك، وقام بأمره ابنه يهوذا فهزم عساكر فليلقوس ثانية، وشغل أنطيخوس بحروب الفرس، فزحف إليهم من مقدونية واستخلف عليهم ابنه افظر، وضم إليه عظيما من قومه اسمه لشاوش، وأمرهم أنّ يبعثوا العساكر إلى اليهود، فبعثوا ثلاثة من قوادهم وهم نيقانور وتلمياس وصردوس، وعهد إليهم بإبادة اليهود حيث كانوا. فسارت عساكر واستنفروا سائر الأرمن من نواحي دمشق وحلب، وأعداء اليهود من فلسطين وغيرهم. وزحف يهوذا بن متيتيا مقدم اليهود للقائهم بعد أنّ تضرعوا إلى الله وطافوا بالبيت وتمسحوا به، ولقيهم عسكر نيقانور فهزموه، وأثخنوا فيه بالقتل، وغنموا ما معهم. ثم لقيهم عسكر القائد ابن تلميهاس وهيرودوس ثانيا فهزموهما كذلك وقبضوا على فليلقوس القائد الأول لأنطيخوس فأحرقوه بالنار، ورجع نيقانور إلى مقدونية فدخلها، وخبر ليشاوش وافظر ابن الملك بالهزيمة، فجزعوا لها. ثم جاءهم الخبر بهزيمة أنطيخوس أمام الفرس، ثم وصل إلى مقدونية واشتد غيظه على اليهود، وجمع لغزوهم فهلك دون ذلك بطاعون في جسده، ودفن في طريقه. وملك افظر وسموه أنطيخوس باسم أبيه. ورجع يهوذا بن متيتيا إلى القدس، فهدم جميع ما بناه أنطيخوس من المذابح، وأزال ما نصبه من الأصنام، وطهر المسجد وبنى مذبحا جديدا للقربان، فوضع فيه الحطب ودعا الله أنّ يريهم آية في اشتعاله من غير نار، فاشتغل كذلك ولم ينطف إلى الخراب الثاني أيام الجلوة، واتخذوا ذلك اليوم عيدا سفوه عيد العساكر. ونازل ليشاوش فزحف إليه يهوذا بن متيتيا في عسكر اليهود، وثبت عسكر ليشاوش فانهزموا ولجأ إلى بعض الحصون، وطلب النزول على الأمان على أنّ لا يعود إلى حربهم. فأجابه يهوذا على أنّ يدخل افظر معه في العقد وكان ذلك. وتم الصلح، وعاهد افظر اليهود على أنّ لا يسير إليهم، وشغل يهوذا بالنظر في مصالح قومه.

قال ابن كريون ة وكان لذلك العهد ابتداء أمر الكيتم وهم الروم، وكانوا برومية وكان أمرهم شورى بين ثلثمائة وعشرين رئيسا، ورئيس واحد عليهم يسمونه الشيخ يدبر أمرهم، ويدفعون للحروب من يثقون بغنائه وكفايته

منهم أو من سواهم. هكذا كان شانهم لذلك العهد، وكانوا قد غلبوا اليونانيين واستولوا على ملكهم وجازوا البحر إلى إفريقية فملكوها كما يأتي في أخبارهم. فأجمعوا السير إلى أنطيخوس، أفظر وابن

عمه ليشاوش بقية ملوك يونان بأنطاكية، وكاتبوا يهوذا ملك بني إسرائيل بالقدس يستميلونهم عن طاعة أنطيخوس واليونانيين، فأجابوهم إلى ذلك. وبلغ ذلك أنطيخوس فنبذ إلى اليهود عهدهم وسار إلى حربهم فهزموه ونالوا منه. ثم راسلهم في الصلح وأن يقيموا على عهدهم معه، ويحمل لبيت المقدس بما كان يحمله من المال، وأن يقتل من عنده من شرا اليهود الساعين عليهم، فتم العهد بينهم على ذلك. وقتل شملاوش من الساعين على اليهود، ثم جهز أهل رومة قائد حروبهم دمترياس بن سلياقوس إلى أنطاكية ولقيه أنطيخوس افظر، فانهزم أنطيخوس وقتل هو وابن عمه ليشاوش، وملك الروم أنطاكية ونزلها قائدهم دمترياس. وكان ألقيموس الكوهن من شرار اليهود عند أنطيخوس. فلما ملك دمترياس قائد الروم فسعى عنده في اليهود ورغبه في ملك القدس والاستيلاء على أمواله، فبعث قائده نيقانور لذلك، وخرج يهوذا ملك القدس لتلقيه وطاعته، وقدم بين يديه الهدايا والتحف، فمال نيقانور إلى مسالمة اليهود، وحسن رأيه وأكد بينه وبينهم العهد ورجع. وبادر ألقيموس الكوهن إلى دمترياس وأخبره بميل قائده نيقانور إلى اليهود، وزاد في اغرائه. فبعث إلى قائده ينكر عليه ويستحثه لانفاذ أمره، أنّ يحمل يهوذا مقيدا. وبلغ ذلك يهوذا فلحق بمدينة السامرة صبصطية، واتبعه نيقانور في العساكر، فكر عليه يهوذا وهزمه، وقتل أكثر عساكر الروم الذي معه، ثم ظفر به فصلبه على الهيكل ببيت المقدس. واتخذ اليهود ذلك اليوم عيدا وهو ثالث عشر آذار. ثم بعث قائد الروم دمترياس من قابل الآخر يعتروس في ثلاثين ألفاً من الروم لمحاربة اليهود، وخرجت عساكرهم من المقدس، وفروا عن ملكهم يهوذا وافترقوا في الشعاب، وأقام معه منهم فل قليل واتبعهم يعتروس فلقيه يهوذا وأكمن له، فانهزم اليهود. وخرج عليهم كمين الروم فقتل يهوذا في كثير من ولايته ودفن إلى جانب أبيه متيتيا. ولحق أخوه يوناثال فيمن بقي من اليهود بنواحي ا أردن، وتحصنوا ببئر سبع فحاصرهم يعتروس هنالك أياما، ثم بيتوه فهزموه.

وخرج يوناثال واليهود في اتباعه، فقبضوا عليه، ثم أطلقوه على مسالمة اليهود، وأن لا يسير إلى حربهم. فهلك يوناثال إثر ذلك، وقام بأمر اليهود أخوهما الثالث شمعون فاجتمع إليه اليهود من كل ناحية وعظمت عساكره وغزا جميع أعدائهم ومن ظاهر عليهم من سائر الأمم، وزحف

إليه دمترياس قائد الروم بانطاكية فهزمه شمعون وقتل غالب عسكره، ولم تعاودهم الروم بعدها بالحرب إلى أنّ هلك شمعون. وثب عليه صهره تلماي زوج اخته فقتله، وتقبض على بنيه وامرأته، وهرب ابنه الأكبر قانوس بن شمعون إلى غزة فامتنع بها. وكان اسمه يوحان وكان شجاعا، قتل في بعض الحروب شجاعا اسمه هرقانوس فسماه أبوه باسمه. ثم اجتمع عليه اليهود وملكوه وسار إلى بيت المقدس، وفر تلماي المتوثب على أبيه إلى حصن داخون فامتنع به، وسار هرقانوس إلى محاربته وضيق عليه. وأشرف تلماي في بعض الأيام من فوق السور بأم هرقانوس وأخته يتهددهما بقتلهما، فكف عن الحرب وانصرف لحضور عبد المظال ببيت المقدس، فقتل تلماي اخته وأمه وفر من الحصن. قال ابن كريون: ثم زحف دمترياس ابن سلياقوس قائد الروم إلى القدس، وحاصر اليهود فامتنعوا وثلم السور، وراسلوه في تأخير الحرب إلى انقضاء عيدهم ففعل، على أنّ يكون له نصيب في القربان ووقعت في نفسه صاغية لهم، وأهدى تماثيل للبيت فحسن موقعها عندهم، وراسلوه في الصلح على المسالمة والمظاهرة لبعض، فأجاب وخرج إليه هرقانوس ملك اليهود وأعطاه ثلثمائة بدرة من الذهب استخرجها من بعض قبور داود.

ورحل عنهم الروم، وشغل هرقانوس في رم ما ثلم من السور، وحدثت خلال ذلك فتنة بين الفرس والروم، فسار إليهما دمترياس في جموع الروم، وبينما أبطأ هرقانوس ملك اليهود لحضور عيدهم إذ جاءه الخبر بأن الفرس هزموا دمترياس، فنهز الفرصة وزحف إلى أعدائه من أهل الشام، وفتح نابلس وحصون أدوم التي بجبل الشراة، وقتل منهم خلقا، ووضع عليهم الجزية وأخذهم بالختان والتزام أحكام التوراة، وخرب الهيكل الذي بناه سنبلاط السامري في طول بريد بإذن الاسكندر، وقهر جميع الأمم المجاورين لهم. ثم بعث وجوه اليهود وأعيانهم إلى الأشياخ والمدبرين برومة يسأل تجديد العهد، وأن يردوا على اليهود ما أخذ أنطيخوس ويونان من بلادهم التي صارت في مملكة الروم، فأجابوا وكتبوا له العهد بذلك، وخاطبوه بملك اليهود.

وإنما كان يسمى من سلف قبله من آبائه بالكوهن، فسمى نفسه من يومئذ بالملك، وجميع بين منزلة الكهنونة ومنزلة الملك. وكان أول ملوك بني حشمناي. ثم سار إلى مدينة السامرة صبصطية ففتحها وخربها وقتل أهلها

قال ابن كريون: وكان اليهود في دينهم ثلاث فرق: فرقة الفقهاء وأهل القياس ويسمونهم الفروشيم، وهم الربانيون، وفرقة الظاهرية المتعلقين بظواهر الألفاظ من كتابهم ويسمونهم الصدوقية وهم القراؤن، وفرقة العباد المنقطعين إلى العبادة والتسبيح، والزهاد فيما سوى ذلك ويسمونهم الحيسيد. وكان هرقانوس وآباؤه من اليونانيين ففارق مذهبهم إلى القرائين لأنه جمع اليهود يوما عندما تمهد أمره وأخذ بمذاهب الملك، ولقي به في صنيع احتفل به، وألان لهم جانبه وخضع في قوله، وقال أريد منكم النصيحة. فطمع بعض الربانيين فيه وقال: أنّ النصيحة أنّ تنزل عن الكهنونة وتقتصر على الفلك، وقد فاتك شرطها لأن أمك كانت سبية من أيا أ أنطيخوس، فغضب لذلك وقال للربانيين: قد حكمتكم في صاحبكم، فأخذوا في تأديبه بالضرب، فتنمر لهم من أجل ذلك وفارق مذهبهم إلى مذهب القرائين، وقتل من الربانيين خلقاً كثيراً، ونشأت الفتنه بين هاتين الطائفتين من اليهود، واتصلت بينهم الحرب إلى هذا العهد.

وهلك هرقانوس لاحدى وثلاثين سنة من دولته، وملك بعهده ابنه أرستبلوس وكاد كبيرهم، وكان له ولدان آخران وهما انطيوخس ويحب الملك له، ويبغض الإسكندر فأبعده إلى جبل الخليل، فلما ملك أرستبلوس أخذ من إخوته بمذهب أبيهم وقبض على الاسكندر وأمه، واستخلص انطيوخس وقدمه على العساكر، واكتفى به في الحروب، وترفع عن تاج الكهنونة ولبس تاج الملك. وخرج انطقنوس إلى الأمم المجاورين الخارجين عن طاعتهم، فرذهم إلى الطاعة، وكثرت السعاية فيه عند أخيه من البطانة وأغروه به، فلما قدم انطقنوس من مغيبه وافق عيد المظال، وكان أخوه ملتزما بيته لمرض طرقه، فعدل انطقنوس عن بيته إلى الهيكل للتبرك، فأوهموا الملك أنه إنما فعل ذلك لاستمالة الكهنونية والعامة، وأنه يروم قتل أخيه، وعلامة ذلك أنه جاء بسلاحه. فعهد أرستبلوس إلى حشمانه وغلمان قصره أنّ جاء متسلحا أنّ يقتلوه وكان ذلك، وتمت حيلة البطانة وسعايتهم عليه. وعلم أرستبلوس أنّ قد خدع في أخيه، فندم واغتم ولطم صدره، حتى قذف الدم من فيه، وأقام عليلا بعده حولا كاملا ثم هلك. فأفرجوا عن أخيه

الإسكندر من محبسه وبايعوا له بالملك، واستقام له الأمر. ثم انتقض عليه أهل عكا وأهل صيدا وأهل غزة بعثوا إلى قبرص. وسار

الإسكندر إلي عكّا فحاصرها، وكانت كلوبطرة ملكة من بقية اليونان قد انتقض عليها ابنها واسمه ألظيرو، وأجاز البحر إلى جزيرة قبرص فملكها، فبعث أهل عكا أنهم يملكونه، وجاز إليهم في ثلاثين ألف مقاتل، حتى إذا افرج الاسكندر عن حصارهم راجعوا أمرهم، ومنعوا الظيرو من الدخول إليهم، فسار في بلاد الاسكندر ونزل على جبل الخليل، فقتل منه خلقا ونزل على الاردن.

وفي خلال ذلك زحف الاسكندر إلى صيدا ففتحها عنوة واستباحها، وعاد إلى القدس وأطاعته البلاد وحسم داء المنتقضين عليه. ثم تجددت الفتنة بين اليهود بالقدس، وذلك أنهم اجتمعوا في عيد المظال بالمسجد، وحضر الاسكندر معهم، فتلاعبوا بين يديه مراماة بما عندهم من مشموم وماكول، وأصاب الاسكندر رمية من الربانيين فغضب لها، وشاتمهم القراؤون بما كانوا من شيعته، فشتموا الاسكندر وقتلوا الشاتم وأصحابه فلم يغن عنهم، وعظم فيهم الفتك وانفض الجمع.وعهد الاسكندر أنّ يستد المذبح والكهنة بحائط عن الناس، ونفذ أمره بذلك. واتصلت الفتنة بين اليهود ست سنين، قتل من الربانيين نحو من خمسين ألفاً، والاسكندر يعين القرائين عليهم. وبعثوا إلى دمتريوس المسمى أنطيخوس وبذلوا له المال، فسار معهم إلى نابلس ولقي الاسكندر فهزمه وقتل عامة أصحابه ورجع. فخرج الاسكندر إلى الربانيين وأثخن فيهم، وظفر منهم بجماعة تزيد على ثلثمائة فقتلهم صبرا، وقهر سائر اليهود. وسار إلى دمتريوس ففتح الكثير من بلاده وخرج، فظفر به الاسكندر وقتله وعاد إلى بيت المقدس لثلاث سنين في محاربة الربانيين ودمتريوسرس. فاستقام أمره وعظم سلطانه ثم طرقه المرض فقام عليلا ثلاثا آخرين، وخرج بعدها لحصار بعض الحصون، وانتقضوا عليه فمات هنالك، وأوصى امرأته الاسكندرة بكتمان موته حتى يفتح الحصن وتسير بشلوه إلى القدس فتدفنه فيه، وتصانع الربانيين على ولدها فتملكه، لأن العامة إليهم أميل. ففعلت ذلك واستدعت من كان نافرا الربانيين، وجمعتهم وقدمتهم للشورى واستبدت بالملك.

وكان لها ابنان من الاسكندر بن هرقانوس اسم الأكبر منهما هرقانوس والآخر أرستبلوس وكانا صغيرين عند موت أبيهما، فلما كبرا عينت هرقانوس للكهنونة وقدّمت أرستبلوس على

العساكر والحروب، وضمّت إليه الربّانيين، وأخذت الرهن من جميع الأمم، وسألها الربانيون في الأخذ بثأرهم من القرائين خلقاً كثيراً، وجاء القراؤون إلى ابنها الكهنون ينكرون ذلك، وأنّه إذا فعل بهم ذلك، وقد كانوا شيعا لأبيه الاسكندر، فقد تحدث النفرة من الناس، وسألوه أنّ يلتمس لهم اذنها في الخروج عن القدس والبعد عن الربانيين، فأذنت لهم رغبة في انقطاع الفتنة.

وخرج معهم وجوه العسكر، ثم ماتت خلال ذلك لتسمع سنين من دولتها. ويقال أنّ ظهور عيسى صلوات الله عليه كان في أيامها. وكان ابنها أرستبلوس قائد العسكر، لما شعر بموتها خرج إلى القرائين يستدعيهم إلى نصرته فأجازوه، وتقبضت هي على ابنيه وامرأته، واجتمعت عليه العساكر من النواحي، وضرب البوق وزحف لحرب أخيه هرقانوس والربانيين، وحاصرهم أرستبلوس ببيت المقدس، وعزم على هدم الحصن، فخرج إليه أعيان اليهود والكهنونية ساعين في الصلح بينهما، وأجاب على أنّ يكون ملكا ويبقى هرقانوس على الكهنونية، فتم ذلك واستقر عليه أمره.

القسم الثاني المجلد الثاني

من تاريخ العلامة ابن خلدون

ابتداء أمر انظفتر أبو هيردوس

ثم سعى في الفتنة بينهما انظفترأبوهيردوس، وكان من عظماء بني إسرائيل من الذين جمعوا مع العزير من بابل، وكان ذا شجاعة وبأس، وله يسار وقنية من الضياع والمواشي. وكان الاسكندر قد ولأه على بلاد اذوم، وهي جبال الشراة. فاقام في ولايتها سنين وكثر ماله، وأنكحوه منهم فكان له منها أربعة من الأبناء وهم: فسيلو وهيردوس وفرودا ويوسف، وبنت اسمها سلومث. وقيل أنّ أنظفتر لم يكن من بني إسرائيل وإنما كان من أدوم وربي في جملة بني حشمناي وبيوتهم. فلما مات الإسكندر وملكت

زوجته الإسكندرة عزلته عن جبال الشراة، فأقام بالقدس. حتى إذا استبد بالأمر أرستبلوس، وكان بين هرقانوس وانظفتر مودة وصحبة. فغص أرستبلوس بمكانه من أخيه لما يعلم من مكر انظفتر، وهم بقتله فانفض عنه، وأخذ في التدبير على أرستبلوس.

وفشا في الناس تبغضه إليهم، وينكر تغلبه، ويذكر لهم أنّ هرقانوس أحق بالملك منه، ثم حذر هرقانوس من أخيه، وخيل إليه أنه يريد قتله

وبعث لشيعة هرقانوس المال على تخويفه من ذلك، حتى تمكن منه الخوف. ثم أشار عليه بالخروج إلى ملك العرب هرثمة، وكان يحب هرقانوس فعقد معه عهدا على ذلك. ولحق هرقانوس بهرثمة ومعه انظفتر، ثم دعوا هرثمة إلى حرب أرستبلوس فأجابهم بعد مراوغة. وتزاحفوا ونزع الكثير من عسكر أرستبلوس إلى هرقانوس، فرجع هاربا إلى القدس. ونازلهم هرقانوس وهرثمة، واتصلت الحرب وطال الحصار. وحضر عيد الفطير، وافتقد اليهود القرابين، فبعثوا إلى أصحاب هرقانوس فيها فاشتطوا في الثمن، ثم أخذوه ولم يعطوهم شيئا. وقتلوا بعض النساك طلبوه في الدعاء على أرستبلوس وأصحابه، وامتنع فقتلوه، ووقع فيهم الوباء فمات منهم أمم.

قال ابن كريون: وكان الأرمن ببلاد دمشق وحمص وحلب، وكانوا في طاعة الروم فانتقضوا عليهم في هذه المدة، وحدثت عندهم صاغية إلى الفرس. فبعث الروم قائدهم فمقيوس، فخرج لذلك من رومية. وقدم بين يديه قائده سكانوس فطوع الأرمن ولحق دمشق ثم لحقه فمقيوس ونزل بها. وتوجهت إليه وجوه اليهود في أثرهم، وبعث إليه أرستبلوس من القدس، وهرقانوس من مكان حصاره كل واحد منهما يستنجده على أخيه. وبعثوا إليه بالأموال والهدايا فأعرض عنها، وبعث إلى هرثمة ينهاه عن الدخول بينهما، فرحل عن القدس ورحل معه هوقانوس وانظفتر وأعاد أرستبلوس رسله وهداياه من بيت المقدس، وألح في الطلب وجاء انظفتر إلى فمقيوس بغيرمال ولا هدية، فنكث عنه فمقيوس فرجع إلى رغبته ومسح أعطافه، وضمن له طاعة هرقانوس الذي هو الكهنوت الأعظم. ويحصل بعد ذلك إضعاف أرستبلوس فأجابه فمقيوس على أنّ يتحيل له في الباطن ويكون ظاهره مع أرستبلوس حتى يتم الأمر. وعلي أنّ يحملوا الخراج عند حصول أمرهم، فضمن انظفتر ذلك، وحضر هرقانوس وأرستبلوس عند فمقيوس القائد يتظلم كل واحد من صاحبه، فوعدهم بالنظر بينهم إذا حل بالقدس. وبعث أنظفتر في جميع الرعايا فجاؤوا شاكين من أرستبلوس، فأمره فمقيوس من إنصافهم، فغضب لذلك واستوحش وهرب من معسكر

فمقيوس وتحصن في القدس. وسار فمقيوس في أثره، فنزل أريحا ثم القدس وخرج أرستبلوس واستقال فأقاله، وبذل له الأموال على أنّ يعينه على أخيه، ويحمل له ما في الهيكل من الأموال والجواهر،

وبعث معه قائده لذاك، فمنعهم الكهنونية، وثارت بهم العامّة، وقتلوا بعض أصحاب القائد وأخرجوه، فغضب فمقيوس، وتقبض لحيته على أرستبلوس. وركب ليقتحم البلد، فامتنعت عليه وقتل جماعة من أصحابه، فرجع وأقام عليهم، ووقعت الحرب بالمدينة بين شيع أرستبلوس وهرقانوس . وفتح بعض اليهود الباب لفمقيوس فدخل البلد وملك القصر، وامتنع الهيكل عليه، فأقام يحاصره أياما وصنع آلة الحصار، فهدم بعض أبراجه واقتحمه عنوة. ووجد الكهنونية على عبادتهم وقرباتهم مع تلك الحرب، ووقف على الهيكل فاستعظمه، ولم يمد يده إلى شيء من ذخائره. وملك عليهم هرقانوس وضرب عليهم الخراج يحمله كل سنة، ورفع يد اليهود عن جميع ا أمم الذين كانوا في طاعتهم، ورد عليهم البلدان التي ملكها بنو حشمناي ورجع إلى رومة. واستخلف هرقانوس وانظفتر على المقدس، وأنزل معهما قائده سكانوس الذي قدمه لفتح دمشق وبلاد الأرمن عندما خرج من رومية، وحمل أرستبلوس وابنيه مقيدين معه، وهرب الثالث من بنيه وكان يسمى الاسكندر ولحقه فلم يظفر به.

ولما بعد فمقيوس عن الشام ذاهباً إلى مكانه، خرج هرقانوس وانظفتر إلى العرب ليحملوهم على طاعة الروم، فخالفهم الاسكندر بن أرستبلوس إلى المقدس، وكان متغيبا بتلك النواحي منذ مغيب أبيه لم يبرح، فدخل إلى المقدس وملكه اليهود عليهم وبنى ما هدمة فمقيوس من سور الهيكل، واجتمع إليه خلق كثير ورجع هرقابوس وانظفتر. فسار إليهم الاسكندر وهزمهم، وأثخن في عساكرهم. وكان قائد الروم كينانوس قد جاء إلى بلاد الأرمن من بعد فمقيوس، فلحق به واستنصره على الاسكندر، فسار معه إلى القدس، وخرج إليهم الاسكندر فهزموه، ومضى إلى حصن له يسمى الإسكندرونة واعتصم به. وسار هرقانوس إلى القدس فاستولى على ملكه وسار كينانوس قائد الروم إلى الاسكندر فحاصره بحصنه، واستأمن إليه وعفا عنه وأحسن إليه.

وفي أثناء ذلك هرب أرستبلوس أخو هرقانوس من محبسه برومية وابنه انطقنوس، واجتمع إليه فحاربه كينانوس وهزمه، وحصل في أسره

فرده إلى محبسه برومية، ولم يزل هنالك إلى أنّ تغلب قيصر على رومية واستحدث الملك في الروم وخرج فمقيوس من رومية إلى نواحي عمله، وجمع العساكر لمحاربة قيصر، فأطلق

أرستبلوس من محبسه، وأطلق معه قائدين في إثني عشر ألف مقاتل، وسرّحهم إلى الأرمن واليهود ليردوهم عن طاعة فمقيوس. وكتب فمقيوس إلى انظفتر ببيت المقدس أنّ يكفيه أمر أرستبلوس، فبعث قوما من اليهود لقوه في بلاد الأرمن ودسوا له سما في بعض شرابه، كان فيه حتفه. وقد كان كينانوس كاتب الشيخ صاحب رومية في إطلاق من بقي من ولد أرستبلوس فأطلقهم.

قال ابن كريون: وكان أهل مصر لذلك العهد انتقضوا على ملكهم تلماي وطردوه، وامتنعوا من حمل الخراج إلى الروم، فسار إليهم واستنفر معه انظفتر فغلبهم وقتلهم. ورد تلماي إلي ملكه واستقام أمر مصر ورجع كينانوس إلى بيت المقدس فجدد الملك لهرقانوس وقدم انظفتر مدبر المملكة وسار إلى رومية.

قال ابن كريون: ثم غضبت الفرس على الروم فندبوا إلى ذلك قائدا منهم يسمى عرنبوس وبعثوه لحربهم، فمر بالقدس ودخل إلى الهيكل، وطالب الكهنون بما فيه من المال، وكان يسمى ألعازر من صلحاء اليهود وفضلائهم. فقال له أنّ كينانوس وفمقيوس لم يفعلوا ذلك بتلك، فاشتد عليه فقال: أعطيك ثلثمائة من الذهب وتتجافى عن الهيكل. ودفع إليه سبيكة ذهب على صورة خشبة كانت تلقى عليها الصور التي تنزل من الهيكل الذي تجدد. وكان وزنها ثلثمائة، فأخذها ونقض القول وتعدى على الهيكاس. وأخذ جميع ما فيه منذ عمارتها من الهدايا والغنائم وقربانات الملوك والأمم، وجميع آلات القدس. وسار إلى لقاء الفرس فحاربوه وهزموه، وأخذوا جميع ما كان معه، وقتل واستولت الفرس على بلاد الأرمن: دمشق وحمص وحلب وما إليها.

وبلغ الخبر إلى الروم فجهزوا قائدا عظيما في عساكر جمة اسمه كسناو، فدخل بلاد الأرمن الذين كانوا غلبوا عليها، وساروا إلى القدس. فوجد اليهود يحاربون هرقانوس وانظفتر فأعانهما حتى استقام ملك هرقانوس. ثم سار إلى الفرس في عساكره فغلبهم وحملهم على طاعة الروم، ورد الملوك الذين كانوا عصوا عليهم إلى الطاعة، وكانوا اثنين

وعشرين ملكا من الفرس كان فمقيوس قائد الروم هزمهم، فلما سار عنهم انتقضوا.

قال ابن كريون: ثم ابتدأ أمر القياصرة، وملك على الروم يولياس ولقبه قيصر لأّن أمّه ماتت حاملا به عند مخاضها فشق بطنها عنه، فلذلك سُميّ قيصر ومعناه بلغتهم القاطع. ويسمّى أيضاً يولياس باسم الشهر الذي ولد فيه وهو يوليه خامس